جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

رقم التسجيل:

الرقم التسلسلي:.....

الانتصار في الحروب: الأساسيات والآداء

مذكرة مكملة للحصول على درجة الماستر في العلوم السياسية

تخصص: علاقات دولية ودراسات أمنية

إعداد الطالب:

بومعزة عدنان

إشراف الأستاذ:

د. حميداني سليم

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة	الجامعة	الصفة
اليامين بن سعدون	أستاذ مساعد –أ-	8ماي 1945 قالمة	رئيسا
سليم حميداني	أستاذ محاضر–ب-	8ماي 1945 قالمة	مشرفا
جمال منصر	أستاذ محاضر–أ-	8ماي 1945 قالمة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2018/2017

الانتصار في الحروب:

الأساسيات والآداء

شكر وعرفان

أتقدم بشكري إلى كل من أسدى إليّ عونا في إنجاز هذا العمل، وأخص بالذكر

أستاذي المشرف: الدكتور حميداني سليم؛

كما أتقدّم بالشكر إلى أساتذتي الكرام بقسم العلوم السياسية بجامعة

قالمة، على ما قدموه لنا كطلبة أثناء الدراسة بطور الماستر.

وإلى أعضاء لجنة المناقشة الكرام الذين تجشموا عناء القراءة والتقويم؛

ولا أنسى تقديم الشكر لأساتذتي عبر كامل أطوار مشواري الدراسي.

إهـداء

أهدي هذا العمل إلى والداي، وإخوتي وزوجتي وابنتاي؛

وإلى أصدقائي عبر مشواري الدراسي؛

خاصة دفعة الماستر علاقات دولية ودراسات أمنية.

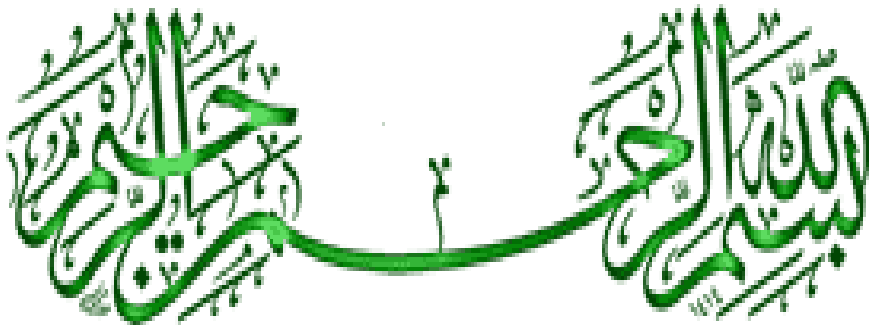

« وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(77) ».

القصص الآية (77).

قد لا ترغب في الحرب؛ لكن الحرب ترغب فيك.

ليون تروتسكي

مقـــدمـــة

مقدمة:

تعّين على الأفراد عبر التاريخ أن يجدوا صلات الارتباط والانتماء إلى مجموعات يتشاركون فيها جملة من الصفات، ويحسّون في الآن ذاته بالاختلاف تجاه مجموعات أخرى، و قد عزّز هذا الإحساس؛ عددا من النوازع النفسية تتراوح بين الجانب التعاوني وجانب التباغض الاقصائي، وكمحصّلة لتراكم الميراث العدائي بشأن الصراع حول مصالح معينة، فإن الأمور غالبا ما تنتهي في الأخير بالصدام، ومحاولة الاستحواذ على تلك المصالح عبر القوة المتاحة، ولمّا كانت الحرب الأداة التبريرية الأكثر طلبا وقبولا في إنهاء الاختلافات بين المجموعات البشرية، فإنّها ظلّت الخيار الأفضل للحصول على ما تم تكييفه ضمن الحقوق الطبيعية، أو الحقوق التي تجلبها وتضمنها القوة.

استمرّت الحرب ظاهرة محورية في تاريخ العلاقات الدولية، وظلّ اللّجوء إليها بمثابة الطرح الأكثر حضورا وجاذبة بشكل يتجاوز الأبعاد الأخلاقية، ويتخطّى الأطر الإنسانية، أو الإحساس بإمكانية التوافق وتجنب العنف المقترن بتلك الحروب، وفي سبيل إضفاء بعد إيجابي للحرب كعمل تخوضه الدولة؛ تم تعزيز الفهم الاستراتيجي لها، والحكم عليها من خلال مخرجاتها النهائية، فلا قيمة ولا مردودية للحرب دون ضمان الانتصار فيها، أو على الأقل السعي لذلك، وهو ما يجعل مسار البحث يجتمع عند عنوان أساسي هو الانتصار في الحرب، من خلال جملة من الأطر والديناميكيات التي تكفل ذلك.

أولا: التعريف بالموضوع

إنّ الموضوع المتناول هو أحد توجهات البحث في الدراسات الاستراتيجية ودراسات السلام والنزاع، وهو يقترن بالبحث في أساسيات إدارة الحرب، وتكييفها نحو مخرجات إيجابية لمن يخوضها، بشكل يجعل الانتصار فيها هو الهدف الوحيد لدى صانع القرار، وذلك يقتضي الفهم الأوسع والمعمّق لطبيعة الحرب وعناصرها واحتمالات تطوّر الأحداث، ودور العامل الزمني؛ وكذا الجغرافيا ومدى التطور التقني، وهي كلها بمثابة الجوانب التي تساعد في ضبط الموضوع المتناول.

ثانيا: أهمية الموضوع

يمكن الإشارة إلى أهمية الموضوع من خلال نطاقين أساسيين:

01-نطاق الأهمية العلمية:

يتجسّد هذا النطاق في صميم الأبحاث المتزايدة بشأن الحرب وخطورتها، والنظريات المؤطرة لدوافع الانخراط في الحروب، وأهمية القوة والتخطيط العسكري في جعل الدولة تكسب الحروب التي تخوضها،

وفي جانب آخر تتأكد الأهمية العلمية من خلال التعمق في فهم الحرب على أساس أنها فن وعلم، وأنها ليست مجرد اصطدام عشوائي للقوى، وهو ما يحتّم ضرورة الإلمام بجملة نظريات الحرب، وفي الآن ذاته، السعي نحو اكتشاف أطر تتواءم ومقتضيات الحروب الحديثة.

02-نطاق الأهمية العملية:

ويتحدد ذلك بما يشهده العالم من حروب صارت أكثر تدميرا وفتكا، كما أن انعكاساتها السلبية لا تمس فئة محددة، ولا حقبة زمنية محددة، ودليل ذلك ما يشهده العالم العربي من عجز في الدفاع عن حدوده أو ضمان استقراره أو قدرة على مجابهة القوى الخارجية، ويعتبر مثال الحروب العربية الإسرائيلية مثالا مناسبا لإسقاط الأهمية العلمية بشأن كسب الحرب وانعكاسات ذلك على مستقبل المجتمعات العربية.

ثالثا: أسباب اختيار الموضوع

تجتمع جملة من الأسباب التي دفعت نحو اختيار هذا الموضوع، وهي أسباب يمكن تفصيلها على النحو التالي:

01-أسباب ذاتية:

تقترن هذه الأسباب بالميل البحثي بشأن الحرب، ودراسة الجوانب العسكرية فيها والإرث التاريخي في ذلك، ومحاولة فهم أعمق لعدد من الحروب والمعارك التي ظلت تشكل إبهارا للباحث، وفي نفس الوقت لها ضغط نفسي سلبي؛ حول مفاهيم الهزيمة والانكسار والنكسة في التاريخ العربي والإسلامي، أين يعجز المتتبّع عن تفسير النهايات المؤسفة لعدد من الحروب والمعارك التي كان من الممكن كسبها، وتغيير تاريخ المنطقة العربية والإسلامية، ويمكن إضافة سبب آخر للبحث في الموضوع؛ وهو الرغبة في زيادة الزاد المعرفي بشأن الدراسات الاستراتيجية ودراسات السلام والنزاع، والحصول في سبيل ذلك على كم علمي باللغة الإنجليزية خاصة.

02-أسباب موضوعية:

تتمثل هذه الأسباب في ضغوط الواقع العملي؛ المقترن بما يشهده التاريخ الحديث من تزايد عدد الحروب والمخرجات النهائية لها، إلى درجة أصبح الانخراط فيها مكلفا جدا، وفي نفس الوقت فإنّ الآثار التدميرية للحروب غير مقدور على مواجهتها وتحملها، مما يحتم تفكيرا خلاّقا وإبداعيا بشأن خوض الحروب، وضمان النصر فيها.

إنّ موضوع كسب الحرب في البيئة الدولية الحديثة، وتباين التهديدات فيها، يقتضي ضرورة البحث في كيفية إدارة هذه الحروب حين تكون أطرافها أو أحدها مالكا لأسلحة الدمار الشامل من جهة، أو أن

يكون الطرف الآخر في الحرب ليس من طينة ولا من حجم الطرف الأول، لكنّه يشكل ضررا وأثرا سلبيا، بإمكانه إحداث استنزاف للدولة والمساهمة في انهيارها، على غرار خطر ما يعرف بالإرهاب.

في جانب آخر؛ فإنّ التطور العلمي والتكنولوجي في مجال التسلح، يعيد النظر في كثير من مسلمات خوض الحروب، وفي الآن ذاته يطرح تصورات جديدة للمواجهة، تقتضي أشكالا بديلة لخوض الحرب وإدارتها والسعي للانتصار فيها، ومع أن فكرة القوة العظمى المرتبطة في الفهم العام بالنموذج الأمريكي، ظلت تنظر إلى الحرب بمثابة نشاط محسوم النتائج، إلاّ أنها تعرضت لحالات تعثّر أساءت إلى تلك القوة، على غرار ما حدث في فيتنام بالنسبة للأمريكيين أو في أفغانستان بالنسبة للسوفيات ثم الأمريكيين.

رابعا: حدود الدراسة

يتحدّد مجال هذه الدّراسة في ثلاثة حدود فرعية، هي مجالات البحث وضبط المعلومات وتنظيمها:

01-الحدود المعرفية:

تظهر هذه الحدود من خلال انتماء الموضوع إلى حقل الدراسات الاستراتيجية، وتقاطعه مع دراسات السلاح والنزاع، وفي جانب آخر فإنّ مناقشة كفاءات القيادات العسكرية تحيل الموضوع في جانب منه إلى حقل الإدارة العامة، وتنظيم وإدارة الموارد البشرية، كما أنّ النقاش الأخير في الموضوع حول خصخصة الحرب يأخذ قاعدة له من الاقتصاد، والمضامين الاستثمارية للمجال العسكري. يمكن باستعراض المادة العلمية المتوفرة أن نضع حدودا للدراسة في هذا الموضوع، يجري تفصيلها على النحو التالي:

02-الحدود الزمنية:

إنّ موضوع الحرب يتصل بالوجود الإنساني، وبذلك يشكل التاريخ البشري قاعدة الارتكاز في موضوع البحث، وذلك بتتبع الحروب الأساسية عبر الحقب الزمنية، والمعارك الكبرى التي أنهت إمبراطوريات وأوجدت أخري، كما يتضمّن هذا التحديد الاستخلاصات الأساسية ضمن ما يعرف بالثورة في الشؤون العسكرية التي وصلت بالحروب إلى وضعها الحلي، وهذا الاستعراض سيركّز بشكل واضح على حقب العصور القديمة على غرار التوسع الروماني والفتح الإسلامي، ثم عودة الغرب بدءا من الحروب الصليبية ومرورا بالحروب الاستعمارية، ووصولا إلى وضع القوى الكبرى حاليا.

02-الحدود المكانية:

تتصل هذه الحدود بما يعرف بجغرافيا الحرب، التي تشمل المناطق التي دارت فيها أهم المعارك عبر التاريخ، وهي في الواقع تشمل دوائرا جغرافية معينة شهدت ثقل تلك المعارك والحروب، ويأتي في مقدمتها نطاق الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وحوض المتوسط وجنوب شرق آسيا وغرب أوربا، كما أّن صعود القوة الأمريكية وكذا الوضع المتميز للقوى البريطانية والفرنسية والروسية والصينية، قد أوجد جغرافيا واسعة لتلك الحروب، تشمل العالم ككل.

خامسا: أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تغطية جملة من الأهداف التي تنتظم في العناصر التالية:

01-تحقيق الغرض الوصفي من خلال اكتشاف جملة من المعلومات بشأن الحروب، وتفكيك فكرة النصر فيها كمطلب يسعى الجميع للوصول إليه، وحيث أنّ الحروب لها مساقها التاريخي وتصوراتها المتعاقبة، فإنّ الجانب الوصفي يتصل بحالة التشخيص لفكرة النصر الحربي، واختلافاتها بين فترة وأخرى.

02-تغطية الجانب التفسيري في مجال البحث بشأن العلاقة بين التخطيط العسكري وكفاءة المعدّات الحربية والتأهيل القتالي للجيوش، وانعكاسات ذلك على سير العمليات الحربية وتحقيق الانتصارات فيها.

03-تفنيد عدد من الأفكار الرّاسخة حول الجيوش التي لا تقهر، ورفض عقدة النقص والاعتماد على السلاح لوحده في طلب النصر، وتكذيب الآراء التي تقرن الهزيمة بدين أو شعب أو فترة زمنية، وتسعى الدراسة إلى تصور مستقبلي حول الانتصار في الحروب بدلالة الثورة في الشؤون العسكرية، وهو ما يغني عن الارتهان لأمجاد وانتصارات الماضي.

سادسا: إشكالية الدراسة

إنّ حالة العلائقية بين خوض الحرب والانتصار فيها، إنّما تشير إلى ربط آلي بين حالتين، حالة ما قبل خوض الحرب من جهة، وما تسفر عنه تلك الحرب من جهة ثانية، وعلى هذا الأساس؛ ونظرا لأنّ النصر هو الغاية الطبيعية المنشودة، فإنّ المشكلة البحثية هنا تقوم على البحث في أهلية الجيوش ضمان ذلك النصر، ويمكن صياغة ذلك في الإشكالية التالية:

إذا كان النصر هو القرينة الطبيعية لقرار خوض الحرب، فكيف يمكن تأصيل ذلك في الواقع الميداني، وتحويل النصر من تطلع إلى حقيقة، على ضوء التجارب والإمكانيات المتاحة والأهداف المرسومة؟

إنّه لمناقشة هذه الإشكالية يجدر بنا الإجابة عن تساؤلات فرعية فحواها؛

- هل يمكن للتخطيط العسكري الجيّد لوحده؛ أن يضمن النصر الحربي؟
- فيما تتمثل الفروقات في تحقيق النصر بين الحرب النظامية والحرب غير النظامية؟
- إلى أي مدى ساهمت الثورة في الشؤون العسكرية في إحداث تحول في أساسيات ومفاهيم الانتصار الحربي؟

سابعا: فروض الدراسة

سنحاول التأصيل للبحث في الموضوع بإرسائه على حالة من العلاقة بين متغير مستقل، هو فكرة الانتصار الحربي، ومتغير تابع هو حروب الدول، التي تكون أميل للانخراط في المواجهات العسكرية، ويمكن صياغة فرضية مركزية فحواها:

إنّ النصر وإن ارتبط بقوة الجيوش المادية، فإنّ بناءه يتصل بكفاءة التخطيط العسكري للقادة وحضورهم الميداني.

ضمن العمل يمكن الوقوف على فرضيات جزئية متصلة بتتابع المعلومات والمعطيات بشأن موضوع كسب الحرب، وهي الفرضيات التي نعرضها على النحو التالي:

-كلما زاد تدخل السياسيين في توجيه العمليات الحربية، كلما زادت احتمالات الهزيمة؛

– يحدث الشحن الديني في الحروب، من الصمود والاقدام ما لا توفره الأموال والمعدات العسكرية؛

– يقلّل وضع العصر النووي انتصارات الدول، ويحيل إلى الانتصارات السياسية التي تحققها المفاوضات كبديل عن المواجهة الحربية.

ثامنا: منهج الدراسة

لقد جرى التعامل مع خصوصية الموضوع بما يتلاءم مع حالة التوافق بين هذه الخصوصية؛ وتدقيق المعلومات وتنظيمها وترتيبها والوصول إلى نتائج واضحة، ولم يكن ذلك ليتحقق لولا القاعدة المنهجية، والاستعمال الفعلي للمنهج المقارن في فصول الدراسة، وتعزيز ذلك بالإطار التاريخي في استخلاص الأحكام والشواهد عليه، وعلى هذا الأساس فإنه تمت مراعاة حالة الانسجام المطلوبة ضمن مراحل البحث كافة.

تاسعا: الإطار النظري للدراسة

إنّه ولأجل ضبط الموضوع تمّ الاستناد إلى إطار نظري، يتّصل بحالة التنظير للحرب والانتصار فيها، والذي غلب عليه منظور القوة والتبرير الواقعي لاستعمالها، نظرا لأنّ الفهم الأكثر رسوخا لخوض الحروب هو الفهم المتصل بجدوى القوة وضرورتها.

عاشرا: أدبيات الدراسة

بالرّغم من جاذبية الموضوع؛ فإنّه وفي إطار بحثنا، وقفنا على إسهامات قليلة بشأنه، تحت العنوان الذي نعمل عليه، ويمكن عرضها على النحو التّالي:

01-كتاب الجنرال: ويسلي كلارك، **الانتصار في الحروب الحديثة**، تر: عمر الأيّوبي، (لبنان: بيروت، دار الكتاب العربي، ط01، 2004).

يقدّم الكتاب جملة من المفاهيم الحديثة حول النصر الحربي، ويربطه بالنموذج الأمريكي، معتمدا دراسة حالة هي العراق، وسياسة الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب على الإرهاب، وبناء إمبراطوريتها، وعلى هذا الأساس فإنّ الدراسة أفادتنا أكثر في مجال البحث حول النصر في الحروب الأمريكية، وكانت قاصرة عن ذلك في العناصر الأخرى للموضوع.

02-الدّراسة المقدّمة من طرف عماد يوسف قدورة، **نسبية النصر والهزيمة في الحروب الحديثة**، الصادرة عن المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات بالدوحة، قطر، 2013م، وهي تقدّم تفسيرا لفكرة النصر خاصّة بالحديث عن ثنائية العدالة والصمود، وتضيف لذلك دور التقنية والتقدّم العلمي في تحقيق الانتصار، ورغم ذلك فقد وجدناها مفرطة في التلخيص، وأقرب إلى الكتابة الصحفية، بالرغم من أنّ صاحبها هو أحد مدراء عدد من مراكز الدراسات الاستراتيجية منذ 1996م.

03-مقال ظافر مراد، **مفهوم النصر في السياسة والحرب**، مجلّة الجيش، لبنان، العدد372، جوان 2016م، وهي التي حاولت التفصيل في فكرة النصر، وضرورة أن لا توكل الحرب إلى العسكريين لوحدهم، وهي حقيقة لا يمكن إنكارها ولها من الاثبات التاريخي ما يعززها، إلاّ أنّ المقال استغرق في فكرة البعد المعنوي للانتصار، ودلالات ذلك في المحيط العربي؛ خاصة في لبنان، وعلى هذا الأساس فإنّنا نرى أنّ الدراسة كانت لتكون أشمل، لو توسّعت في فهم جوانب تحوّلات الحرب، خاصة مع الأشكال الحديثة للحروب.

إحدى عشر :صعوبات الدراسة

إنّ جاذبية الموضوع جعلتنا نتجاوز الكثير من المثبّطات المتّصلة خاصّة بالترجمة، والقيمة العلمية للمراجع، وبعدها عن الذّاتية، لتبقى الصعوبة في إخراج العمل في آجال زمنية أقصر، وبعيدا عن التوسّع، وكذا الاستغراق في نقاشات مفاهيمية حول الموضوع.

اثنا عشر: تفصيل الدراسة

يتكوّن العمل من ثلاثة فصول، اريد لها أن تحيط إحاطة شاملة بالموضوع، وأن تجري فيها الإجابة عن الإشكالية بشكل مفصّل وواف؛

يتصل الفصل الأول بتفكيك حالة النصر في الحروب، من خلال البحث في المفهوم والنظرية والتجارب، ويمر ذلك بالوقوف على الإطار المفهومي والنظري للحرب، ودراسة حالة الانتصار في الحروب النظامية وغير النظامية، أمّا الفصل الثاني فيناقش الدافعية للانتصار في الحروب، من خلال التعرّض لدراسة الشحن الديني كحافز لذلك الانتصار، وكذا الإلمام بالحروب ذات البعد التوسعي والاقتصادي، واستعراض نماذج تاريخية للانتصار في المعارك الحاسمة.

يتعرّض الفصل الثالث إلى النّقاش الاستراتيجي بشأن كسب الحرب، ومن ذلك الكفاءة القتالية للجيوش، وتصوّرات الانتصار في الحرب، واستخدام التقنية في الشّأن العسكري وتحوّلات الحرب، ومناقشة الانتصار في الحرب على أساس المعوقات والمبادئ الأخلاقية، وصولا في الأخير إلى إدارة الحرب في العصر النووي.

الفصل الأول:

تفكيك حالة النصر في الحروب:

بحث في المفهوم والنظرية

والتطبيقات

الفصل الأول: تفكيك حالة النصر في الحروب: بحث في المفهوم والنظرية والتجارب

تدخل الجماعات والدول في حالات اختلاف ونزاع بمسببات عدّة، ولطالما تم النظر إلى الحرب كوسيلة فعالة في حسم هذه الاختلافات، وانتزاع الحقوق أو تفعيل العدوان على الآخرين، ونظرا للطابع الوحشي الذي ظلّت توصف به الحرب؛ فإنّها لاقت الاستهجان والرفض بدلالة الأطر الأخلاقية، وتم تقييد اللّجوء إليها في الأعراف والقوانين والأديان، إلاّ أن ذلك لم يمنع من أن تكون السبيل الأكثر فاعلية، والخيار المحبّذ لدى السياسيين والقادة، وذلك اعتمادا على المخرجات الإيجابية لها بالنسبة لهؤلاء المنتصرين، وتبعا لما توفره من مكاسب وتوسع في النفوذ وعلى الأرض.

يعتبر دخول الحرب عملا واعيا، يستلزم حالة من الإعداد والتهيؤ؛ تحت عنوان استراتيجي هو النصر عند خوض المعارك، وهذا النصر يصرف النظر عن التكاليف المحققة له، فإنّه يعد الغاية المنشودة والتوقع المتطلع إليه في الحسابات الاستراتيجية والخطط العسكرية، وهو ما يقتضي بحث الجانب المفهومي بشأنه، وذلك من خلال تفكيك منظومة الانتصار في الحرب، بالتطرق إلى مفهوم الحرب والنظرية العامة لها، وكذا الاضطلاع بالبحث في مفاهيم التخطيط، وأساليب الحرب وأنماطها المتعددة.

المبحث الاول: الإطار المفهومي والنظري للحرب

يرتبط البحث في أساسيات الانتصار في الحرب وضمانات ذلك، بالرجوع إلى تحديد المفردات المقترنة بالدافعية للحرب وأدواتها وأطرافها، ويحقق الإطار المفهومي ذلك من خلال عرض الجانب اللغوي والاصطلاحي للحرب، مع ما يتبع ذلك من تتبع للأسباب والأنماط، وفي جانب أخر يقتضي الفهم اللغوي والاصطلاحي الوقوف على قاعدة صلبة من التضمين النظري، بشأن الحرب ومجرياتها، والتصور الأصوب حول قدرة الدول خوض حروبها مع قدرات متزايدة في الفوز بها.

المطلب الأول: الإطار المفهومي للحرب

تُعرّف الحرب لغة على أنّها قتال بين فئتين، وجمعها حُروب وعكسها سِلْم، وإذا قيل استعرت الحَرْب؛ أي أنّها أصبحت شديدة وقوية، أمّا إذا قيل وضعت الحرب أوزارها، فهذا يعني أنّ القتال انتهى، ومصطلح الحَرْبُ بينهم سجال؛ يعني أنّ الحرب انتهت دون فوز أو هزيمة أي من الأطراف المتحاربة

للطرف الآخر، ودارُ الحَرْبِ هي بِلاد الأعداء، ورجل الحَرْبْ هو صاحب الخبرة في إدارة وتسيير المعارك الحربيّة. (1)

إنّ المركزية الفردية التي ميّزت عمليات البحث في التاريخ الإنساني، ركزت بشدة على مفهوم الحرب كمفهوم أساسي وأصيل في تاريخ العلاقات الإنسانية، فأصل الكلمة يعود في اليونانية إلى لفظ *Polemos* التي اشتقت من الأصل الإفريقي *Poles* التي كان يعني بها العدد الكبير والمقترن في العادة بتركيبة الجيوش، أمّا في اللاتنية فيتواكب المعنى مع الكلمة *Bellum* المشتقة من *Duellum* المقترنة بالمآسي بعد كل قتال، وفي الفرنية يأتي لفظ *Guerre* التي اشتقت من صرخة الحرب وهي اللفظة الحلقية اللاتنية *Werra* التي جاء منها اللفظ الألماني *Weher* والإنجليزي *War* ، واللفظ اللاتيني المحرف *Guerra* المستعملة في اللغتين الإيطالية والإسبانية. (2)

إنّ التميّيز اللغوي للحرب باعتبارها ممارسة اجتماعية عنيفة لازمت التاريخ الإنساني، إنّما يقترن بالأساس بالشواهد التاريخية على عنف تلك الحروب وكذا الخسائر الناجمة عنها، والادوات المستعملة فيها، والأسباب التي أثارتها والأهداف التي سعى المتقاتلون لتحقيقها، وبذلك فإنّ التعريف اللغوي لوحده يظل قاصرا عن الإحاطة بمعنى الحرب ومفهومها على وجه الدقة.

اقترنت الحرب بحالة التطور التقني للحضارة الإنسانية، وبالتالي فإنه يجري تعريفها أيضا من خلال حالة الانتظام التي ميّزت المجتمعات الإنسانية، بنشوء الدول والإمبراطوريات المتعاقبة؛ ومن جانب آخر بأدوات العنف المقترنة بخوض الحروب، وعلى هذا الأساس تشكّل الحرب النموذج الذي يسمح بالتمييز بين وضعيتي القهر والعنف من جهة؛ والحرية والسلام من جهة أخرى. (3)

يمكن تعريف الحرب اصطلاحا على أنّها صراع مسلح عنيف مفتوح ومعلن بين وحدتين سياسيتين، ممثلتين في دولتين أو حلفي دول أو بين عصبتين في الدولة الواحدة أو الأمة، ولكل طرف منها مصالح متعارضة مع مصالح الطرف الآخر. (4)

إنّ هذا التعريف يركز على فحوى الحرب، وكذا الأطراف المشاركة فيها، وبالتالي فإنّه يتجاوز عنصر الاسباب والآجال الزمنية؛ وحدة الحرب وما تخلفه من خسائر وضحايا، لهذا تنصرف تعريفات أخرى

(1)- مادة **حرب**، في : أبو الحسين ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب،(لبنان: بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط01، 2001)، ص245.

(2)-غاستون بوتول، **ظاهرة الحرب**، تر: إيلي نصار (لبنان: بيروت، دار الفرابي، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2007)، ص33

(3) - ريتشارد نيد ليبو، **لماذا نتحارب الأمم؟ دوافع الحرب في الماضي والمستقبل**، تر: إيهاب عبد الرحيم علي، (الكويت: الصفاة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، 2013)، ص20.

(4)- فتح التريكي، **الفلاسفة والحرب**، تر: زهير المدنيني، (لبنان: بيروت، دار الروافد الثقافية ناشرون، ط1، 2015) ص61

إلى الربط بين الحرب ومداها ونتائجها، وحيث أنّ الحرب هي منافسة عسكرية تقترن بالأهداف السياسية، فإنّ ذلك سيتذكر مقولة كلاوزفيتز حول كون الحرب استمرار للسياسة بوسائل أخرى.

يعرف هيدلي بول *Hudly Bull* الحرب على أنّها "**عنف منظم تقوم به وحدات سياسية ضد بعضها البعض** "، ولقد جرى إضافة المجال الجانبي الكمّي لهذا التعريف، بأن تكون خسائر هذه الحرب لا تقل عن 1000 قتيل. [1]

يرى كارل دويتش *Karl Deutsch* في الحرب درجة عالية من العنف المنظم، تحضّر له وتقوم به دولة معتبرة ذلك عملا شرعيا، يدخل في نطاق حقوقها، ويكون هذا العنف المنظم موجها ضد دولة أخرى، أو إحدى الوحدات السياسية غير الدولة، كالمنظمات والحركات السياسية. [2]

يتصل هذا التعريف بالإشارة إلى الدولة؛ بكونها المرادف للمسؤولية عن العمل الحربي، في حين أنّ الحرب قد تكون بين أطراف من غير الدول، وبأشكال تزداد حدّتها ودرجة التصعيد فيها من الخلاف في حدّه الأدنى، إلى أعلى مستويات العنف، كما أنّها قد تخاض ضمن تحالفات وبآجال زمنية مختلفة. يمثل التورط في الحرب إقرارا بفشل التوافق والتفاهم بين الأطراف المتحاربة، فتصبح أولوياتها إلحاق الضرر بمصادر قوة الخصم والسعي إلى تدميره، ويعبر عن ذلك في النهاية بمفهوم الانتصار، ويمكن الإشارة إلى بعض الملاحظات الأساسية حول الحرب كمفهوم وأيضا كعملية:

فبالنسبة للحرب كمفهوم فهي توصف بأنّها حالة قانونية يقرها العرف والقانون، وتصبح مبرّرة في الدفاع الشرعي بحسب توصيف الأطراف التي تخوضها، وشكّل تطور القانون الدولي حالة من الضبط لقواعد الحرب بصرف النظر عن مدى الالتزام بها، ويمثل الربط بين قيام الحرب أو وجود جماعتين أو أكثر على حالة عداء، حالةٌ إقرار بتأثير اتجاهات جماعية، أكثر من كونها فردية في تثبيت هذا العداء. [3]

إنّه ولأجل تميز الحرب في مفهومها عن أعمال العنف الأخرى، فإنّه تم تحديد ثلاثة شروط بشأن توصيف وضع ما على أنّه حرب:

- وجود ألف (1000) قتيل كحد أدنى للنزاع المسلّح؛

(1) - جهاد عودة، **العلاقات الاستراتيجية والعسكرية، ج3: الحرب والعلاقات الدولية**، القاهرة، دار الكتبا الحديث، ط2، 2015، ص629.

(2) - نصيف يوسف حتي، **النظرية في العلاقات الدولية**، (لبنان: بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1985)، ص295.

(3)منير محمود بدوى، **"مفهوم الصراع : دراسة فى الأصول النظرية للأسباب والأنواع"**، مجلة دراسات مستقبلية ، مصر، مركز دراسات المستقبل ، جامعة أسيوط ، العدد الثالث (يوليو 1997م)، ص ص: 35-82.

- تحضير مسبق للنزاع عبر وسائل التعبئة والتجنيد والتدريب ونشر القوات المسلحة، وكذلك اعتماد الخطط للقتال والتسلّح؛
- وجود تغطية شرعية من دولة أو وحدة سياسية لهذا العمل، من خلال اعتبار ما تقوم به ليس بمثابة جريمة، وإنّما هو واجب لخدمة أهداف جوهرية وشرعية لهذه الوحدة. (1)

تعبّر الحرب كوضع عن تجاوز مراحل الهدوء والتوافق، نحو وضع تنافسي يصل في ذروته إلى العداء، فتصبح الحرب بمثابة الحل الضروري والأكثر فاعلية في نظر من يخوضه، لحسم الخلاف أو تحقيق الأهداف التي فشلت الطرق السلمية في ضمانها، وتناقش الحرب أيضا كعملية، وذلك بالإشارة إلى الارتباط والتفاعل بين أربع مكونات أساسية، وهي:

- النشاط أو العمليات العسكرية؛
- المستوى العالي من التوتر؛
- الوضع القانوني غير العادي؛
- الدرجة الرفيعة من التكامل السياسي. (2)

إنّ الإحاطة بمفهوم الحرب وربط ذلك بالشواهد التاريخية، واستعراض الحروب التي شهدها العالم، والتي كانت سببا في التحولات الكبرى للمجتمعات الإنسانية، تقتضي التميّز بين هذه الحروب، بحسب طبيعتها ومداها ومسبباتها.

رغم أنّ الحروب تشترك في طبيعتها العنيفة، والعدائية الشديدة بين أطرافها، إلاّ أنّها ليست على نفس الشاكلة، حيث يجري تصنيفها بحسب أهدافها المعلنة وأسبابها والغايات من ورائها، وفي المجمل يمكن الوقوف على عدد من أنواع هذه الحروب التي تتباين فيها المعايير، وذلك على النحو التالي:

01-من حيث الحدة: يمكن الإشارة إلى ما تسمى بالحرب الساخنة والفعلية، مقابل الحرب الباردة التي شهد العالم مثيلا لها إبّان الصراع الإيديولوجي (1945-1989م)، وضمن الحدّة توصف الحروب بمستوى الاشتباكات والعنف الواقعي فيها والخسائر المترتبة عنها والنفقات المبذولة فيها؛

02-من حيث النطاق: حيث يمكن الإشارة إلى ما توصف بالحرب الشاملة *Total war* مقابل الحرب المحدودة *Limited war* (3)، وتدمج في هذه الثنائية حروب الحدود، والحروب الثنائية مقابل الحروب الدولية والعالمية، والتي قد تشمل قارة أو إقليما بالكامل كما حدث في الحربين العالميتين الأولى

(1)- نصيف يوسف حتي، مرجع سابق، ص295.
(2)- منير بدوي، مرجع سابق، ص ص: 35-82.
(3) - جهاد عودة، مرجع سابق، ص634.

والثانية، وتمتاز الحروب المحدودة بقلة الخسائر وتدني مستوى الخطر على الأمن الدولي مقارنة بجسامة المخاطر ومستوى التهديد العالي بالنسبة للنمط الثاني.

03-من حيث الأسلحة المستعملة: حيث تكون بصدد طبيعة هذه الأسلحة وتخصصاتها، فبالنسبة للمؤشر الأول يمكن ربطه بحداثة الأسلحة وقوتها التدميرية، وفي هذا الصدد يمكن التفرقة بين الحروب التقليدية والحروب التي تستعمل فيها أسلحة الدمار الشامل؛ وعلى رأسها الأسلحة النووية والكيماوية، بينما يشير معيار تخصص الأسلحة إلى المجال الذي تخاض فيه الحروب بين النطاقات الثلاث، البر حيث توصف الحرب بكونها حربا برية، وتوصف في البحر بكونها حربا بحرية، بينما توصف في الجو وفي الفضاء بحروب الجو أو حروب السيطرة على الجو.

04-من حيث التوقيت والمدة الزمنية: حيث أن هناك حربا سريعة وخاطفة، مقابل حربا متطاولة تسمى بحرب الاستنزاف، التي تبنى على فكرة الاستهلاك التدريجي لقوة الخصم، وضمن التوقيت أيضا هناك شكلان من الحرب هما الحرب الاستباقية وحرب الإحباط أو الحرب الوقائية.

05-من حيث الخوض الفعلي للحرب: يعد هذا المعيار شرحا لفكرة المباشرة الفعلية للحرب؛ نتيجة العداء مع الطرف الآخر، حيث عبر التاريخ الإنساني كانت الأطراف إما تخوض الحرب بصفة أو توكل الأمر لطرف آخر تدعمه يخوض الحرب نيابة عنها مقابل مصالح معينة، فتسمى في الحالة الأولى الحرب المباشرة، فيما توصف في الحالة الثانية بالحرب بالوكالة.

06-من حيث الفاعلين: يتصل هذا المعيار بالأطراف المشاركة في الحرب، ومستوى الرسمية المقترن بهم، فنكون بصدد حرب أهلية مقابل حرب نظامية بين الدول في جانب، وفي جانب آخر نكون إزاء حرب تحرير؛ تأخذ في الغالب شكل حرب العصابات، مقابل حالة التصدّي من الدول خاصة الاستعمارية ضدّها، توصف بمناهضة التمرد أو الحرب المضّادة للعصابات وهي التي تنتمي إلى الحروب الاستعمارية التي جرى تحديث أساليبها.

07-من حيث التوصيف الأخلاقي: بالرغم من أن الحرب توصف على أنّها عمل غير أخلاقي؛ لما فيها من مواصفات الوحشية والعنف، إلاّ أن هناك تقسيما فلسفيا تجذر حولها يميز بين الحروب العادلة *Just War* والحروب غير العادلة*Unjust War*، حيث تخاض الأولى تحت مبرر العدالة وإرجاع الحقوق ورفع الظلم، وتوصف بأنّها حرب مبرّرة، فيما تأخذ الثانية طابع العدوان والظلم وانتهاك القوانين الخاصة بالحروب.

يمكن أيضا الإشارة للحروب المخطط لاندلاعها والمتوقعة، والحروب التي تندلع عن طريق الخطأ، أو بشكل غير متوقع، وتوصف بالحروب عن طريق الصدفة والخطأ *Accedental war* .

يساعد التفصيل بشأن أنواع الحروب في الوقوف على الأسباب الرئيسية المؤدية لاندلاعها، والتي تتراوح بين أسباب نفسية متصلة بشخصيات القادة وميولاتهم وإدراكاتهم وتجاربهم السابقة، وكذا أسباب اقتصادية تتراوح بين الضائقة الاقتصادية وضغوط الكساد؛ والرغبة في فتح أسواق جديدة، أو الهيمنة على موارد الثروة، أو توطين الفائض السكاني الذي تعاني منه تلك الدول، كما حدث خلال الحقبة الاستعمارية لدول افريقيا وآسيا، ويضاف إلى ذلك أنّ هناك ثلاثة دوافع أخرى تتصل بخوض الحروب في سياقها الاستعماري، وهي الخوف من ضياع إقليم لصالح دولة أخرى، والمنفعة المتوقعة من احتلاله، والشرف بالنسبة للقادة في ذلك[1]، يضاف إلى هذه الأسباب الاختلافات العقائدية والطائفية وكذا العرقية، التي ترفع مستوى الشحن العدائي بين المكونات السكانية، وتسهم عبر التحريض والاعتقاد بالتفوق، في اندلاع الحروب، وما يسفر عنها من جرائم إبادة وتهجير واقصاء، ولقد مثلت الحروب الدينية في أوربا (1618-1648م) ، وتعد الحروب الطائفية في العالم العربي والحروب العرقية في إفريقيا توصيفا لهذه الأسباب.

تتصل أيضا الحروب بأسباب متعلقة بالنظام الدولي، حيث أن الطبيعة الفوضوية للمجتمع الدولي وعدم الانضباط فيه، أدى إلى فشل كل مشاريع الأمن الجماعي وسهل الدفاعية نحو الحرب [2]، وفي المجمل يمكن القول أنّ الحرب كظاهرة تتعدد أسبابها وأنماطها ونتائجها، وهي على هذا النحو، تحيل إلى النقاش التنظيري بشأنها، كغيرها من ظواهر العلاقات الدولية.

المطلب الثاني: نظرية الحرب ورهان الانتصار فيها

تمثل الحرب ظاهرة إنسانية معقّدة، ينحصر النّقاش حولها غالبا بشأن البدايات والأماكن والنتائج، ولئن أصبحت الحروب تصنّف بحسب الأسلحة المستخدمة فيها؛ بالحديث عن الحرب التقليدية

(1) -جهاد عودة، مرجع سابق، ص637.
(2)- ريتشارد نيد ليبو، مرجع سابق، ص23.

والحرب الحديثة، فإن الهدف من كل حرب يظل تحقيق شكل من أشكال السلم، كلّما عجزت عن ذلك صيغ التفاهم السياسي، وفي ذلك عودة لمقولة كلاوزفيتز المتعلقة بكون الحرب استمرارا للسياسة بوسائل أخرى، ولفهم هذه الظاهرة وأسباب نشوئها ومبررات إنهائها، كان هناك سعي لبناء نظرية حول الحرب، انطلاقا من التركيز على مستويات التحليل المعروفة (الفرد، الدولة، النظام الدولي)، وما طغى على أدبيات العلاقات الدولية حول الحرب وأسبابها، حيث الدراسات المستمدة من الاعمال المهمة في التاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد[1]، في ظل تنافس بين وجهة النظر الواقعية والسلوكية والماركسية والنظريات العقلانية.

عند التطرّق إلى مستوى الفرد في التحليل؛ فإنه يجري التركيز على التفسيرات السيكولوجية للحرب، وذلك من خلال الربط بين الحرب والصفة العدوانية في البشر، والاستعداد الثقافي نحو العنف والاحتياجات النفسية والشعور بالنقص والإحباط، وهي صفات تتزايد خطورتها كلما ارتبطت بصنّاع القرار، ويدعم السير توماس مور *THOMAS More* (1478–1535م) هذا الرأي بقوله:

"**لا يتوجه عامّة النّاس للحرب بمحض اختيارهم، ولكنّ هوس الملوك هو الذي يسوقهم إليها**". [2]

إنّ التركيز على فهم الحرب في الإطار النفسي يدفع نحو استحضار البناء النفسي للأفراد، وهو ما دأبت عليه عدد من الدراسات في التنظير للحرب كظاهرة وأساسيات الانتصار فيها كمطلب، ويشير هربرت كيلمان *HERBERT Kelman* إلى أنّ الدراسات التي تتناول الحرب والسلم اعتمادا على الجانب النفسي، لم تكن وثيقة الصّلة بالتفاعل بين الدول، كما أنّها بالغت في أهمية الدافع الفردي للعدوان، متجاهلة القدرة في السيطرة على السلوك؛ بحسب الأدوار والمصالح والقدرات في القرارات النهائية، وبالتالي تصبح الحرب أكبر من كونها انعكاسا صرفا لدوافع الأفراد والقادة.[3]

يشير التحليل الأكثر رواجا حول التفسير النفسي للحرب، بأنّ الحروب تندلع في خضم الاحتياجات السيكولوجية للقادة والأفراد، واعتمادا على الهرم الذي وضعه ابراهام ماسلو *ABRAHAM Maslow* فإنّ قمة تلك الاحتياجات تتمثل في تحقيق الذّات والشعور بالاطمئنان والأمان الفيزيائي والنفسي، ولهذا

(1)- ريشارد نيد ليبو، مرجع سابق، ص33.

(2)- جرج كاشمان، **لماذا تنشب الحروب**، ج1، تر: أحمد حمدي محمود، (مصر: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط01، 1996)، ص65.

([3]) جمس دورتي وروبرت بالتسغراف، **النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية**، تر: وليد عبد الحي (الكويت: مكتبة شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع والمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط11985)، ص143.

فإن هناك ميلاً لاستخدام القوة العسكرية عند الإحساس بقلة تقدير الذات[1]، فيصبح الاستمرار في الحرب رغبة في التعويض عن ذلك النقص.

إنّ إدارة الحرب تنسجم مع نمط الشخصيّة ومعتقدات القادة، وتكون الحرب أكثر خطورة إذا ارتبطت بقادة أصحاب شخصيات غير سويّة؛ أو على الأقل بشخصيّات متسلّطة، تكون أميل للدفاع عن سياسات التهديد واستخدام القوة العسكريّة، والاعتراض على سياسة الهدنة والمصالحة، وتبذل هذه الشخصية كل المساعي في السيطرة على المرؤوسين والميل نحو استخدام المفاهيم النمطيّة، مع نظرة ثابتة للعالم السياسي على أنّه مكوّن من أصدقاء وأعداء[2]، ويعطي عصر الحرب الباردة إثباتات عديدة عن الحروب التي اندلعت تحت هذا التفسير، ومن ذلك الحرب بين الهند والباكستان سنة 1971م، والحرب التي أعلنها القذّافي ضد تشاد سنة 1983م، وصدّام ضدّ الكويت سنة 1990م .

إذا كانت العوامل السيكولوجية تحظى بهذه الأهمية في تفسير الحرب، فإنّ ذلك يوجب التركيز على آداء القادة خلال الفترات التي تسبق وتتزامن وتلي الحروب، وتكون بذلك منظومة صنع القرار تحت الرقابة بشأن مدى تأثير العوامل السيكولوجية على إصدار قرارات السلم أو الحرب، وهنا تتم الإحاطة بالصور والمدركات، وسوء الإدراك وسوء التقدير، ويجري البحث في محتوى النسق الاعتقادي للقادة، كل ذلك من أجل بناء سيناريوهات للحرب وتطوراتها وردود الأفعال، والمقارنات عبر التاريخية؛ والحيلولة دون الفجوة ما بين الوسط النفسي والوسط العملي.

يبرز سياق آخر في تفسير الحروب والتنظير لها متجاوزا الإطار النفسي، وهو المتعلّق بصنع القرار على مستوى الحكومة، وهو الذي يقرن بالتفسير على مستوى الدولة، ففي نطاق الحكومات الحديثة؛ فإنّ الصيغة المقبولة أن تصنع القرارات بمعرفة مجالس الوزراء والهيئات التشريعية والرقابية، بدلا من إنفراد الرؤساء وقادة الجيش بذلك، وبالتالي فإنّ تفسير الحرب يتصل بفحص الوسائل التي تتّبعها المجموعات الصغيرة المحيطة بزعماء الحكومات في ظرفي الحرب والسلم، ويشكّل تطور المجتمع الدولي دافعا نحو إتباع سياسات أكثر مسالمة نظرا لقيود الديمقراطية على الانخراط في الحرب، وهو

(1) - جرج كاشمان، مرجع السابق، ص ص 68، 69.

(2)-أحمد نوري النعيمي، **عملية صنع القرار في السياسة الخارجية**، (الأردن، عمان، دار زهران، ط1، 2011) ص264.

ما يذكّرنا بمسلّمة ايمانويل كانط *EMMANUEL Kant* (1724-1804م) "**الديمقراطيات لا تحارب بعضها البعض**"[1]

تصوغ الحكومات حسب جرج كاشمان *GEORG Cachman* -مؤلف كتاب لماذا تنشب الحروب- سياساتها وفق نموذج RAM (RATIONAL ACTOR MODEL) المعبر عنه في أبجديات صنع القرار بنموذج الفاعل العقلاني، والمتضمن لتسع خطوات[2]، وينتهي إلى التدقيق في القرارات من خلال الانتقاء العقلاني لخيار، هو في الغالب تجنب الحرب غير المرغوبة، أو الدفع نحو شن حرب تبدو كل المؤشرات دالّة على كونها حربا ناجحة؛ وبأقل التكاليف.

يمكن استعراض حالة حرب فيتنام لفهم التفسير المتّصل بالعملية الحكومية، والتحليل على مستوى الدولة، حيث غالبا ما يصوّر تورّط الولايات المتّحدة الأمريكيّة في فيتنام، على أنّه جاء نتيجة لاتّباع قرارات مزايدة أصدرتها الإدارات المتعاقبة، على أساس الاعتقاد بإمكانيّة تدارك الخسارة؛ كلّما زادت تغطية وتصحيح الأخطاء، والتي انتهت إلى زيادة عدد القوات الأمريكية في فيتنام وتوسعة نطاق العمليات العسكريّة. [3]

يتّجه التّحليل على مستوى النظام الدولي إلى الربط بين التطور التّاريخي لهذا الأخير، وشكل الحروب وأسبابها وإدارتها والانتصار فيها، وعلى الرّغم من سعي المؤسّسات الدولية تجنّب الحروب، وحل المشكلات العالمية سلميّا، تزداد قدرة الحكومات على تعبئة شعوبها للحرب، كما تزداد تكنولوجيا العنف الجماعي. [4]

وعند النظر إلى أثر النّظام الدولي في ذلك، يتم الحديث عن دورات الحرب بين الدول المهيمنة والدول التي تعمد إلى تحدّي تلك الهيمنة، وفي هذا الإطار يمكن الاستعانة بإسهامات روبرت جلبن *ROBERT Gilpin* وجورج مودلسكي *GEORGE MODELSKI* (1926-2014م) حيث يلخّص **جلبن** نظريّته في كتابه "الحرب والتغيير في السياسة العالمية "، وفيه يركّز على الحروب من الناحية التّاريخية، وكيف أنّ ما يحرّك توجّه الدول نحو الزعامة هو النّصر العسكري، والدول التي

---

(1)-**Robert Jackson** *and* **Georg Sørensen**, **Introduction to International Relations** *:Théories and Approaches*,(UK : Oxford, Oxford University Press ,Sixth Edition,2015), p110.

(2) تشمل هذه الخطوات التعرف على المشكلة وتحديد الأهداف وترتيبها وتجميع المعلومات والتعرف على الوسائل وتحليل كل بديل ممكن، واختيار أفضل بديل، ثم تطبيق القرار ومتابعته، والعمل بالتقييم المتوصل إليه، أنظر أحمد نوري النعيمي، مرجع سابق، ص294.

(3)- جرج كاشمان، مرجع سابق، ص134.

(4)- جهاد الحسن، **"في أسباب الحروب ودوافعها"** مجلة الجيش اللبناني، العدد 371، أيار 2016، ص ص 57 – 60.

تحرز ذلك تحارب من أجل السّيطرة على النظام الدولي، فتنشأ حالة من التّعارض ما بين الطرف المهيمن، وبلد يتحدّى تلك الهيمنة، وبإمكان الطرف المتحدّي أن يزيح الطّرف المهيمن، وهو ما يطلق عليه "جلبن" انحلال المكانة النّسبية للطرف المسيطر، وذلك لعدّة عوامل :

- ارتفاع تكلفة الحفاظ على الهيمنة في النّظام، بما في ذلك من نفقات عسكرية ومساعدات للحلفاء، وإسهام في التزوّد بالسلع للمحافظة على اقتصاد العالم؛
- فقدان الزعامة الاقتصادية والتكنولوجية، وانتقالها إلى دول أخرى، خصوصا مع ميل الدولة المسيطرة إلى التركيز على الاستهلاك على حساب الاستثمار؛
- ميزة التخلّف ونشر التكنولوجيا العسكرية والاقتصادية بعيدا عن المركز؛
- تقلّص موارد المسيطر؛
- نزوع السلطة إلى الانتقال من المركز إلى المحيط بعد إنهاك المركز. [1]

اعتمادا على التحليل الذي يقدّمه جلبن؛ فإنّ النّظام الدولي شهد ظهور الحكومة المهيمنة بوضوح في الفترة ما بين 1815–1939م، حينما كانت القوّة المهيمنة هي إنجلترا، وفرضت ما يسمّى بالسّلام البريطاني *Pax Britannica* ، والفترة منذ 1939م ببروز القوة الأمريكيّة ووصولها في نهاية الحرب الباردة إلى تشكيل نمط من الأحاديّة القطبيّة.

يطرح "جورج مودلسكي " نظرية في العلاقات الدولية والحرب، أسماها نظرية الدورة الطويلة، حيث يرى أنّ هناك ثلاث بنيات في نظام العالم:

- النظام السياسي العالمي؛
- النظام الاقتصادي العالمي؛
- نظام الثقافة العالمية. [2]

يرى مودلسكي أنّ الحروب العالمية تتم بشكل دوري نتيجة بنية النظام الدولي، وتتابع صعود وانحدار القوى فيه، وأنّ هذه الدورة تتم كلّ مئة عام تقريبا، منذ سنة 1494م، مع صعود البرتغال كقوة عالمية مهيمنة، وتستفيد نظرية مودلسكي من نظرية انتقال القوة *The power transition theory* للمفكر أبرامو أورجانسكي *ABRAMO Organski*، التي تنص على أنّ الصراعات والحروب تحدث انتقال

(1) جرج كاشمان، **لماذا تنشب الحروب؟** ج02، (مصر: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1996) ص ص 153 - 157

(2) Jayantanuja Bandyopadhyaya, **A general of theory international relations**, (India :New Delhi, allied publishers, 1993), p237 .

القوة وإعادة توزيعها بين الدول، أي أنّ العالم يمر بدورة طويلة من عملية انتقال القوة من دولة إلى أخرى، وهو ما يتسبّب مع نهاية الدورة في نشوب حروب، بسبب الفراغ وعدم وجود دولة مهيمنة في النظام الدولي.[1]

إن الشرح الذي يقدّمه مودلسكي في فهم ظاهرة الحرب والتنظير لها، يفرز حيّزا مهما لمفهوم السلام والاستقرار؛ حيث أنّ القوة المتاحة للدولة المهيمنة ستدفع الأطراف الأخرى إلى عدم تحدّي الدولة، إلاّ في حالة امتلاك القدرة على بداية دورة جديدة.

إنّ اعتماد مستويات التحليل في الحديث عن الحرب والانتصار فيها، يتداخل مع ما قدّمته النظريات المختلفة في تفسير الحرب والتي سيجري التطرّق إليها عبر استعراض منظور كلّ منها لمسببات الحرب ونتائجها، فقد انطلقت الواقعية مثلا في تحليلها للحرب بالنظر إليها كأحد المسلّمات في الواقع الإنساني، حيث تسعى الدول إلى ضمان أمنها وزيادة قوّتها، واستغلال ما يتاح لها من موارد وإمكانات في تحقيق مصالحها الخاصة، وهي مستعدة في سبيل ذلك إلى استعمال القوة ضد كل تهديد تستشعره، فتصبح بذلك القوة العسكرية ضمانة في ظل مجتمع دولي فوضوي، بسبب غياب السلطة القادرة على فرض النظام، وغياب تلك السلطة يقود الدول إلى البحث عن كل الإمكانيات المتاحة لتعزيز أمنها، وتكمن جذور هذا الرأي في فلسفة كل من مكيافيلي وهوبز. [2]

يضع هانس مورغانتو HANZ Morgentau (1904-1980م) الحرب ضمن توجّهات السياسة الخارجية، والتي تتراوح بين سعي الدول إلى الإبقاء على الوضع الرّاهن أو تغييره، أو إظهار الهيبة، ويرى أنّ احتمال الحرب يظلّ واردا في ظل الأفضلية العسكريّة، وبالاعتماد على مفهوم معضلة الأمن *Security dilemma* ؛ يدافع جون هيرز JOHN-Herz عن التفسير القائل بأنّ ما يدفع الدول إلى تبنّي العنف، هو حجم المخاوف من التهديدات المحتملة، حيث تكتسب الدولة القوة لتجنّب الهجوم عليها أو الإخضاع من دولة أخرى، فينشأ تصاعد في تكديس القوة يعبّر عنه بمعضلة الأمن ، والذي تناسب مع أجواء الحرب الباردة وثنائية الأقطاب، وحيث أنّ الحرب مكلّفة؛ فإنّه لتجاوز هذه

(1)-Craig W.matstapeter, **The instruments of national power : acheiving the strategic advantage in changing world**, submitted in partial ful fillment of the requirements for degree of Master of ARTS in Security Studies (Homeland Security and Defense), NAVAL POSTGRADUATE SCHOOL MONTERY, CALIFORNIA, USA, December 2008, p39.

(2)-أحمد جلال، **صراع القوى المدنية العسكرية واثره على السياسة الخارجية التركية**، (مصر: القاهرة، المكتب الغربي للمعارف، ط05، 2015)، ص69.

المعضلة، تسعى الدول إلى التريّث في إبداء النمط الهجومي، أملا في تجنّب الانسياق وراء ضغوط التصعيد .

تنتمي طروحات الواقعية بشأن الحرب إلى ثلاث مدارس فكريّة، وهي:

– الواقعية الكلاسيكية التي تنظر إلى الحرب الأكثر أهمية على أنها تلك الحرب المتعلّقة بغطرسة القوى العظمى، حيث نجاحها يشجّع القادة على المغالاة في الاعتقاد الخاطئ، بأنّه في وسعهم النّجاح في إخضاع الآخرين، ويعطينا التاريخ أمثلة عن ذلك، مثل الحروب اليونانية، وحروب نابليون، وألمانيا القيصريّة، ثمّ النّازيّة، ويجادل الواقعيّون الكلاسيكيّون بأنّ الولايات المتّحدة الأمريكية أقرب ما تكون إلى هذا الوضع بعد الحرب الباردة. (1)

– تيار الواقعية الهجومية Offensive Realism الذي يمثله خاصة "جون مرشايمر JOHN Mearsheimer عبر كتابه "مأساة القوى العظمى"، والذي استند إلى منظور متشائم بشأن الصّدام المتوقّع بين الدول، وهناك التيار المقابل المتمثل في الواقعية الدفاعية Defensive Realism والتي من روّادها "ستيفن والت Stephen Walt ؛ حيث يرى أنصارها أنّ الحرب تكون أكثر شيوعا في الفترات التي يعتقد قادتها أنّ لديهم فرصا هجومية كبيرة، أو أنهم يعانون من ثغرات دفاعية فيشعلون الحروب على نحو استباقي، فبالنسبة للحرب العالمية الأولى مثلا تمّ تحليل أسباب اندلاعها من منطق الحاجة الدفاعية، والتخوف من زيادة قوّة الخصم، وعدم إمكانية الانتصار عليه فيما بعد. (2)

على خلاف ما طرح في الغرب بشأن تفسير الحرب ومسبّباتها ركّز الماركسيّون على العوامل الاقتصادية مقدّمين ما عرف بتفسير الإمبريالية والحرب، وذلك من خلال إسقاط فكرة الصراع بين الطّبقات على التاريخ الإنساني، والنظر إلى الرأسمالية كحالة اضطهاد واستغلال، سوف تؤدّي في الأخير إلى الثورة، والإطاحة بها، وتصبح بذلك الحرب نتاجا للقوى الاقتصادية، ولقد طوّر "فلاديمير لينين" *VLADIMIR Lenine* أفكار ماركس حول الحرب، وصاغها في آرائه عن الإمبريالية، حيث يقول:

"**إنّ الإمبريالية هي الرأسمالية في مرحلة من التطور، يكون فيها رأسمال والاحتكارات هي القوى المهيمنة، وهي المرحلة التي يصبح فيها تصدير رأس المال في غاية الأهمية، وتقسيم العالم إلى**

(1)-ريتشارد نيدلييو، مرجع سابق، ص36.

(2)-غراهام إيفنز، مرجع سابق، ص677.

التروستات، وهي المرحلة التي يكون فيها تقسيم جميع أراضي الكون في القوى الرأسمالية الكبرى قد اكتمل"[1].

تنطلق تحليلات الماركسية من النظر بسلبية إلى التوسّع الاستعماري المدفوع بالاحتياجات الرأسمالية، وتتم مناقشة كيف أنّ الطموحات الرأسمالية، اقترنت بالتّوقعات المدركة حول الانتصار في الحرب العالمية الأولى، وكيف أنّ عدم الرّضى عن تسويّات تلك الحرب ساهم في اندلاع الحرب العالمية الثانية، ويظلّ الشّرخ الذي حدث في قوة التفسير الماركسي للحرب، وحتميّة انتصار الاشتراكية فاقدا لقوّته، نتيجة مخرجات الحرب الباردة التي أنهت التجربة الأكبر للشيوعيّة.

المطلب الثالث: فن الحرب والتخطيط العسكري كأساس للنصر الحربي

لطالما كان الدخول في الحروب عبر التاريخ، لفرض تحقيق أهداف للقيادة السياسية سواء كانت الدولة البادئة بالحرب، أو أنها اضطرت لدخولها كوضع دفاعي، ولأن تلك الحروب هي حالة صدام تسفر عن تغيير الأوضاع بشكل يصعب العودة إلى سابقها، فإن ذلك يقتضي إحداث ما يسمّى بإدارة الحرب، وهو ما يعبّر عنه بـ فن الحرب والتخطيط العسكري، والذي يرتقي في مفاهيم الاستراتيجية لأن ينظر إليه باعتباره علما، قائما على أساس حسابات مرتبطة بالقوة والظرف الزمني، والجغرافيا والمعدات العسكرية، وكذا الروح القتالية، مضافا إلى ذلك تفاوت القوة وحجم التحالفات الموجودة أو الناشئة أو المتوقعة.

اشتهر عبر التاريخ مجال التخطيط العسكري مقترنا بمفهوم فن الحرب، وبرزت مجموعة من الإسهامات تحت هذا العنوان، يمكن ذكر أشهرها في خمسة مؤلفات سياسية، وضعت بهدف مساعدة القيادة العسكرية على إتقان التخطيط العسكري وتحقيق النصر في المعارك، وهذه الكتب تتمثل في:

01- فن لمؤلفه الصيني " سان تزو "(545ق م – 470ق م).

02- فن الحرب المؤلف الصيني " سون بين " الذي عاش في عصر ما يعرف بالدول المتحاربة (475ق م – 221ق م).

03-مختصر سياسة الحروب للهرثمي زمن الخليفة العباسي المأمون (المتوفي 816م).

04-في فن الحرب نيكولو ميكيافيلي (1469-1527م).

05-عن الحرب لمؤلفه فون كلاوزفيتز (1780-1831م).

(1)-جيمس دورتي، مرجع سابق، ص175

على الأرض ووسط الحروب والصدامات العسكرية، يرتبط تاريخ الحروب والنصر فيها، بإسهامات عدد من القادة العسكريين الذين تمكنوا من كسب المعارك بناء على تخطيط ناجح، وقدرة استثنائية على التأقلم مع ظروف المعارك، واستغلال أمثل للموارد البشرية والمعدات، ويظهر في هذا الإطار عدد من القادة على غرار الإسكندر المقدوني ويوليوس قيصر وأوكتافيوس، وعدد من الجنرالات الرومان، وفي الشرق الأقصى وضع " سان تزو " إطارا لفن الحرب بصفته مخططا وقائدا عسكريا، عبر تلخيص جملة من التجارب الحربية، تمكّن الجيوش الصينية من تحقيق حالة الحسم العسكري ضمن بيئة معادية باستمرار، حيث كانت الحرب في الصين القديمة بمثابة حالة راسخة من العداء بين الملوك، مما كان يقتضي الاستعداد الدائم للحرب.

بالنسبة للرومان؛ فقد أتقنوا الحرب كممارسة وكاستراتيجية في إدارة المعارك، وشكّل انتصارهم على قرطاجة التي كان يقود جيشها " حنبعل " HANNIBAL صاحب التأهيل العسكري العالي، بمثابة إثبات للقوة والكفاءة العسكرية الرومانية، فقد حوّلت روما وضعها المأزوم –المتمثل في وصول " حنبعل " إلى مشارف عاصمة الإمبراطورية الرومانية–من وضع المحاصر، إلى وضع المنتصر، وذلك باستغلال حالة الخذلان التي تعرض لها حنبعل من مجلس شيوخ قرطاج في إمداده بالمدد العسكري[1]، وهنا يمكن التنبيه إلى مدى أهمية انسجام القيادة السياسية الداخلية والخارجية أثناء الأعمال الحربية، ومنذ القدم كان لابدّ للعمل العسكري من السند السياسي، والغطاء الشرعي، وإلا أحس العسكريون بالخذلان، وانتهى الوضع إلى الهزيمة.

في جانب آخر؛ فإن إلمام القائد العسكري بالسياسة ومعرفته بحدود الصلاحيات، يجعله بمنأى عن التداخل بين الشقين السياسي والعسكري في الحرب، ويمكن الاستدلال على هذا الوضع بكفاءة القيادات العسكرية الألمانية في الحرب العالمية الثانية، مقارنة بقصور التفكير والتخطيط لدى القيادة السياسية ممثلة في هتلر ووزرائه، فقد اعترض الجنرالات الألمان مثلا على غزو الاتحاد السوفياتي مستندين إلى حقيقة استحالة النصر في الحرب على جبهتين، وذلك لاتساع مساحة الاتحاد السوفياتي مما يوفر له الدفاع في العمق، وقبل أكثر من 100 سنة من ذلك؛ قال كلاوزفيتز:

(1)- عبد المنعم المحجوب، **معجم تانيت**، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ليبيا: طرابلس، تانيت للنشر والدراسات، ط01، 2013)، ص ص 183،184.

"إن روسيا بلاد واسعة يتعذّر احتلالها عسكريا، ولا يمكن التغلب عليها إلاّ من خلال نقاط الضعف الخاصة بها، أي إذا حصل خلاف بين الشعوب الروسية، لذا فإنّه لقهر روسيا يجب أن يكون بخلق الاضطرابات فيها."[1]

يُنظر إلى فن الحرب على أنّه إجادة إدارة الحرب من الناحية العسكرية، بحيث تتداخل أمور التحصين والدفاع مع خطط الهجوم والتوسع ، وقد برع الرومان في هذا الخيار من خلال تحصين حدود إمبراطورتيهم، والانطلاق في الغزو، لكن عندما تحوّلت هذه القوات إلى الدفاع فقط ، فإنّ ذلك أثر على قدراتها القتالية وفاعليتها عند المواجهة، وهذا يحدث دائما في الجيوش التي تُبقى قوتها مدّة طويلة في أوضاع الدفاع، فتتراجع لديها روح القتال الهجومية، ممهدة لذلك لما صار يسمّى في العقائد الاستراتيجية الحديثة بعقيدة ماجينو، وهي التي تتصل بالأفكار الدفاعية التي عبر عنها خط التحصينات الذي أقامته فرنسا قبل الحرب العالمية الثانية ضد ألمانيا، كشكل من أشكال الردع من خلال جعل الهجوم مكلفا، إلاّ أنّه اتضح مع اندلاع الحرب أنّ المبالغة في الاعتماد على الوسائل والأساليب الدفاعية، قد يكون سببا في الهزيمة. [2]

ترتبط إدارة الحرب بإسهام القادة العسكريين في سبيل كسب المعارك على نحو غير مكلّف وبأسرع وقت، ولهذا فإنّه إذا اندلعت الحرب يجب استغلال كل الظروف لسرعة الحسم، واعتبار الحرب عملا ونشاطا استغلاليا لأي هفوة أو خطأ من الطرف المقابل، بما في ذلك العمل على تدمير الأهداف الحيوية المعادية، وتنسيق الجهود بين القطاعات العسكرية في خلق فرصة اختراق دفاعات الخصم، ولقد اشتهر في فن الحرب الإسلامية قول الهرثمي في تحديد أهمية الكفاءة العسكرية:

" أول ما يحتاج إليه صاحب الجيش هو أن يكون في حال الامن، وقبل أن يفاجئه عدوه قد حصّن نفسه، واحكم مواضع المقاتلة فيه والمدافعة عنه "[3].

لقد ثبت بالتجربة التاريخية أنّ النصر في الحرب، يكون من خلال قائد ناجح أكثر اختلاطا بقطاعاته العسكرية، ومثال ذلك القائد الألماني " إيروين رومل "*Erwin Rommel* الذي كان يصدر بنفسه الأوامر إلى القطاعات المهاجمة التي يكون معها في المقدمة، ويغير تبعا لذلك الخطط لتلائم المواقف المستجدّة، ولقد ساند هذا الطرح رأي المارشال الألماني فون مانشتاين*Erich von Manstein* :

(1)- سعيد حمو، **"إدارة الحرب"**، مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد 11، جوان 1982، ص ص24-41.
(2)-جيفري تويتهام، مرجع سابق، ص428.
(3)- الهرثمي الشعراني، **مختصر سياسة الحروب**، تحقيق عبد الرؤوف عون، (مصر: القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ط01، 1964)، ص60.

" **إن القائد الذي يتلقّى المعلومات من أقصى الأمام في مقرّه، فإنّه سيتّخذ معظم قراراته الحاسمة متأخرا، ويفقد كثيرا من الفرص الملائمة** "[1].

جرى توخّي هذه الفكرة خاصة من طرف المغول الذين طبقوا مبدأ " سان تزو":

" **إذا كان العدو قويا لكنه يوالي قائده لأسباب مادية، أو خوفا منه فقط ساعتها صوّب هجومك على هذا القائد**"؛ لهذا قام المغول بمطاردة السلطان محمد خوارزم شاة على امتداد مئات الكيلومترات وعشرات المدن، وكان الهدف هو قتل السلطان، لأنه كان يستطيع إعادة تنظيم قواته، والقتال من جديد، وقد تمكنوا منه في الاخير، فانهزمت جيوشه. [2]

يدخل ضمن كفاءة القادة العسكريين سرعة الحركة وتوافر الثقة بقدرات القوات، فقد أدرك ملك السويد" غوستاف أدولف الثاني" GUSTAVE Adolphe II(1594-1632م) تلازم الحركة التكتيكية مع الانضباط الجيد، الذي يقوم على أساس وجود إدارة كفؤة تثق بها القوات[3]، وهي أساس النصر في المعارك التي تخوضها الجيوش.

عبر التاريخ كان مفهوم المبادأة عنصرا أساسيا في التخطيط العسكري وذلك لما لهذا الوضع من عوائد استراتيجية تكفل المباغتة والقدرة على الحسم و إنهاك الخصم، و تدمير طرق الإمداد، وقواعد القوات، ويمثل الهجوم الإسرائيلي على دول الطوق سنة 1967م تطبيقا ناجحا لفكرة المبادأة، كما نجح المصريون في حرب سنة 1973 في تحقيق المفاجأة الاستراتيجية، وتحويل وضعهم القتالي من الوضع الدفاعي إلى الوضع الهجومي السريع، وسط تكتّم شديد على خطة الهجوم إلى ما قبل المعركة بـ 48 ساعة؛ مستغلين عيدا دينيا يهوديا آنذاك، وقاموا بالهجوم[4]، وإن كانت تطورات الحرب فيما بعد انتهت إلى هزيمة أخرى للمصريين، حين تدخلت القيادة السياسية في توجيه العمل العسكري.

إنّ إعداد الحرب وإدارتها من أجل تحقيق النصر، هو أمر لا يتعارض مع الرغبة في بناء سلم مزدهر في المستقبل، ويشمل ذلك جميع الأعمال والتدابير الرامية إلى حشد ومضاعفة الإمكانيات الاقتصادية والقوى البشرية والمادية والمعنوية للدولة، بغية دعم الجيش، ويعبّر عن هذا بالمبدأ الاستراتيجي

(1)- سعيد حمو، مرجع سابق، ص ص 24-41.
(2)- عبد السلام ذنون العلي، **المغول واحتلال بغداد 1258م: دراسة ف التاريخ العسكري**، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط01، 2017)، ص81.
(3)- منير شفيق، مرجع سابق، ص20.
(4)- جهاد عودة، **مقدمة في الدراسات الاستراتيجية الشرق أوسطية**، (مصر: القاهرة، المكتب العربي للمعارف، ط01، 2013)، ص ص48،49.

التاريخي " **إذا أردت السلام فاستعد للحرب** "، والذي فرض نفسه على ساسة أوروبا في النصف الأول من القرن العشرين، وأطّر سباق التسلح في العالم. [1]

يمثّل كسب المعارك الخيار المنتظر والمطلوب من القادة، وذلك يعني عدم الانخراط التّام في العمل العسكري، دون تأمين للوحدات والتشكيلات المقاتلة، وهو ما يعبر عنه بـ " أمن القتال " والذي يتضمن جملة من الإجراءات في الوقاية من الآثار التدميرية للأسلحة المعادية، وتأمين القوات والاستطلاع ، والإخفاء والتمويه، واجراءات الاحتياط في الهجوم على المواقع المحصنة، وكذا معرفة جغرافية أرض المعركة، وتحركات قوات العدو، وسلامة موارد المياه، وخطوط الإمداد[2]، ويتعلق أمن القتال بالتدابير الميدانية التي تتغير من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم.

جرت العادة عبر التاريخ في الإشارة إلى أنّ الانتصار في المعارك هو عمل من أعمال الهجوم والإقدام، لكن في التخطيط العسكري فإنّ الوصول إلى الانتصار تتخلله صعوبات و كذا هزائم في مستويات معينة ألاّ أنّه بإتقان أساليب الانسحاب وإعادة التجمع والتنظيم واستعادة المبادرة وعدم الرضوخ للخصم كلّها مضامين تنبئ بأنّ الحرب يمكن أن تتحول من مكسب إلى خسارة أو العكس، ويعطي النموذج الفرنسي إبان الحرب العالمية الثانية إثباتا لذلك؛ حين انتقلت فرنسا من وضع البلد الواقع تحت الاحتلال إلى البلد المنتصر في نهاية الحرب، وذلك بعد أن قاد ديغول القوات الفرنسية وبدعم الحلفاء نحو التحرير، وهو يردّد الشعار:

"**أيها الفرنسيون قد خسرنا معركة ولكنّنا لم نخسر الحرب، وسوف نناضل حتى نحرّر بلدنا.**"[3]

في مثال آخر؛ دفعت حالة الإحباط التي سادت في بريطانيا بعد هزيمة فرنسا في سنة 1940م ببريطانيا إلى أن ترفض التفاوض مع ألمانيا، وأن تستمر في الحرب بالرغم من وضعه العسكري المهتز، وردّ تشرشل على دعوات إيقاف القتال في خطابه الشهير:

" **سوف نستمر حتى النهاية، سوف نحارب في فرنسا، سوف نقاتل في البحار والمحيطات، سوف نقاتل بثقة متصاعدة في الأجواء، سندافع عن جزيرتنا مهما كان الثمن سنحارب على الشواطئ وفي مواقع الإنزال، سنحارب في الميادين وفي الشوارع، سنقاتل في التلال ولن نستسلم أبدا.** " [4]

---

(1)- محمد حمزة حسين والرفاعي الدليمي، **تاريخ العالم المعاصر**، (الأردن: عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط01، 2015)، ص18.

(2)- مادة أمن القتال، الموسوعة العسكرية، ج01، ص177.

(3)- عصام عبد الفتّاح، **أطلس الحربين العالميتين: الأرض والحرب والسلام**، (مصر: القاهرة، شركة الشريف ماس للنشر والتوزيع، ط01، 2015)، ص305.

(4)- فيصل حسن مطر، **أسس ومهارات الكتابة للصورة التقرير التلفازي**، (سوريا: دمشق، دار الفكر، ط01، 2010)، ص27.

يظل النجاح في كسب الحرب مقترنا بمواهب متاحة للقادة، غير أنّ الادعاء بأن القيادة فن فقط هو امر يجانب الصواب، حيث أنّ القيادة في المجال العسكري هي علم أيضا، وفي هذا الإطار يقول "ماو تسي تونغ":

إنّ القوانين والنظريات العسكرية هي خلاصة الحروب الماضية، وهذه الخلاصة يجب علينا دراستها دراسة عميقة، واختبار نتائجها على ضوء ما اكتسبناه نحن من تجاربنا، ثمّ استيعاب الجوانب القيمة لهذه النتائج، مع رفض الضار منها وإضافة ما يمكن إضافته إليها من خبراتنا، وإلاّ فلن نتمكن من تطوير وتوجيه الحرب. (1)

استنادا إلى هذه المقولة فإنّ إدارة الحرب هي بمثابة مزج للدراسة النظرية والتطبيق العملي، حيث يجب دراسة علم الحرب كأمر سابق لخوض المعارك، فالحرب علم في دراسته ومنهجه، وفن في التطبيق(2)، وهو يخدم بلورة منظومة للعلوم والمعارك العسكرية وتاريخ الحروب، وأعمال القادة وانتصارات هؤلاء وهزائمهم، وكل ذلك مجردا من العاطفة ومن الذاتية، اقترانا بصفة العلم الحيادية، كما يهدف علم الحرب إلى وضع الأسس التي تكفل حماية الدولة عامة والدفاع المسلح عنها خاصة، ويبنى على المذهب العسكري الذي تتبنّاه الدولة.(3)

إنّ اتقان مجموع النظريات والتطبيقات المتعلقة بالتحضير للأعمال الحربية وخوضها، هو ما يقترن بفن الحرب، والذي سبقت الإشارة إليه في اسهامات عدد من المفكرين ، والذين واكبوا تطور الحرب في اساليبها و معداتها، وكانت افكارهم مقترنة بطريقة خوض الحروب والاستفادة من مجريات الارض والمناخ، وهفوات أو بطء أو تسرع الخصم، غير أنّ تطور الثورة في الشؤون العسكرية؛ بزيادة كفاءة المعدّات القتالية وقدرتها التدميرية، أدى لخروج الأشكال الحديثة من الحروب إلى مجال التحليل والتنظير، حيث أحدثت ثورة البارود مثلا تغييرا في الأساليب التكتيكية وترتيبات القتال، وتقسيمات الجيش، لهذا لمّا قاد نابليون جيوشه في البّر الأوروبي نحو انتصارات متوالية، فإنه كان بذلك يتحدى النظريات السابقة بشأن مفهوم الاستراتيجية العسكرية، لدرجة أنّه أعلن سنة 1811 قائلا : " **سأكون سيد هذا العالم خلال خمس سنوات ، ولن يبقى حينها سوى روسيا التي سأقضي عليها** "(4).

(1)- مونتغومري، **الحرب عبر التاريخ**، ج01، مرجع سابق، ص ص24،25.
(2)- منير شفيق، مرجع سابق، ص18.
(3)- جهاد عودة، **العلاقات الاستراتيجية والعسكرية**، مرجع سابق، ص640.
(4)- جوناثن يلاي، **ما مدى كفاءة نابليون العسكرية؟** تر: ليلى عادل زيتون، مجلة الثقافة العالمية، العدد 156، سبتمبر-أكتوبر، 2009، ص ص 166-175.

إنّ هذا التفاؤل الذي كان يعول على فكرة أنّ النجاح المتواصل في الحرب سيؤدي إلى تجسيد الأهداف الموضوعة، كان سببا في خسارة الحرب في النهاية، وهو ما سيتعرض له هتلر أيضا، وعدد من القادة في معارك أخرى تؤدي إلى انهزامهم، وخسارة سلطتهم، نظرا لعدم تقدير ظروف إدارة المعركة بما فيها من التفاصيل التي قد تبدو بسيطة.

المبحث الثاني: الانتصار في الحروب النظامية

شهد تاريخ الإنسانية عددا كبيرا من الحروب لتحقيق جملة من الأهداف، التي تضعها الدول والإمبراطوريات والأشكال المختلفة للتجمع الإنساني، وحيث أنّ الدول نظّمت تحركها العسكري دوما ضمن تشكيلات قتالية، وبقيادة معروفة وضمن أسلوب القتال عبر الجبهات، فإنّ ذلك اصطلح عليه بالحرب النظامية *Regular warfare*، وهي تلك الحروب التي تتخذ نمط المواجهة بين جيوش تستخدم الأساليب والخطط وتشكيلات القتال النظامية[1]، وتشمل في توسعها أفرع الأسلحة المختلفة، والتي تراوحت في التاريخ من سلاح المشاة الذي صار يصطلح عليه بالقوات البري ، وسلاح البحرية بمختلف وسائل القتال عبر البحر، ووصولا إلى تطوير المقدرات القتالية الجوية في اتجاه السيطرة على الجو، وتفعيل ذلك ضمن الاعتماد على اختراق الفضاء الخارجي عبر منظومة الصواريخ المتطورة.

تمتد الحرب النظامية في نطاق معاركها إلى محاولة ضرب عمق الخصم وإصابة المراكز الحيوية، خاصة البنى التحتية والمنشآت القاعدية ، إضافة إلى السعي إلى تدمير مراكز تجمع القوات والعتاد العسكري، وقطع طرق الإمداد والتموين، وتدخل في ذلك أعمال الحصار البحري والبري، وكذا الحظر الجوي، ويتم حسم الحرب النظامية إمّا بأسلحة تقليدية؛ أو باللجوء إلى أسلحة غير تقليدية كحالة اضطرار لإنهاء مقاومة العدو، وليس بالضرورة أن تكون هذه الأسلحة أسلحة الدمار الشامل، وإنّما ذات فاعلية في التدمير، على غرار القنابل الحديثة والصواريخ الموجهة، والاستعانة باليورانيوم المنضّب، وشل شبكة الاتصالات عن طريق أساليب الحرب الإلكترونية.

يتضمن النصر في الحروب النظامية كسر إرادة الدولة العدوة، وإجبارها على التسليم بالمطالب المطروحة، وكذا في حالات أخرى تغيير النظام السياسي، أو اقتطاع جزء من أراضي الدولة المنهزمة، ووصولا إلى الاحتلال العسكري الشامل، مثلما حدث قبل سنوات بالنسبة للعراق، حينما نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في احتلال البلاد بعد هزيمة الجيش العراقي.

([1])- جمال سلامة علي، **تحليل العلاقات الدولية: دراسة في إدارة الصراع الدولي**، (مصر: القاهرة، دار النهضة العربية، ط01، 2013)، ص151.

إنّ أهم المضامين للانتصار في الحرب النظامية، يمر عبر التركيز على نمط إدارة الحرب واستراتيجياتها، وفي ذلك تبرز الإدارة بين الحرب الخاطفة، والحرب التي تعتمد منظور الصدمة، وأيضا حرب المواجهة الكلاسيكية عبر الجبهات المتقابلة، وبالرغم من الاشتراك في سرعة النمط القتالي إلاّ ان هناك تطورات لحقت بالنمطين ، وهناك ضمن الحرب النظامية مساعي التركيز على الحرب البحرية أو الحرب الجوية أو الدمج بينهما ، أما فيما يخص التعامل مع التجمعات السكانية والرغبة في الحصار أو السيطرة على تلك التجمعات، فيصير توجه تلك الحرب ضمن ما يعرف بحروب الحصار أو حروب المدن .

المطلب الأول: النصر في الحرب المتطاولة والحرب الخاطفة

تؤسس الدول جيوشها على أساس مضمون حماية المصالح والإقليم، وكذا زيادة تلك المصالح وتوسعة الإقليم ضمن الغزو والصدام مع الدول المجاورة، أو على أساس الدخول في تحالفات تقتضي الصدام العسكري، ولأنّ الحرب تعتمد في نشوبها واستمرارها على المجهود الحربي للأطراف، وقابلية الحسم لأحدها مقابل الآخر، فإنّ النطاق الزمني قد يطول أو يقصر، وذلك في قدرة جيش الدولة على إنهاء المقاومة أو صد الهجوم من الطرف الآخر، أو انتهاء فرصة المفاجأة وتسريع الحسم، وبذلك فإنّنا نكون أمام نمطين سادا التاريخ من أنماط الحروب، وارتبط الانتصار بتلك المدة الزمنية بالنصر؛ إما بين حرب طويلة تنتهي إلى الحسم، أو الاقتناع بعدم جدوى الاستمرار فيها، أو تكون حاسمة في سرعتها ، والآثار التدميرية التي تخلفها، وفي ذلك تشتهر نماذج الحرب الخاطفة.

الفرع الأول: الانتصار في الحروب المتطاولة

إنّ ما توافر للشعوب عبر التاريخ من كيانات سياسية، جعلها رهينة لتطلعات تلك الكيانات، وإرادتها في استغلال المجهود العسكري في شن الحروب؛ دون اهتمام بما تخلفه من ضحايا أو خسائر، وما تستغرقه من زمن، ويسجّل التاريخ كيف أنّ العداءات ظلّت مستمرة بين الحضارات القديمة، وكيف أنّها في النهاية أسفرت على عدة جولات للصدام؛ أدّت إلى إنهاء دول وصعود أخرى.

يذكر هوميروس ***Homer*** في العصر القديم؛ الصدام والحروب بين عدد من المدن اليونانية، والتي من أشهرها حرب طروادة *Trojan War*، ورغم الطابع الأسطوري الذي ميّز الرواية عنها، إلاّ أنّها

كانت حربا طويلة لعدة سنوات من الحصار والصدام البحري والمناوشات، كما أنّها أعطت أمثلة عن البطولة والشجاعة والخداع في الحرب. [1]

كانت منطقة البحر الأبيض المتوسط ميدانا لعديد الحروب التي استغرقت سنوات، ومن ذلك حروب الفرس ضد الإغريق، وحروب روما ضدّ قرطاجة ، ثم حروب البيزنطيين والوندال في شمال افريقيا وأروبا، كما أنّ بلاد الرافدين شهدت حروبا متتالية، أدّت إلى تعاقب عدد من الحضارات التي قضت على بعضها البعض، وفي الشرق الأقصى كان نشوء الصين التاريخية مناطا بالحروب التي خاضتها الأسر الحاكمة فيما بينها، وكان من بين الآثار المثبتة لها صرح سور الصين العظيم، والذي يمتد على الحدود الشمالية والشمالية الغربية للصين الحالية، بطول يصل إلى ألفين وأربعة مئة كيلومتر (2400كم) ، وكان بمثابة جزء من إدارة الحرب الطويلة ضد الجوار المعادي.[2]

في المنطقة العربية التي غابت فيها معالم الدولة، كانت الحروب التي تنشأ، هي في الأساس مجموعة صدامات بين القبائل بسبب التنافس حول الكلأ والماء، وتعارضا للمصالح حول المصاهرة أو الولاء أو الاستجارة ، أو بسبب عمليات السلب والنهب بين القبائل، وفي الغالب طلبا للثأر، ومن تلك الحروب الطويلة؛ يمكن ذكر حرب البسوس التي اندلعت بين قبيلة "تغلب" ، وأبناء عمومتهم من قبيلة "بكر" ، بسبب الصراع حول الأرض، وكذا مقتل زعيم قبيلة "تغلب" على يد فرد من قبيلة "بكر"، انتقاما لناقة تمتلكها امرأة منهم اسمها "البسوس"، واشتهر في المرويات عن تلك الحرب أنّها دامت أربعين سنة، منذ اندلاعها سنة 494م إلى غاية 534م[3]، ويشابه هذه الحرب؛ ما اندلع بين فرعين من قبيلة "غطفان" وهما "عبس" و"ذبيان"، وعرفت الحرب باسم حصان وفرس أكسبتا الحرب هذا الاسم، واستمرت كذلك أربعين سنة، واكتسبت أسطوريتها من مشاركة الشاعر عنترة ابن شداد فيها، وانتهت بتدخل شريفين تكفلا بالديّات وأنهيا الحرب ، وتم ذكر ذلك في وصف طول الحرب؛ بقول زهير بن أبي سلمى :

تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم [4]

تتميز الحرب الطويلة أو المتطاولة –نسبة لضعف مبررات استمرارها– بكونها تتراوح بين معارك متباعدة، يمتزج فيها نمط الإغارة مع المواجهات الفردية، مع التحالف والخديعة، مع احترام أيام

([1])- سليم نزال، **الطريق إلى بغداد: مشاهد من مسرح الحرب**، (بريطانيا: لندن، منشورات E-kutub LTD ، ط01، 2015)، ص11.

([2])- جلال عبده خدشي، **عجائب الدنيا السبع**، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط01، 2011)، ص ص56،57.

([3])- بشرى جعفر أحمد، **قبيلة تغلب ودورها في تاريخ العرب قبل الإسلام وصدر الاسلام**، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط01، 2016)، ص73.

([4])- عيسى إبراهيم السعدي، **زهير بن أبي سلمى: شاعر الحوليات** ، (الأردن: عمّان، دار المعتز للنشر والتوزيع، ط01، 201)، ص41.

ومناسبات يجري فيها التوقف عن الواجهة، وتمثل أيام العرف كما توصف نموذجا لتلك الحروب، ولمّا جاء الإسلام كانت حروبه للفتح وإعلاء كلمة الله، فاستمرت حرب المسلمين ضد فارس على مدار قرابة العقدين من الزمن؛ عبر عدد من المعارك التي أهمها "القادسية"، ومعركة "فتح الفتوح" التي عرفت في التاريخ الإسلامي باسم معركة "نهاوند"، وأسفرت بنتائجها عن إنهاء الحكم الفارسي، واستيلاء المسلمين على كامل أراضي الإمبراطورية الفارسية. [1]

بانتصار المسلمين على الفرس؛ دخلوا في سلسلة حروب حدودية مع الإمبراطورية البيزنطية على أمل الوصول إلى العاصمة القسطنطينية، والتي جرى محاصرتها أكثر من مرة، ومن ذلك الحصار الأول في عهد الخليفة المعاوية بن أبي سفيان (674-678م) والحصار الثاني في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة (717-718م)[2]، وتم محاصرتها في عهد الدولة العثمانية عهد السلطان "بايزيد الأول" لمدة اثنا عشر سنة (12سنة) (1390-1402م)، ثم سنة 1411م والحصار الرابع سنة 1422م ، ليتم فتحها سنة 1453م على يد السلطان "محمد الفاتح " بما يجعل هذه الحرب غطت قرابة السبعة قرون .

يمكن أيضا الإشارة إلى أنّ الحروب الصليبية كانت نمطا للحروب الطويلة، رغم ما تضمنته من فترات هدوء، وقبول بالوضع الذي خلّفه الغزو الصليبي أو أعمال التحرير الاسلامية، وعلى النقيض من الحروب السابقة التي شهدتها حدود الدولة الإسلامية، فإنّ الحرب مع المغول كانت بمثابة حرب إبادة مستمرة، انتهت إلى إنهاء الخلافة العباسية وعديد الممالك الإسلامية، بعد أن نجح المغول في تكتيكات حصار المدن، فكانوا بعد هزيمة الجيوش المعادية لهم لا يتوقفون على القتال؛ حتى تدمير الخصم بالكامل، مستغلين سرعة الحركة، والحرب النفسية، ومن ذلك أنّهم كانوا يخضعون المدن والقلاع الصغيرة، ويمنعون التواصل فيما بين أعدائهم، ويمارسون بكفاءة أعمال التطويق، والتراجع الاستراتيجي، والاستغلال الأمثل للأسلحة المتوفرة خاصة السهام، في الإجهاز على الصفوف الأمامية للعدو، وكانت توصف تكتيكاتهم في تبديل الخيول، والكمائن بأنها مواصفات جيش لا يقهر.[3]

---

(1)- للتوسع في حيثيات هذه المعركة يمكن الرجوع إلى:
قيس عبد العزيز مهدي، **معركة نهاوند وآثارها في إنهاء الحكم الساساني**، (العراق: بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط01، 2003).

(2)- عبد الحميد حسين حمودة، **تاريخ الدولة العربية الإسلامية**، (مصر: القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ط01، 2005)، ص ص 360-362.

(3)- عبد السلام ذنوبي علي، مرجع سابق، ص ص 65-77.

سادت في القرون الوسطى الحروب ما بين الإقطاعيات المختلفة، واستمرت العديد منها لعقود، وكان النصر فيها مناطا بسلاح الخيالة والفرسان، خصوصا مع الخبرات التي نالها الأوربيون من حروبهم مع المسلمين في فلسطين وصقلية والأندلس، ومع بروز الدول الأولى في أروبا في أواخر عصر الإقطاع، بدأ الصدام بين فرنسا وإنجلترا في حرب اصطلح عليها حرب المئة عام (100عام)، والتي استمرت من 1337إلى 1453م ، وقد اندلعت بعد محاولة الملوك الإنجليز الاستيلاء على العرش الفرنسي، وتم فيها احتلال أجزاء من فرنسا، كما سادت خلالها فترات من السلام، وفي الأخير استعاد الفرنسيون أراضيهم المحتلة[1]، ونشأت رمزية المقاتلة الفرنسية "جاندارك" *JEAN-DARK* والتي توصف بقديسة فرنسا (1412–1431م) في خضم الأعمال القتالية لطرد الإنجليز من الاراضي الفرنسية، كما كانت هذه الحرب أساسا لبداية تنافس سيستمر قرونا بين الدولتين في أروبا وخارجها.

مع دخول الاختلاف الديني في أوروبا مرحلة من الصدام والعداء المذهبي، صارت الحروب في نطاقها الأوسع صداما بين دول كاثوليكية وأخرى بروتستانتية، وانتهت بتكريس العلاقات الدولية الحديثة، ونظام الدولة القوية، وتم وصف هذه الحرب من طرف المؤرخ البريطاني بيتر ولسن ***Peter Wilson*** بكونها المأساة الأوروبية التي أسفرت عن قرابة احدى عشرة (11) مليون ضحية، وفقدت فيها الإمبراطورية الجرمانية أكثر من خمس سكانها. [2]

لقد كان الأثر الرئيسي لحرب الثلاثين عاما، أنّها غيرت شكل المعارك بالاعتماد الواسع على المرتزقة، وممارسة سياسة الأرض المحروقة، وتدمير القلاع والمدن، كما أنّها أخلّت بالتوازن المجتمعي الأوروبي، وينظر إليها على أنّها تكريس للنظرة الواقعية بكون المصلحة أسبق من المذهب، حيث تدخلت فرنسا الكاثوليكية ضد إسبانيا الكاثوليكية، وأيضا لصالح البروتستانت في شمال أوروبا، وكان تدخلها سببا في انتصار هؤلاء وتوقيع معاهدات واستفاليا. [3]

إنّ نشوء الامبراطورية العثمانية وتقدمها في الأراضي الأوروبية، جعلها في صدام خاصة مع الرّوس، حيث اندلعت سلسلة من الحروب انتصر الرّوس في أغلبها، وكان هدف هؤلاء هو السيطرة على البحر

(1)- محمد حمزة وعبد المجيد حسين، **تاريخ أوروبا**، (العراق: الموصل، دار إبن الأثير للطباعة والنشر، ط01، 2013)، ص ص303-307.

(2)-أحمد سليم البرصان، **علم السياسة : المفاهيم والأسس**، (الأردن: عمّان، دار زهران للنشر، ط01، 2014)، ص53.

(3)- ريتشارد ليدل، **توازن القوى في العلاقات الدولية**، تر: جهاد عودة، (مصر: القاهرة، المكتب العربي للمعارف، ط01، 2015)، ص90.

الأسود وممرّاته والوصول إلى المياه الدافئة، وكان مجموع هذه الحروب ثلاثة عشرة (13) حربا في الفترة ما بين (1568-1918م).[1]

مع اندلاع التنافس بين الدول الاستعمارية حول مناطق السيطرة، حدثت صدامات بين تلك القوى في أوروبا والعالم الجديد، ومن بينها ما تعرف بحرب السنوات السبع *The Seven Years' War* ، وهي الحرب التي اشتركت فيها جميع دول أوروبا تقريبا، وامتدت إلى أمريكا والهند، وسميت هناك بالحروب الهندية الفرنسية، وفي أوروبا نشبت بين بروسيا وحليفتها بريطانيا ضد فرنسا وحليفتها النمسا، وانتهت في العالم الجديد بفقدان فرنسا لممتلكاتها في أمريكا الشمالية، والتي استولت عليها بريطانيا. [2]

إنّ طول أمد هذه الحرب؛ أبان عن أهمية الجانب اللوجستيكي والثقة بين الحلفاء في الانتصار في الحرب، كما أنّ اتقان بريطانيا لمفاهيم توازن القوى، قد جعلها في موقف متقدم دوما على فرنسا في الأعمال العسكرية، خصوصا مع القوة البحرية الهامة التي كانت قادرة على نقل القوات، وممارسة الحصار؛ والمشاركة في الأعمال القتالية.

شهدت الفترة الاستعمارية أشكالا عديدة للحرب المتطاولة، الهادفة إلى اخضاع الاقاليم بناء على أعمال المقاومة التي أبداها سكان الشعوب المستعمرة، حيث أنّ فرنسا انخرطت في سلسلة من الأعمال القتالية في الجزائر على مدار سبعين سنة، لتستكمل احتلال كامل الاراضي الجزائرية، وكان هدفها تأكيد وجودها في الشمال، والتقدم ببطء في الجنوب.

يقدّم نموذج الحربين العالميتين إطارا مناسبا لفهم الحرب المتطاولة، حيث أنّه وبحلول سنة 1914م كانت أوروبا منقسمة إلى معسكرين متنافسين بشأن النفوذ والأراضي والثروات، وتوسّع القتال الذي اندلع في أوروبا؛ ليطال أرجاء أخرى من العالم، ويسحب إلى الحرب كثيرا من الدول، إضافة إلى التجنيد القصري للآلاف من سكان المستعمرات، واستغلال ثروات تلك البلدان في دعم المجهود العسكري خاصة لبريطانيا و فرنسا، وحين انتهت هذه الحرب سنة 1918م، كانت تحمل في طياتها أسباب اندلاع الحرب العالمية الثانية، والتي اجتمعت فيها الأسباب الاقتصادية مع الأسباب السياسية، مع الرغبة في الثأر، وقد خلفت ملايين الضحايا، إلاّ أنّها ساهمت في تطوير أساليب القتال والأسلحة

(1)- كمال مظهر أحمد، **كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى**، (لبنان: بيروت ، دار الفارابي، ط03، 2013)، ص ص 51-53.

(2)- فراس البيطار، **الموسوعة السياسية والعسكرية**، ج03، (الأردن : عمّان، دار أسامة للنشر، ط01، 2003)، ص1226.

المستعملة، كما أنّها أدّت إلى تغيير الخريطة السياسية للعالم، خصوصا مع دخول منظومة التسلح طور استعمال أسلحة الدمار الشامل.[1]

تجسّد النصر في الحربين العالميتين من خلال تطوير نظم المواجهة، والخروج عن الطابع الكلاسيكي للمعارك الذي فرضه اختراع أسلحة جديدة، ألغت الكثير من أعمال الحصار وحروب الخنادق، وكان من ذلك اختراع الدبابات، وسلاح الطيران والرادارات، كما أفاد الجيوش نظم الاستخبارات القوية، وكفاءة البحث العلمي في إفادة التصنيع العسكري، مع وجود قادة أصحاب مواهب وكفاءات، وتخطيط عسكري ملفت، ارتبط بالبحث والحرص على النصر؛ خاصة في المعارك الحاسمة إبّان الحربين.

في جانب آخر، فإن الحاضنة الشعبية دعمت الجهود العسكري سواء في التجنيد أو العمالة المستخدمة، أو في حروب العصابات على غرار ما حدث في الحرب العالمية الثانية، وبنهاية تلك الحرب؛ نشأ شكل جديد من المجتمع الدولي يستهجن الحرب، ويشجع الأساليب السلمية في حل النزاعات، يتقدمها في ذلك منظمة الأمم المتحدة، وهو ما جعل الحروب بين الدول أقل وقوعا وأسرع حسما، على غرار الحروب العربية الاسرائيلية والحروب الهندية الباكستانية، إلا أنّه يمكن الاشارة الى نمط آخر في تطاول الحروب، وهو ما عرف بحرب الاستنزاف.

يكون وضع حرب الاستنزاف عند وجود شبه توازن بين قوى الطرفين المتحاربين في أحد مراحل الصراع، أو حين يكون أحد الطرفين متمتعا بتفوق مادي واضح بالنسبة للطرف الآخر، لكنه لا يستطيع فرض إرادته عليه، فيصبح الصراع متجها الى الاشتباكات الجزئية في حالة استنزاف لموارد الخصم المادية والمعنوية، تمهيدا لتوجيه ضربة حاسمة حينما تسمح الظروف، ويتغير ميزان القوى لصالح الطرف الذي يتبع هذا الاسلوب، ولقد عبّر كارل فون كلاوزفيتز عن ذلك بقوله:

إن فكرة الاهتراء بالقتال تعني استنزاف القوى المادية وإرادة الصراع بصورة تدريجية، نظرا لطول مدة العمل، ولكن إذا شئنا الاستمرار في الصراع مدة أطول من العدو، كان علينا الاكتفاء بنتائج متواضعة نسبيا، لأن طبيعة الاشياء تتطلب ممن ينبغي هدفا كبير،ا أن يبدد قوى تفوق ما يبدده طالب الهدف الصغير. [2]

شهد التاريخ الحديث نموذجين لحرب الاستنزاف هما حرب الاستنزاف في مصر واسرائيل 1968-1970م، والحرب العراقية الايرانية التي تحولت في الجزء الاكبر منها، من المواجهات الكبرى

([1])- للاطلاع على حيثيات الحربين العالميتين؛ يمكن الرجوع إلى كتاب:
عصام عبد الفتاح ، **أطلس الحربين العالميتين**، (مصر: القاهرة، شركة الشريف ماس للنشر والتوزيع، ط01، 2015).
([2]) مادة استنزاف، **الموسوعة العسكرية**، ج1، مرجع سابق، ص72.

الى حرب استنزاف، وقد كتب الفريق أول محمد فوزي وزير الدفاع المصري الأسبق عن حزب الاستنزاف المصرية باعتبارها حربا ممتدة لثلاث سنوات، كانت أساسا للتحرك المصري سنة 1973، ورغم الدعاية المبالغ فيها عن حرب الاستنزاف المصرية؛ إلا أنّها لم تغيّر ميزان القوة، حيث استمرت اسرائيل في ضرب العمق المصري، فيما لم تتمكن مصر من ذلك، كما أنّه لم يترتب على حرب الاستنزاف تحول جانب من قوة العمل الانتاجية في إسرائيل، إلى ساحة القتال بعد أن استخدمت اسرائيل سلاح الطيران في ضرب الأهداف العسكرية المصرية والأهداف المدنية، بغرض تحطيم الروح المعنوية، وهو ما عجز المصريون عنه بالنسبة لإسرائيل، ومن ناحية أخرى فإن أعمال الاستنزاف لم تلحق ضررا بآلة الحرب الاسرائيلية بشكل يؤثر على أدائها فيما بعد.[1]

إنه بصرف النظر عن هذه الحقائق، فإن التجربة المصرية في حرب الاستنزاف قد مكنت من تجاوز صدمة الهزيمة سنة 1967م بقدر ملحوظ، وأعادت المجال لإعادة بناء القوات المصرية، وتثبيت حائط الصواريخ بشكل كان له الاثر الفاعل للضربة الاولى في حرب 1973م.

يتمثل النموذج الثاني لحرب الاستنزاف؛ في تحول الحرب العراقية الايرانية من نمط حرب هجومية متواصلة الى حالة من الاستنزاف خصوصا في السنوات الاخيرة من الحرب، ولقد بدأت هذه الحرب نتيجة تصور لدى القيادة العراقية بسرعة حسمها إذا ما جرى خوضها، غير أنّ المعطيات اللاحقة أبانت عن سوء تقدير للموقف، بما جعل الحرب تستمر ثماني (08) سنوات، وفي هذا الاطار يقول "غاري سيك" *Gary Sick* مساعد مستشار الأمن القومي الأمريكي لشؤون الخليج آنذاك زبيغنيو بريغسكي *Zbigniew Brizeniski* (1972-2017) إبان إدارة جيمي كارتر *Jimmy carter* أنّ صدام حسين اتصل بالعمانيين والإماراتيين والسعوديين، وأخبرهم أنّه بات جاهزا لشن حرب ستة (06) أيام فاعلة، وأنّها ستكون القاضية لإسقاط النظام الثوري في ايران.[2]

نتيجة فشل كلا البلدين في حسم الحرب؛ تحولت مجريات المعارك الى تدمير متبادل للمدن واستهداف لناقلات النفط، ودعّمت القوى العربية والغربية والشيوعية كلا البلدين؛ مما ساهم في إطالة الحرب، وزيادة تكاليفها التي بلغت قرابة 400 مليار دولار، مع خراب المدن المتجاورة على الحدود، ومن ذلك مدينة الفاو في الجنوب العراقي، والتي جرى تحريرها من الإيرانيين حين استغلت القوات العراقية

(1)-عبد العظيم رمضان، **حرب الاستنزاف في محكمة التاريخ**، (مصر: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1998)، ص 94.

(2) قناة BBC العربية، برنامج ماذا حدث: أسرار الحرب العراقية الايرانية بلسان شهودها، حلقة بثت بتاريخ 2010/09/22، متوفرة على الرابط الالكتروني:
http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2010/09/100922_iraq_iran_war_film_tc2.shtm

انشغال الجزء الأكبر من القوات الايرانية في الشمال، لتقوم باستعادة المنطقة؛ رغم التكاليف الكبيرة لتلك المعركة، وتجبر الايرانيين على قبول وقف إطلاق النار. [1]

إن استعراض مفهوم الحرب الطويلة ينبني على المدة الزمنية التي تأخذها تلك الحرب في المواجهة بين الدول، والتي ترفع من حدة تكاليف ونطاق الاشتباكات، وعدد المتحاربين، وتنعكس على القرار السياسي، بل حتى على الوجود الفعلي للدولة، وظهر ذلك في اعتماد مبدأ الاستسلام غير المشروط *Inconditional Surrender*، والذي يعني إنهاء الصراع المسلّح بإجبار الخصم على الاستسلام غير المشروط ، وجرى تطبيقه في الحرب العالمية الثانية، وبرّره الرئيس الامريكي الاسبق فرانكلين ديلانو روزفالت *FRANKLIN DELANO ROOSEVELT* في مؤتمر الدار البيضاء سنة 1943:

"**إن الهدف من ليس تدمير السكان، بل تدمير فلسفة تقوم على غزو الآخرين وإخضاعهم**".[2]

لقد جرى انتقاد هذه السياسة في إنهاء الحروب من خلال كونها أطالت مدة الحرب العالمية الثانية، كما أنها أعطت التبرير لاستخدام السلاح النووي ضد اليابان، يضاف الى ذلك انما حالت دون عودة الدول المنهزمة للانخراط التام بسياسة ما بعد الحرب. [3]

الفرع الثالث: استراتيجية الحرب الخاطفة للانتصار في المعارك

إنّه وإزاء مفهوم الحرب الطويلة التي تستنزف قدرات المدافع والمهاجم، وتستغرق فترة طويلة للحسم، فكّر العسكريون في كيفية ابتكار اساليب تجعل مدة العمليات العسكرية أقصر، ونتائجها أفضل، وذلك بالمراهنة على سرعة الحركة، واجبار الخصم على الاستسلام، ولقد برز في العصر الحديث أسلوب الحرب الخاطفة *BLITZKRIEG* أي حرب البرق كتجسيد لهذه الرؤية، وهو مصطلح استراتيجي ألماني، استحدث للدلالة على سلسلة من معارك قصيرة وسريعة ضد أهداف منعزلة، فكانت الدول الصغرى تسقط في أيام والكبرى في شهور، ابتداء من النرويج وحتى اليونان، ومن فرنسا حتى عمق الاتحاد السوفياتي.[4]

(**1**)-علوان حسون العبوسي، **القدرات وأدوار الاستراتيجية لسلاح الجو العراقي في الفترة (1931-2003م)**، (الاردن: عمان، الاكاديمية للنشر والتوزيع، ط01، 2014)، ص269.

(2)-avraham Tory, **Surviving the Holocaust : the Kono Ghetto Diary**, (England : London, cambridge, Massachusetts, 1990) P317.

(3)جيفري تونيهام، غراهام إيفانز، مرجع سابق، ص 754.

(4) جمال حمدان، **استراتيجية الاستعمار والتحرير**، (القاهرة، دار الشروق، ط1، 1983)، ص177.

شمل أسلوب الحرب الخاطفة التكتيكات التي تقوم على استخدام الطيران والقوات المدرعة والميكانيكية؛ في تحقيق اختراق عميق في جبهة العدو، من أجل قطع خطوط المواصلات وتدمير المراكز الادارية والقيادية، وتطويق الدفاعات التي تفقد تنظيمها،[1] ويؤازر هذا العمل النشاط المكثف للطائرات الهجومية التي تنخرط في حملة قصف مكثف، وتساند تشكيلات الدبابات من أجل توفير الحد الأقصى من الحركة والمفاجأة، ونجحت من خلالها القوات الالمانية في اكتساح الأراضي الأوروبية، على أمل أن تؤدي تلك الحرب الى احراز انتصار سريع، وفرض للأمر الواقع.

حاول "ليدل هارت" أحد أشهر كتاب الاستراتيجية الانجليز صياغة نظرية لتلك الحرب قبل عشرين (20) سنة من الحرب العالمية الثانية، سماها السيل المتدفق، وذلك بتجنب المواقع القوية ومهاجمة النقاط الضعيفة، وبذلك يحدث التوسع العرضي بشكل يمكن من الاختراق العميق لأراضي العدو.[2]

تناول الجنرال الالماني هانز فون سيكيت *HANS VON SEEKT* أسلوب الحرب الخاطفة بالدراسة، وذلك بالتركيز على تشكيل جيش صغير محترف مشكل من وحدات ميكانيكية قوية، تدعمها قوة جوية، واصطلح على هذا التجميع بالحرب الصاعقة، والتي عرفت باللفظ الألماني بـ *BLITZKRIEG*.[3]

لقد دافع الجنرال شارل ديغول *Charles de Gaulle* حينما كان عقيدا عن هذه الاستراتيجية في الحرب، وذلك في كتابه نحو جيش محترف "*Ver L'armeé de Metier* ؛ واعتبر أنّ فرنسا ستتأثر سلبا بالتفوق الألماني في إعادة التسلح، وأنّ ذلك سيسبب مشاكلا في الدفاع عن الأراضي الفرنسية، والسبيل لتجنب ذلك هو إعادة هيكلة الجيش الفرنسي وطريقته في الحرب، إلا أنّ هيئة القيادة رفضت هذا التوجه.[4]

في الاتحاد السوفياتي دعّم رئيس الاركان المارشال ميخائيل توخاتشيفسكي *Mikhaïl Toukhatchevski* (1893-1937م) هذا الاسلوب من الحرب، وقام بتنظيم وتدريب فرق من المدرعات والمظليين على أساس هذا النمط، إلا أنّ مقتله سنة 1937م؛ أدى الى عدم الاستمرار في هذا الأسلوب. [5]

---

(1) مادة الحرب الخاطفة، **الموسوعة العسكرية**، ج1، مرجع سابق، ص592.

(2) باسيل ليدل هارت، **الاستراتيجية وتاريخها في العالم**، تر: الهيثم الأيوبي، (لبنان: بيروت، دار الطليعة، ط04، 2000)، ص ص 202-208.

(3)-James S. Corum, **The Roots of Blitzkrieg : Hans Von Seeckt and German Military Reform,** University Press of Kansas ;1992 , P25 .

(4)-Bernard Boene, Michel L. Martin, **Conscription et armée de étier : Séminaire armée et société**, (France : paris, Fondation pour les etudes de défense nationale), 1991, P373.

(5)- مادة الحرب الخاطفة، **الموسوعة العسكرية**، ج1، مرجع سابق، ص593.

استعمل الألمان إبان الحرب العالمية الثانية بكفاءة أسلوب الحرب الخاطفة، وذلك من خلال توجيه ضربات سريعة ومفاجئة، تضطر العدو الى الاستسلام قبل حصول أي مقاومة، وقد أدى النجاح الخارق لهذا الاسلوب ضد بولونيا 1939م، إلى اقناع هتلر بتسبيق الهجوم المخطط له ضد فرنسا والبلاد المنخفضة عام 1940م، حيث كانت دبابات "البانزر" في مقدمة الهجوم لسرعتها، تدعمها قوات النخبة الالمانية والطائرات القاذفة، ورغم أن هذه الحرب ساعدت ألمانيا في انتصاراتها إلا أنها كانت السبب في هزيمة الجيش الألماني عند غزوه للاتحاد السوفياتي، حيث طور الروس أسلوب الدفاع في العمق، وذلك لتوفر العمق الجغرافي الكبير الذي أنهك حركة المدرعات المندفعة الى الامام، ومع اتساع خط الامداد لها، لم يعد بالإمكان تحقيق سمة المفاجأة التي تتميز بها هذه الحرب.[1]

استوحت اسرائيل نجاحات الجنرال الألماني هانس غودريان *Hanz Gudrian* في الحملة على فرنسا ضد الفرنسيين سنة 1940م والجنرال ايرفن رومل *Erwin Rommel* في الصحراء الليبية والمصرية عام 1941م، واعتبرت هذه الأساليب الألمانية ملائمة لحروبها ضد العرب، وفي صميم نظريتها القتالية القائمة على الضربة الاستباقية المباغتة، وتبنى الجيش الاسرائيلي هذه الاستراتيجية بتوفير الحماية الجوية للقوات المدرعة المتوغلة في الأراضي العربية، خاصة سنة 1956 و1967م.[2]

إنّ تطور نظم الاستخبارات والدفاع الجوي قد حد في كثير من مناطق العالم من فاعلية هذا النمط من الحرب، غير أنّه يظل فعالا في العالم العربي من طرف إسرائيل، نتيجة الفجوة المتصلة بالتفوق العسكري، وضعف الادارة القتالية من جانب الطرف العربي.

المطلب الثاني: ثنائية البحر والجو في ادارة الحروب.

خاضت الشعوب حروبها عبر التاريخ ضمن معارك متواصلة، وبدرجة عالية من التصميم على الانتصار، وقهر الأعداء، وعلى هذا النحو فإنها تخيّرت لأجل تحقيق ذلك الهدف؛ كل الأسباب

(1) -فراس البيطار، **الموسوعة السياسية والعسكرية**، ج4، مرجع سابق، ص 1436.
(2) -محمد خواجة، **استراتيجية الحرب الاستراتيجية**، (لبنان: بيروت، دار الفارابي، ط1، 2014)، ص ص 18،19.

الداعمة بما في ذلك الاطلاع على حيثيات الترتيب للمواجهة، ونوع السلاح المستعمل، وخطط الخصم وتحركاته، وكذا ميدان المعركة، ولطالما كانت المواجهة على البر بأسلوب الاصطدام المباشر والالتفاف والمناورة، إلا أنّ تطورات المعارك، وتحركات الجيوش اقتضت أن تدخل البحر في مجال المواجهة العسكرية، كما أن التطور التكنولوجي جعل الجو ميدانا مكملا للعمليات العسكرية خاصة ذات الطابع الهجومي، بل إن الأمر تعدى ذلك الإطار ليصبح الجو البديل الأفضل في الحسم العسكري، واقترانا بهذه المعطيات ؛ فإنه يجدر التفصيل في ثنائية البحر والجو ضمن إدارة العمليات العسكرية الحديثة خاصة، والوقوف على أساسيات الانتصار وفقها.

الفرع الأول: القوة البحرية ضمن الأعمال العسكرية:

ظلّ البحر ذا تأثير فاصل وحاسم في المعارك عبر التاريخ، وقد ظهر ذلك جليا عندما أدركت اليونان اثناء حربها مع الفرس؛ أنّه من الصعب عليها التغلب على عدوها، طالما لديه أسطول بحري يستطيع به نقل قواته وإمداداته عبر بحر إيجا؛ وإنزالها على الشاطئ اليوناني، وحين استطاعت اثينا بناء قوة بحرية، فقد تمكنت من هزيمة الفرس في معركة سلاميس البحرية *The Battle of Salamis* عام 480 ق م. [1]

لقد اسفرت هذه المعركة عن سيطرة الشعوب اليونانية على البحر المتوسط لمدة طويلة، انتهت بصعود قوية بحرية بديلة ومتفوقة؛ تمثلت في قرطاجة، والتي انتهت أيضا بصعود روما وتدمير القوة البحرية القرطاجية، وتمّ هذا النصر من خلال تكوين أسطول بحري كبير، تم توظيفه فيما بعد في جعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة رومانية.

في تاريخ أوروبا إبان العصور الوسطى استطاع الفايكينغ *VIKING* أن يسيطروا على منطقة اسكندنافيا من خلال امتلاك قوة بحرية متنقلة، تم توظيفها في أعمال الإغارة والغزو، والسيطرة على حركة السفن المعادية في بحر الشمال، ووصولا إلى المحيط الأطلسي، فيما ظلّ الموقع الطبيعي لبريطانيا يوفر لها الأمان من الغزو الخارجي، وفي نفس الوقت كان بمثابة العامل المحفّز لبناء قوة بحرية، تمكنت من هزيمة القوى المعادية، وبرز ذلك خاصة في معركة الأرمادا *ARMADA* التي تم فيها تدمير الاسطول الإسباني كاملا في 10 أوت 1588م، وشكّلت تلك الهزيمة انهاءً للقوة والتفوق الاسباني، مقابل صعود قوة بريطانيا.

---

(1)- برنارد مونتغومري، **الحرب عبر التاريخ**، ج 01، تر: فتحي عبد الله النمر،(مصر: القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ط 01، 1971)، ص 15.

شكّلت المراهنة على القوة البحرية أسلوبا ناجحا للدولة العثمانية في محاصرة الدول الأوروبية، ونقل الجيوش ودعم الأعمال الهجومية وأنشطة الاستطلاع والإمداد، وكان لذلك دور في تحرير شمال إفريقيا من الإسبان، واشتهر في ذلك كل من الأخوين خير الدين بربروس وبابا عروج، اللذان أسسا البحرية الجزائرية فيما بعد، والتي استمرت مسيطرة على الجزء الغربي من البحر الأبيض المتوسط غلى غاية تدمير أسطولها في معركة نافارين *The Battle of Navarino* سنة 1827م.[1]

إن اعتماد القوة البحرية كأساس لإلحاق الهزيمة بالأعداء؛ كان حاضرا إبان التنافس ما بين فرنسا وبريطانيا ولجوئهما إلى سياسة الحصار البحري، حيث استطاعت بريطانيا أن تنتصر على الفرنسيين في مصر سنة 1799 في معركة أبي قير، ثم تمكنت من إنزال قواتها على الساحل البرتغالي سنة 1808م، قبل أن تتمكن من إلحاق الهزيمة بنابليون، الذي كان يملك أكبر قوة عسكرية برية آنذاك، لكنه كان مقيدا باستراتيجيات الحرب البرية دون الاستعانة بالحرب البحرية. [2]

ساهمت القوة البحرية بشكل فاعل في الحروب الحديثة، وساعدت في انتصار الحلفاء في الحربين العالميين الأولى والثانية، ومن ذلك معارك البحر البيض المتوسط ضمن الحرب العالمية الأولى، ومعارك المحيط الأطلسي والهادي في الحرب العالمية الثانية، وزادت قيمة البحر في تحقيق الانتصار العسكري مع اختراع حاملات الطائرات الضخمة، وتشكيل القوات البحرية النظامية؛ التي تستطيع أداء مهام القتال في الجو والبر، على غرار فعالية قوات الولايات المتحدة، والتي اتضح مدى كفاءتها في الحرب العالمية الثانية، عند الانزال في النورماندي سنة 1944م، وقبل ذلك في شمال افريقيا وصقيلية سنة 1943، وكذا في الحرب الكورية، 1950–1953، ووصولا إلى حروب الخليج الثانية والثالثة، ويعتبر الأسطول السادس الذي يتحرك في البحر الأبيض المتوسط عماد القوة البحرية الأمريكية.

في مثال واضح عن أهمية الثورة البحرية في حسم المعارك عسكريا وبشكل سريع، يمكن الاستعانة بمثال حرب "الفوكلاندز"*Falklands War* بين بريطانيا والأرجنتين، حين قدَّر المجلس العسكري الأرجنتيني أنّ البُعد الجغرافي للجزر عن المملكة المتحدة، وعدم وجود قوات بريطانية يُعتد بها في المنطقة، يوفر للأرجنتين الفرصة للاستيلاء على الجزر، وتدعيم أوضاعها فيها، ويفرض أمراً واقعاً جديداً؛ يجعل الحكومة البريطانية تتردد كثيراً قبل الإقدام على مغامرة عسكرية غير مضمونة النتائج لاستعادة سيطرتها على تلك الجزر، في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تعاني منها

(1) - فراس البيطار، **الموسوعة السياسية والعسكرية**، ج01، الأردن: عمان، أسامة للنشر والتوزيع، 2013، ص 333

(2)- برنارد مونتغومري، مرجع سابق، ص 15

بريطانيا، والتي ستزيد أي عمليات عسكرية من ضائقتها، إلا أنّ هذه الأخيرة قامت بتسيير أسطول بحري وجوي، نجح في استرجاع الجزر، وتدمير القوات العسكرية الأرجنتينية هناك في الفترة ما بين أفريل وجوان 1982. [1]

يمكن الإشارة إلى أن القوة البحرية لوحدها؛ إن لم تستند إلى حسن التخطيط ودراسة الظروف الجوية المصاحبة لعملها، قد تعجز عن ضمان النصر العسكري، بل وقد تؤدي إلى هزيمة قاسية، على غرار ما تعرضت له قوات الحلفاء في معركة "غاليبولي"*Gallipoli* ضد تركيا العثمانية سنة 1915، حينما تطلعت إلى الاستيلاء على مضيق الدردنيل عن طريق الانزال البحري [2]، وهناك مثال آخر عن قصور القوة البحرية في تحقيق الحسم العسكر، يتمثل في عجز القوات الأمريكية البحرية عن إيجاد طريقة لغزو فيتنام الشمالية سنة 1972م، بعد فشل الحرب الجوية.

إن التطور الذي لحق بمنظومة الأسلحة أدى إلى تغيير الأثر الذي تخلفه الحرب البحرية، التي ظلّت في المفهوم العسكري متوقفة عند الساحل، وصارت قادرة على اخضاع الدول المستهدفة، نتيجة للتقدم الذي حصل في مجال القذائف البحرية بعيدة المدى، وبدور محوري لحاملات الطائرات التي صار لها القدرة على نقل القوات والدفع بها نحو تدمير الأهداف العسكرية والاقتصادية من على مسافات بعيدة في اليابسة، وبنفس الوقت فإن تطور الغواصات أعطى القوة البحرية نظاما بديلا عن حاملات الطائرات وعن المواجهة المكشوفة خصوصا بعد تجهيزها بالأسلحة النووية.[3]

الفرع الثاني: الانتصار في الحرب الجوية:

يرتبط استغلال الجو كجزء من الأعمال العسكرية بالتطورات العلمية، التي أدت إلى امكانية التحليق والتنقل الجوي، وبدءا من المناطيد والأشكال الأولى للطائرات؛ تمت المراهنة على فاعلية الحرب من الجو، ضمن الاعتقاد بسرعة الانتصار عبرها، وكذا تدمير العدو في ظل عجزه عن الرد، ولقد كان أوّل استخدام لسلاح الطيران في العمليات الحربية؛ في مطلع القرن العشرين، وذلك حينما بادرت إيطاليا إلى ذلك أثناء احتلال ليبيا سنة1911م، حيث تمّ إطلاق أو عملية جوية حربية في التاريخ العسكري، وذلك يوم 222 أكتوبر 1911م؛ عبر القاء القنابل الصغيرة يدويا من على الطائرة، دون

---

(1)- نجاة سليم محاسيس، **معجم المعارك التاريخية** (الأردن: عمان، دار الزهران للنشر والتوزيع، ط 01، 2011)، ص 395.

(2)- روبرت غرين، **33 استراتيجية للحرب**، تر: سامر أبو هواش، (السعودية: الرياض، منشورات مكتبة العبيكان، ط 01 ، 2009)، ص ص 110- 111

(3)- ل. دابليو مارتن، **البحر في الاستراتيجية الحديثة** ، تر: عبد الكريم الحاج عناد، (لبنان: بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط01، 1982)، ص ص 32-33

وجود آلية دقيقة في القصف، ثم حدث تطور في الاستخدام العسكري للطائرات، وذلك لتجنب النيران الأرضية؛ وزيادة حمولة معدات القصف لديها.[1]

لقد حدث تحول في مهام الطيران من مجرد الاستطلاع والقصف المحدود، إلى تطوير فاعلية المقاتلات واستخدامها في عملية دعم القوات البرية فوق الجبهات، أو في عمق أراضي العدو، وشهدت الحرب العالمية الأولى بداية عمليات القصف الجوي الاستراتيجي من طرف ألمانيا وبريطانيا، وظهر تأثير القوة الجوية البريطانية في الاستيلاء على الأراضي العربية، التي كانت تحت سيطرة الأتراك، ضمن استراتيجية دعم عمليات حرب العصابات التي كان يخوضها العرب ضد العثمانيين، بتوجيه وتأطير من البريطانيين.[2]

لقد ظهر أنّ للقوة الجوية تأثير فعال على الحرب في البر والبحر، حيث نجحت فرنسا في اخماد الثورة السورية سنة 1925، واتضح مدى فاعلية القصف والرشاشات التي جرى تركيبها على الطائرات، في استهداف الثوار السوريين المتحصنين في دمشق بمعركة ميسلون سنة 1925م، وقد مثّلت الفترة الفاصلة بين الحربين العالميتين تقدما مهما في التصنيع الحربي لمعدات الطيران، وتحسينا لأداء الطائرات المقاتلة وارتفاعاتها وأنماط القصف لديها، وظهر ذلك خلال الحرب الأهلية الاسبانية 1936–1939م، والغزو الايطالي للحبشة(أثيوبيا) 1935، وكذا الغزو الياباني للصين 1937م، وفي خلال عام 1940 ظهرت الكفاءة القتالية للطائرات الألمانية خاصة طائرات شتوكا *Stuka* في تدمير قوات الحلفاء، والاستيلاء السريع على منطقة غرب أوربا، وكذا إنجاح البدايات الأولى لعملية بربروسا ضد الاتحاد السوفياتي.

خلال سنتي 1941–1942م؛ ظهر في ميدان جنوب شرق آسيا والباسفيك التعاون الوثيق، والتفوق الكاسح للقوة البحرية والجوية اليابانيين، وذلك عندما شنت اليابان في 07 ديسمبر 1941 أعنف هجوم جوي آنذاك مستهدفا الأسطول الأمريكي في بيرل هاربر، حيث كان قوام هذه الحملة الجوية 300 طائرة، وفي عام 1942 حدثت معارك المحيط الهادي، وأبرزها معركة: بحر المرجان، والتي أنهت الامتداد العسكري الياباني، ونقلت الحرب من المحيط الهادي إلى البحر الآسيوي. [3]

---

(1)- مادة **الحرب الجوية**، في الهيثم الأيوبي (محرر)، **الموسوعة العسكرية**، ج01، (لبنان: بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و الشر، ط01، 1977)ص 583

(2)- مادة **الحرب الجوية**، مرجع سابق، ص ص 583-584.

(3)- برنارد مونتغومري، مرجع سابق، ص 16.

إنّ تطور القوة الجوية واستعمالاتها العسكرية؛ تزامن مع تطوير وسائل الدفاع ضد القوات الجوية المعادية، ومثّل اختراع الرادار أبرز تقدم علمي في هذا الشأن، حيث ساهم في الاكتشاف المبكر للهجمات الجوية المعادية، والاستعداد لها وتقليل خسائر القصف، وإمكانية الرد على الهجمات الجوية بكفاءة عالية وبشكل استباقي، ويمثّل هذا الاختراع أحد مقومات الانتصار البريطاني في المعارك الجوية سنة 1940م، التي عرفت بمعركة بريطانيا؛ كما أن تطوير منظومة الدفاع الجوي والصواريخ المضادة للطائرات، حتّم على الدول ضرورة أن تزيد من أساسيات التأمين القتالي الجوي، وسبل المناورة والارتفاعات العالية، وكذا القدرة على التخفي، بالإضافة إلى تسريع عملية تدمير الأهداف المعادية، لأجل تحقيق ما سيطلق عليه في نظرية الحرب الجوية بالسيطرة على الجو، والتي تتيح السيطرة على المجال الأرضي من خلال القدرة على الوصول إلى الأهداف الحيوية في العمق الاستراتيجي للبلد المستهدف، وتدمير قدراته العسكرية الدفاعية والهجومية ضمن اشتباك آمن؛ ومن مسافات بعيدة.[1]

إنّ إدارة العمليات العسكرية الجوية؛ صارت أميل ما تكون قريبة من مفهوم السيطرة على الجو وعلى الفضاء، فقد أصدر برنارد برودي Bernard Brodie كتابه **الاستراتيجية في عصر الصواريخ**، معتبرا أن هذه السيطرة هي محور العمل الاستراتيجي في العصر النووي، ونظرا لأنّ الدول الكبرى قد تمكنت من الحصول على عناصر الردع النووي، فإنّ تطبيق السيطرة على الجو وعلى الفضاء؛ سيجعل المدنيين هدفا في الحرب[2]، وهذا ما لا يمكن انكاره بالنسبة لحقيقة أنّ الحروب الحديثة؛ خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، صار الجزء الأكبر من ضحاياها من المدنيين، نتيجة لأعمال القصف الجوي؛ التي لا تميّز بين الأهداف العسكرية و المدنية.

إن الانتصار في الحرب عبر السيطرة على الجو؛ يقتضي العناصر التالية:

01-وضوح الهدف: حيث يقتضي ذلك أن تكون هناك خريطة للأهداف المستهدفة، والتي يجب أن تكون حيوية، ويشكّل استهدافها شلا لقوات العدو، على غرار الجسور والمطارات والبنى التحتية؛ والقواعد والتجمعات العسكرية؛

02-الوسائل: حيث يشترط ان تكون هناك وسائل مساعدة على انجاح هذه السيطرة؛ مثل حاملات الطائرات، وكذا الاسناد الجوي المنظم؛

([1])-عبد القادر محمد فهمي، **الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية: دراسات في الأفكار والعقائد ووسائل البناء الامبراطوري**، (الأردن: عمان، دار الشرق للنشر والتوزيع ط01، 2009)، ص 175.

([2])- سامي خشبة، **مفكرون من عصرنا**، (مصر: القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط 1 ، 2001) ص 172.

03-معدل القوة: يجب أن تكون الطائرات المستعملة في هذه السيطرة بتعداد كافي، وأن يجري التنسيق بين أسراب الهجوم الجوي، وتحقيق الحماية المتبادلة لها والتغطية النارية لأعمال القصف والانزال التي قد تقوم بها، كما أن الاعتماد على القصف الصاروخي، يتطلب أن تكون الصواريخ المستعملة ذات فعالية قصوى لتسريع الحسم العسكري؛

04-الاستخبارات: وذلك لأهمية توافر المعلومات حول الأهداف المستهدفة، ومعرفة تحركات الخصم، وتكوين معلومات دقيقة عن قوات الاحتياط، وأماكن تواجد القيادات المعادية،

05-المتابعة: حيث ينبغي على القوات العسكرية الجوية أن تتابع مهمات القصف على شكل موجات متتالية، من أجل عدم ترك الفرصة للعدو في تجميع قواته وامتصاص حدة الضربات الجوية. [1]

لقد حدث تطور مهم في مجال السيطرة على الجو، جعل هذه الحرب أكثر فاعلية من خلال الاستغناء عن الطيارين، وبذلك تأمين حياتهم ضمن تطوير للطائرات المسيرة عن بعد، وهي التي تعرف بالطائرات من دون طيار *Unmanned Aerial vehicley*، والتي يتم تجهيزها للأعمال المتتالية، وأعمال الرصد والاستطلاع، ويجرى توظيفها في الشرق الأوسط، خاصة من طرف اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، وأثبتت فاعلية عالية في الأعمال القتالية، كما أنها ظلّت تضمن المراقبة الدورية، والاستهداف الدقيق للأهداف المعادية، كما أنّها تشكل عماد ما يوصف بالحرب على الارهاب، وإدارة الحرب الذكية، وتقليل الأضرار الجانبية كما يتم الترويج له دوما. [2]

يدخل ضمن مجال استعمال القوة الجوية في إدارة الحرب والانتصار فيها؛ ما يعرف بالنقل الاستراتيجي للقوات والمعدات، وقدرات التزود بالوقود خاصة في الجو، والنجاح في إعداد المعارك على نحو أفضل، وبكفاءة عالية؛ حيث ان تحريك قوات برية ضخمة عبر مسافات طويلة وآمنة، يحتاج لطائرات ضخمة وسريعة [3]، وهو ما لا يتوفر لأغلب الدول، في حين أنّ أحد أسباب نجاح الولايات المتحدة في عاصفة الصحراء سنة 1991م؛ هي قدرتها على نقل أكثر من نصف مليون جندي، ومعدات الحرب الكاملة في ظرف ثلاثة أشهر.

المطلب الثالث: الحصار وحروب المدن

---

(1) قناة الجزيرة الفضائية، **سلسلة الخطط الحربية: السيطرة على الجو**، شريط وثائقي تم بثه بتاريخ 2011/10/19 على قناة الجزيرة الوثائقية، الدوحة، قطر.

(2)- أحمد سمير عارف، **العلاقة في التقدم التكنولوجي و التفكير الاستراتيجي الامريكي**، (مصر: القاهرة، المكتب العربي للمعارف، ط 01 ، 2015)، ص72.

(3)-المكان نفسه.

تندلع الحروب باستمرار بين الشعوب لأسباب مختلفة، ويتحول النقاش غالبا من تحليل الأسباب إلى فهم العمليات العسكرية وأساسيات الانتصار، واستراتيجيات كل طرف في إدارة المجهود الحربي، ونظرا لأنّ الحروب لا تظلّ بطبيعة الهجوم فقط، وليست مواجهة مفردة لمرّة واحدة في الغالب، فإنّ أطرافها يكونون أميل إلى تطوير تقنيات الدفاع والهجوم، وأن يراعوا مقتضيات الجغرافيا والعامل الزمني والعوائق الطبيعية، أو تلك العوائق التي جرى استخدامها في عرقلة النشاط الحربي؛ من قبيل التحصينات التي تشمل الجدران والحصون والخنادق، وكل وسيلة دفاعية توضع لزيادة قوة المكان. [1]

ضمن هذا الترتيب يمكن الربط بين شكلين من الحروب؛ هما:

حروب الحصار التي يتم فيها اعتماد أسلوب محاصرة الخصم بما أمكن في محاولة لإخضاعه، ويصبح الرهان على من يتأثر أكثر وفق منظور من يتحمل ومن يصرخ أولا، أما الشكل الثاني فيعتمد على محاولة إخضاع المدن والسيطرة عليها، وتدمير كل مقاومة فيها، وينبئنا التاريخ عن نماذج عديدة لتلك الحروب، والتي جمعت ما بين الحصار وإرادة الصمود، وإمكانية تحويل الهزيمة والضعف إلى نصر وقوة.

الفرع الاول: حروب الحصار بين الانتصار والهزيمة:

يعتبر الحصار Siege عملية حربية تهدف إلى إحاطة مدينة أو قلعة أو موقع محمي، أو محصّن بقوات عسكرية ومحاصرته، وبذلك يسعى الطرف المهاجم إلى التمركز بشكل يرغم المحاصرين على الاستسلام[2]، ويتلاقى مفهوم الحصار مع مفهوم التحصين المشار إليه آنفا، حيث أنّ الدول ظلّت تناضل دوما من أجل حماية شعوبها من خطر الغزو، وفي نفس الوقت تمكين تلك الشعوب من حرية الحركة في الإقليم، وقد قام اليونانيون على غرار عدد من الشعوب القديمة ببناء الأسوار، كما أنّ الرومان كانوا كلّما تقدموا وضعوا أسوارا لحماية ما حازوه من أراض، إلاّ أنّ التجربة الأشهر عبر التاريخ تقترن بسور الصين العظيم، وهو السور الذي كان سببا في تحول الغزو المغولي بدرجة كبيرة نحو الغرب حيث العالم الإسلامي، وظلت القلاع والحصون مفيدة إلى غاية اختراع الأسلحة النارية التي استلزمت تطوير التحصينات بشكل مخالف للطرق التقليدية، وبذلك تغيرت وسائل الحصار وفاعليته .

(1) - بول. أ.كوباسا، **الاختراعات والاكتشافات: الحرب**، تر: خليل يوسف سمرين (السعودية: الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 2016)، ص45.

(2)مادة الحصار ، **الموسوعة العسكرية**، ج1، مرجع سابق، ص ص816،817.

إنّ الحصار بما اشتمل عليه عبر التاريخ من شكل بحري وآخر برّي، أضيف له في القرن العشرين الحصار الجوي، عن طريق حظر الطيران والمراقبة الجوّية للإقليم المحاصر، وبالنسبة للحصار البحري؛ فقد ظلّ عبر التاريخ يندرج ضمن محاولة إحاطة شواطئ العدو بالمعدّات الحربية من خلال السفن، بغية عزل الدولة ومنع تبادلاتها التجارية وحرمان جيشها ممّا يحتاج إليه من ذخائر وأسلحة، والحصار يكمن أن يكون في ظل الأعمال العسكرية، أو في مرحلة تتوقف فيها تلك الأعمال، أو لم تندلع بعد، ويعرف هذا النمط بالحصار السلمي، ومن أمثلة ذلك الحصار الأمريكي على كوبا سنة 1962 م، كما قد يكون ممهدا للتدخل العسكري؛ على غرار الحصار البحري الذي فرضته القوات الفرنسية على الشواطئ الجزائرية في الفترة (1827-1830م) [1].

يمتد الحصار البحري إلى محاولة السيطرة البحرية التامة، وشل عمل الموانئ، والتمهيد البحري الناري عن طريق القصف من السفن والغوّاصات، لتسهيل الاقتحام وقد جرى التعامل به عبر التاريخ كوسيلة لإحراز النصر في الحرب، وهو يقترن بمدى واقعية تنفيذه، حيث لا يمكن للدولة أن تعلن الحصار البحري ما لم يكن لديها القوة لفعل ذلك، وإلاّ فإنّها ستستثير العداءات الخارجية في ذلك، كما تفقد هيبتها العسكرية، وتشتت مواردها.

تقترن أعمال الحصار البحري بإجراءات التفتيش، وتنظيم نمط العلاقات مع الدول المحايدة لتجنب حالات التصعيد والاستعداد، وهوما يقتضي أن تكون الرغبة في قطع اتصال دولة بالعالم الخارجي، مراعية لاحتمال أن يتطور الامر إلى استخدام القوة العسكرية ضد من يخترق هذا الحصار.

تمّ إرساء جملة من الشروط القانونية بالنسبة لأعمال الحصار البحري، والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- أن يتمّ إعلانه بشكل رسمي، وبأمر من حكومة محاربة، وأن يجري إعلام السلطات المحلية، والقنصليات الأجنبية على الجهة المحاصرة؛
- أن يكون الحصار قائما عمليا وفعليا، وأن يستمر على كل السفن دون تمييز؛
- أن يسبق إجراءات التعامل مع مخالفة أوامر الحصار، إنذار بالامتثال للتفتيش قبل أن يجري المضي في تصعيد الموقف. [2]

استعمل خيار الحصار البحري عبر التاريخ كوسيلة لإخضاع الدول، والمراهنة على حالة الاستياء الداخلي بتوقف المبادلات التجارية وشح الموارد، وموجات الجوع التي قد تحتاج الدولة، ويمكن

(1) - سعيدوني ناصر الدين، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1984) ص81.
(2)-مادة الحصار البحري، **الموسوعة العسكرية**، ج1، مرجع سابق، ص817.

الاستدلال بحالات عدّة للأثار السلبية للحصار البحري، على غرار ما عانته مدينة "طروادة" اليونانية، ومرورا بما مارسه الرومان ضد قرطاجة قبل إخضاعها، وكذلك محاولات المسلمين محاصرة القسطنطينية من البحر والتي وصلت في عهد الخليفة مسلمة بن عبد الملك إلى تجويع المدينة، إلا أن الحصار فشل في الأخير نتيجة الدفاعات المتقدمة للبيزنطيين، وقدرتهم على الإغارة واستعمال وسائل التدمير والحرق للسفن، كما نفّذ الصليبيون أعمال الحصار البحري على الشواطئ المصرية في سنة 1254م لدرجة أوصلت السكان إلى المجاعة[1]، وضمن حركة الاسترداد؛ حاصر الإسبان شواطئ شمال افريقيا، وألحقوا أضرارا بالغة بالموانئ المغاربية، واحتلّوا عددا منها لعقود، وبالموازاة مع ذلك نجح البرتغاليون في فرض الحصار البحري على شبه الجزيرة العربية ومداخلها، ممّا ألحق ضررا فادحا باقتصاديات مصر واليمن، وحتى اقتصاد المدن البحرية الإيطالية على غرار البندقية[2].

ظهرت خلال العصر الحديث أمثلة عديدة للحصار البحري، ومن ذلك محاولة السفن الإسبانية محاصرة الشواطئ البريطانية عام 1588م، والذي أُطلِق عليه اسم الأرمادا ***Armada*** التي لا تقهر لاعتقاد الإسبان ذلك، غير أن سوء التخطيط في الحصار، وكذا الاستعانة بأسطول من السفن غير المتطورة أدّى إلى تحويل الحصار لهزيمة شديدة، كذلك هناك مثال الحصار المتبادل بين فرنسا وبريطانيا خلال فترة الحروب النّابليونية ما بين (1803–1814 م)، ويوجد نموذج لنجاح الحصار البحري حينما تمكنت الأساطيل الأوروبية من تدمير القوات البحرية العثمانية في ميناء نافارين سنة 1827م[3]، وخلال الحرب الاهلية الامريكية أعتمد أسلوب الحصار البحري للموانئ الجنوبية لمنع الانفصاليين من الاتصال بالدول الأوروبية، ودعم المجهود العسكري لهم، وكذا قطع التبادل التجاري مع العالم الخارجي، ولقد حاول الجنوبيون اختراق هذا الحصار عن طريق تطوير اختراع الغواصة، والتي كانت الأساس لحرب الغواصات فيما بعد. [4]

كان الحصار البحري جزءا من الأعمال الحربية في أغلب معارك القرن العشرين، وساهم السعي لتنفيذه في جر الولايات المتحدة الامريكية إلى الحرب العالمية الأولى سنة 1917 م، بعد أن استهدف الألمان عددا من السفن الامريكية، والتي من أبرزها سفينة لوزيتانيا Lusitania، كما أدّت مخاوف اليابانيين

([1])- محمد عرموش، **هؤلاء حكموا مصر**، (مصر: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 2012، ص171.

([2]) -فراس البيطار، مرجع سابق، ص333.

([3]) -أسامة زيد وهبة الصيادي، **أهم الاختراعات والاكتشافات في تاريخ الانسانية**، (لبنان: بيروت، دار الساقي، ط1، 2017)، ص65.

([4]) - هادي محمد صالح، **عاصفة الحزم**، (السعودية، الرياض، الجنادرية للنشر والتوزيع، ط1، 2016)، ص ص 73 – 80.

من أن يفرض عليهم حصار بحري من طرف الأمريكيين سنة 1941 م إلى المبادرة من جانبهم في قصف الأسطول الأمريكي بميناء بيرل هاربر *Pearl Harbor* في 08 ديسمبر 1941م.

حاول العرب فرض حصار بحري على اسرائيل في ماي 1967م، غير أنّ ذلك تحول إلى أكبر هزيمة تلقوها، أدّت إلى فقدان كل فلسطين التاريخية، واجزاء من سوريا ومصر، ولم تنجح مصر مثلا في استعادة ما فقدته، إلاّ بمفاوضات أعادت لها صحراء سيناء؛ وبقيود صارمة.

أثناء الحرب العراقية الإيرانية، حاولت الدولتان فرض حصار بحري على بعضهما البعض، وكان العراق أكثر تضررا، لأنه يملك إطلالة بحرية قصيرة على عكس إيران، وهو السبب ذاته الذي كان جزءا من مكونات الهزيمة العسكرية للعراق في حرب الخليج الثانية، وتمارس السعودية والامارات حصرا بحريا على اليمن منذ 2015 في محاولة لإسقاط السلطة القائمة عبر العملية العسكرية، التي عرفت بعاصفة الحزم، التي تتكون في الأساس من أعمال القصف الجوي والحصار البحري. [1]

هناك نمط آخر للحصار؛ وهو المتعلق بالحصار البري، والذي يشمل النطاق الجغرافي للدولة المراد محاصرتها برا، بهدف إخضاعها أو إجبارها على الانصياع لشروط معينة، وقد يجري الحصار لمدن أو مواقع عسكرية، هادفا إلى قطع طرق الإمداد والتموين، وتقسيم القوات، ويبرز الأثر النفسي له في الشعور باليأس لدى الطرف المستهدف، وانهيار للعزيمة نتيجة سياسة التجويع، والتي أجبرت مثلا حاكم مدينة أليزيا Alésia الجرمانية على التخلص مما أعتبره بمثابة أفواه لا فائدة من الدفاع عنها وهم الشيوخ والنساء والاطفال، وذلك حينما حاصره الرومان، غير أنّ قراره هذا كان غير نافع في منع الهزيمة في النهاية، ويمكن اعتبار هذا المثال نموذجا لحروب الحصار التي تتألف من تثبيت الحصار، ثم إخماد المقاومة تدريجيا، والتي تنتهي إما بالاستسلام أو الانقضاض على المدينة المحاصرة التي تعمّها الفوضى والمجامعة ، وأخيرا استخدام العنف والانتقام ضد المهزوم. [2]

يظل السبب الوحيد للصمود والقتال في ظروف الحصار هو وجود أمل في قدوم النجدة، والمراهنة على تعب المهاجم، وتكاليف الحصار بالنسبة إليه قد تتسبب في مشاكل، وخلافات بين القادة، وتضطر القائد الاعلى إلى رفع الحصار على غرار ما وقع في حصار العثمانيين لمدينة فيينا 1683 م، والذي استمر لمدة شهرين، وانتهى بانسحاب العثمانيين، وتوقف توسعهم في أوربا، كما تمكن النمساويون من تتبع خصومهم وإخلاء مناطق واسعة لصالحهم.

([1]) -غاستون بوغول وآخرون، **الحروب والحضارات**، مرجع سابق، ص ص 284 – 286.

([2])- نادية مصطفى، **التاريخ والعلاقات الدولية**، ج1، (مصر: القاهرة، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1)، ص241.

في جانب آخر لطالما أسهم الطقس السيء، وتفشي الأمراض في صفوف المهاجمين إلى إفشال الحصار البري، على غرار ما حدث بالنسبة لقساوة الشتاء أثناء حصار ستالينغراد سنة 1942 م، أو تفشي الطاعون في الحملة الصليبية التي قادها لويس التاسع ضد الأراضي الإسلامية في القرن الثالث عشر الميلادي (13م)، وتظل إرادة الصمود سببا كافيا في قهر الطرف المهاجم ، ومن ذلك نموذج لينينغراد؛ والتي كانت هدفا استراتيجيا للغزو الألماني سنة 1941م، حيث بدأ حصارها يوم 09 سبتمبر 1941 م قبل أن تتمكن القوات السوفياتية من فك الحصار عنها في 27جانفي 1944م، أي بعد 872 يوما من العزلة التامة، شهدت فيها المدينة أسوأ حرب تجويع أثناء الحرب العالمية الثانية .

اتبعت الدول الاستعمارية سياسة الحصار في إخضاع الشعوب المتمردة على حكمها، وفي إجهاض المقاومة المسلحة، على غرار ما فعلت فرنسا في حصارها لمنطقة الأوراس ما بين (1954–1956 م) ثم محاولة محاصرة كامل التراب الوطني عبر خطي شال وموريس، وكذا إقامة المحتشدات، وفصل الريف عن المدن، وتهجير السكان، وقد بلغت هذه الأعمال ذروتها سنة 1959م. [1]

مع بداية القرن الواحد والعشرين (21م) تراجع أسلوب الحصار البري في أغلب مناطق العالم ، نتيجة الاستتكار الشامل للمآسي التي خلّفها في البلقان خاصة، والعراق بعد حرب الخليج الثانية، غير أنّه تم العودة إليه في محاصرة قطاع غزة منذ 2006م من طرف إسرائيل، وفي ظل صمت دولي عن إجراءات غير إنسانية ضد المدنيين، تحرمهم من أبسط مستلزمات الحياة، وفي شكل مشابه تمارس الدول الخليجية باستثناء الكويت وعُمان، وعمان حصارا بريا شاملا عن الامتداد البرّي عن السعودية عن طريق مشروع قناة "سلوى" والتي من المخطط لها أن تلغي الحدود البرية لقطر، وذلك في محاولة لعزلها تماما وإخضاعها لسياسة الدول التي تحاصرها. [2]

يستند الحصار البحري والبرّي في العقود الأخيرة، إلى ما يسمّى الحظر الجوّي، والذي يشمل إمّا كامل إقليم الدولة أو حيزا جويا منها، ويعبر عنه بمنطقة الحضر الجوّي (No-Flyzone)، وهو أحد أشكال الحصار المؤطرة قانونا، باعتباره عقوبة يوقعها مجلس الأمن، ضمن التدابير التي يراها مناسبة للمحافظة على السلام والأمن الدوليين أو استعادتهما، واعتمادا على ذلك يتم منع تحليق الطائرات في

(1)- يحي جلال، **السياسية الفرنسية في الجزائر منذ 1830 – 1959** (القاهرة: مصر، دار المعرفة، ط1، 1959) ص271.
(2)- دون ذكر إسم صاحب المقال، **قناة سلوى المائية: هل يصبح العزل الجغرافي ورقة الضغط الأخيرة ضد قطر**، مقال منشور بتاريخ 2018/04/10، اطلع بتاريخ 2018/05/14 متوفر على الرابط الالكتروني.

أجواء منطقة معينة أو دولة معينة، كما حدث من خلال فرض حظر جوّي في شمال وجنوب العراق، بحجة حماية الأكراد والشيعة. [1]

هناك نموذج آخر للحظر الجوي استخدم ضد ليبيا، وتم تأطيره بالقرار رقم 748 من مجلس الأمن المؤرخ في 31مارس1992م، ضمن قضية "لوكاربي"*Lokerbie* والذي نصّ على عدم السماح لأي طائرة بالإقلاع أو الهبوط أو التحليق إذا كانت متجهة إلى ليبيا أو قادمة منها، مالم تكن الرحلة قد نالت –على أساس حاجة انسانية ملحة–موافقة لجنة مجلس الأمن[2]، ولقد تكرر الحظر الجوّي على ليبيا في حرب 2011م حين تدخل الحلف الأطلسي تحت دواع إنسانية، مساهما في اسقاط نظام القذافي، وقد تم تأطير ذلك تحت القرار" 1973" الصادر في 17مارس 2011م، والذي توسّع من مجرد حضر جوّي إلى ضربات جوّية قام بها الحلف ضد نظام القذافي. [3]

إنّ دراسة مفهوم الحصار كأسلوب لكسب الحرب، ينبني على الجمع ما بين القوتين المادية والمعنوية، كما يتعيّن أن يكون هناك إلمام بالقدرات التقنية وأساليب الاستطلاع والحرب النفسية، والطرق الفعالة في جلب المعلومات، وتوظيفها في الوقت المناسب.

الفرع الثاني: النصر في حرب المدن

ظلّت المواجهة العسكرية بين الجيوش قائمة على الصدام في معارك ضمن مساحات جغرافية مفتوحة، إلاّ أنّه ومع الزيادة السكانية؛ وتموضع الشعوب في مدن وتجمعات، صارت هذه الأخيرة ميدانا للصدام، وشكلا من أشكال الحروب خصوما مع تمترس المدافعين بين السكان، وسعي المهاجمين للاستيلاء على المدن والحصول على غنائمها، والتموقع في بنيانها، ويذكر لنا التاريخ نماذجا لما أصبح يعرف في التاريخ العسكري بحرب المدن، ومن ذلك دخول الملك الآشوري "نبوخذ نصر" (634ق م–562ق م) مدينة أورشليم التي يعرفها المسلمون باسم القدس، وقيامه بسبي سكانها، وكذلك دخول اليونانيين إلى طروادة، وخوضهم معاركا داخلها، وكذا الاشتباكات التي كانت بمثابة المقاومة

(1) -محمد علي مخادمة، **واجب التدخل الانساني**، (الأردن: عمان، دار المتني للنشر والتوزيع، ط1، 2011) ص75.
(2) سامح عبد القوي، **صور التدخلات السلبية وانعكاساتها على الساحة الدولية**، (مصر: القاهرة، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2015)، ص326.
(3)- حسن الزين، **وثائق الربيع العربي والصحوة الاسلامية**، (لبنان، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ط1، 2014)، ص ص 371، 372.

اليائسة عند دخول القوات للمدن، على غرار دخول الرومان إلى قرطاجة، والمسلين إلى عدد من المدن التي فتحوها، ومرورا بدخول الصليبيين إلى القدس سنة 1098م، وكذا دخول المغول إلى بغداد سنة 1258م، بعد حصار دام لقرابة الأسبوعين، ويتشابه ذلك بسقوط مدينة غرناطة في أيدي الإسبان سنة 1492م، حيث انتهت المقاومة إلى تسليم المدينة، وكان الأثر النفسي للسقوط حائلا دون اندلاع حرب مدن ضمن الصدام العسكري ، وذلك لتعويل السكان؛ ومن ورائهم القادة على الامان بدل القتال ، ففي حالة غرناطة قام أميرها بتسليم المدينة، والقبول بالجلاء عنها، ليبقى من أراد المكوث ضحية لمحاكم التفتيش، وجرى إجبارهم على التنصّر، ولم يتوقف عمل تلك المحاكم إلاّ بإصدار نابليون سنة 1808م مرسوما بإلغاء التفتيش في المملكة الإسبانية[1].

يمكن أن نسجّل في هذا الإطار أهمية الإقدام على شن حرب المدن، وذلك على أمل إلحاق أكبر قدر من الخسائر بالعدو، وإجباره على عدم التقدم، والتفاوض على شروط أفضل لوقف القتال، وهو ما افتقدته الجيوش العربية في حربها مع اسرائيل، حيث سرعة الحسم من المهاجم والخضوع من المنهزم، بينما التجارب التاريخية تثبت أنّ المدن بكثافتها السكانية، تظلّ بمثابة نقطة القوة في المواجهات العسكرية لصالح الطرف المدافع، وذلك بالمراهنة على كلفة الاستيلاء على المدن، وفي هذا الإطار يقول "صان تزو":

إنّ أسوأ سياسة هي الهجوم على المدن، لا تهاجم المدن إلاّ حين لا يكون أمامك أي خيار آخر.[2]

تُعرّف حرب المدن بكونها أحد نماذج الحروب البرية التي تجري داخل التجمعات السكانية بغية الاستيلاء عليها واخضاعها، فيما يقوم الطرف المقاوم بالسّعي لاستنزاف المهاجمين، وايقاعهم في الكمائن، وجعل تكلفة استمرار العمليات العسكرية في المدينة مكلّفة جدا للمهاجمين، ويعتبر حصار سرقسطة Saragosse بإسبانيا سنة 1809م، والذي انتقل إلى حرب شوارع داخل المدينة ضد نابليون؛ أول مثال حديث عن حرب المدن، حيث تقهقرت القوات الإسبانية نحو المدينة بعد هزيمتها في معركة توديلاTudela، وظلّت القوات الفرنسية تطاردها إلى أن وصلت إلى مدينة سرقسطة، وكانت معارك المدن تتوقف سابقا عن الأسوار، حيث أن من يسيطر عليها ، يسيطر تلقائيا على المدينة التي تستسلم، غير أن الإسبان رفضوا الاستسلام ، وجعلوا المدينة مجالا للمعركة. [3]

([1]) راغب السرجاني، **قصة الأندلس**، مرجع سابق، ص699.
([2]) صان تزو، **فن الحرب**، إعداد الحسيني معدي، (مصر: القاهرة، دار كنوز للنشر والتوزيع، ط2، 2012) ص145
([3]) هيثم هلال، **موسوعة الحروب**، (مصر: القاهرة، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط1، 2006).

تقوم نظرية حرب المدن إلى تحويل التحصين الخارجي إلى الداخل، وتوزيع المقاتلين ضمن الاحتياجات الدفاعية، والحرص على سدّ الثغرات، والإكثار من الكمائن، وتطوير نظم الاتصالات الداخلية، وتأمين الاحتياجات المعيشية للمدنيين والعسكريين، والاستعاضة عن المواصلات المكشوفة بطرق وممرّات بديلة، ففي حالة معركة سرقسطة قام القائد الإسباني "خوسي دي بالفوكس" JOSE Depalafox (1776–1847م) بالاستفادة من الأديرة القديمة، والمبنية من الحجارة الصلبة من خلال اتخاذها مراكز دفاعية، ووصلها بسواتر ترابية، كما جرى تعديل مسار أحد الوديان ليكون بمثابة حاجز مائي، واتجهوا إلى تحصين المواقع القتالية في الداخل، عبر تقسيم المدينة إلى مربعات صغيرة مستقلة، كما تم ثقب الجدران، ليتمكّن المدافعون من الانتقال بأمان بين المباني، مع الحرص على حماية الشوارع الرئيسية والساحات العامة بوضع القنّاصة في أبراج الكنائس وعلى الطوابق العليا[1].

نجحت القوات الإسبانية في تأجيل سقوط المدينة لشهرين، قبل أن تتمكّن القوات الفرنسية من الاستيلاء عليها، وهو الأمر المشابه لحالات من حرب المدن خلال القرن 20م، حينما كانت المدن تستعصي على المهاجمين، ويسعى كل طرف إلى إلحاق أكبر قدر من الخسائر بالطرف الآخر ، فخلال حملة غاليبولي *GALLIPOLI* والتي تُعرف بحملة الدّردنيل سنة 1915م، حاولت قوات بريطانية وفرنسية واسترالية ونيوزيلندية احتلال مدينة اسطنبول عاصمة الدولة العثمانية لأجل مساعدة الروس أمام الألمان، حيث توغّلت سفن الحلفاء في مياه مضيق الدّردنيل، لكنّها اصطدمت بمقاومة عثمانية متماسكة، فاضطرّت إلى اعتماد الهجوم البرّي، وكانت الخطة تقوم على كثافة الهجوم، والاعتماد على أساليب الإنزال، غير أنّ ذلك انتهى بتكبيدهم خسائر فادحة اضطرتهم إلى الانسحاب، وتم انقاذ مدينة اسطنبول من الاحتلال.[2]

تظلّ المراهنة في حرب المدن على جعل تلك الحرب حرب سيطرة على خطوط الإمداد، لأنّ قطع تلك الخطوط سيحوّل الحرب إلى حالة حصار، وعزل للمدينة ، تنتهي بالاستسلام إذا لم يتم فكّ الحصار، ويتبع قطع خطوط الإمداد؛ حرب الاستيلاء على مراكز التوجيه أو السيطرة أو تعطيلها، وعلى مستودعات الذخيرة والوقود، ففي حالة ستالينغراد خاض السوفيات معركة تأخير، بينما تقدم الالمان على طول المدينة، وقد حوّل السوفيات كلّ جزء منها إلى عقدة دفاعية، وذلك بدفع الألمان إلى أن

(1) عامر محسن، **حرب المدن والحرب بالمدنيين**، جريدة الأخبار، لبنان العدد 3059، ص05.
(2) محمد حمزة حسين ولبنى الرفاعي، **تاريخ العالم المعاصر**، (الأردن: عمان، دار غيداء، ط1، 2015) ص36.

ينتشروا في عمق المدينة، ثم يتم تطويقهم وعزلهم في الداخل، فُيصبحون محاصرين بعد أن كانوا مهاجمين، وبالفعل فقد استسلم الجيش النّازي، حين تمت محاصرته وقطع الإمداد عنه. [1]

قادت الدول الاستعمارية أشكالا متعددة من حروب المدن؛ خلال استعمارها للدول الإفريقية والأسيوية، ومن ذلك معركة قسنطينة سنة 1837م أثناء بداية احتلال الجزائر، والتي اضطرت فيها فرنسا إلى توجيه كامل قواتها في الجزائر لإخضاع مدينة قسنطينة، كذلك الأمر بالنسبة للإنجليز في معاركهم في افريقيا، وأيضا البرتغاليين والبلجيكيين، وخلال الحرب العالمية الثانية؛ اقترن مفهوم حرب المدن بعمليات السيطرة الكاملة على المدن في أوروبا الغربية وفي البلقان والاتحاد السوفياتي، ومن بين أهم حروب المدن هي حرب وارسو عاصمة بولندا سنة 1944م، حيث أنّه وحين حاول البولنديون الاستيلاء على المدينة (العاصمة) التي كانت محتلة، مراهنين على انسحاب الألمان تحت ضغط تقدم السوفيات، إلاّ أنّ هؤلاء لم يتدخلوا، وتركوا النازيين يبيدون المقاومة البولندية، وكان نتيجة ذلك أن قتل ربع مليون مدني، وتم تدمير المدينة في واحدة من أسوأ عمليات القصف التي شهدتها الحرب العالمية الثانية. [2]

أثناء الحرب الباردة كان نموذج حرب المدن متصلا بالنزاعات التي نشأت في خضم التنافس بين القطبين على أساس التوسع الإيديولوجي، ومن ذلك الحرب الكورية التي وصل فيها الشيوعيين إلى مدينة سيول عاصمة كوريا الجنوبية، ثمّ تراجعوا تحت ضغط القوات الأمريكية ، وكذلك نموذج حرب السويس سنة 1956م حين سقطت عدة مدن مصرية تحت سيطرة بريطانيا وفرنسا واسرائيل، لتنسحب منها هذه الدول تحت ضغط الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي، وتكرر الأمر بعد قرابة تسع سنوات؛ حين تمكنت اسرائيل من الاستيلاء على مدينة القدس الشرقية ومدن سيناء، والضفة الغربية والجولان في حرب مدن سريعة في جوان 1967م.

شكّل سقوط سايغون عاصمة فتنام الجنوبية سنة 1975م، أحد الأمثلة على عدم قدرة المدن في الاستمرار في المقاومة، حيث تحوّل الحصار الذي فرض عليها إلى عملية سيطرة انتهت بوصول الشيوعيون إليها وإنهاء النفوذ الأمريكي في فتنام، وأثناء الحرب العراقية الإيرانية اندلع ما يسمى بحرب المدن المتبادلة في الفترة ما بين 09 جانفي1987م و19فيفري1987، حيث جرى قصف المدن الحدودية خاصة من جانب إيران، ممّا أجبر العراق على تشييد الملاجئ، والرّد بقصف مماثل، وقد

(1) محمد مجدي، **قلوب مضادة للرصاص**، (مصر: القاهرة، دار دون للنشر والتوزي، ط1، 2017)، ص191.
(2) كيت روبنسن، **تغيير وجه العالم: التاريخ السياسي العالمي منذ الحرب العالمية الثانية**، (القاهرة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، ط1، 2017) ص81.

تمكنت إيران من الوصول إلى المحافظات البعيدة عن طريق القصف الصاروخي، وقد صرّح الرئيس العراقي الراحل صدام حسين في إحدى خطبه، بعد أن قصفت إيران البصرة :

"**ومرّة ثانية إذا تجاسروا وضربوا البصرة سوف نهدم مدنهم على رؤوسهم.**"[1]

في السنة الأخيرة من الحرب مع إيران؛ كانت القوة الجوّية العراقية قد انخرطت في حملة قصف ضد المدن الإيرانية الكبيرة، وتعدّتها إلى باقي المدن، وكان لذلك أثر كبير في إنهاء الحرب في 08 أوت 1988م.

بعد غزو العراق للكويت؛ تطورت أساليب حرب المدن عن طريق العمليات الخاصة وأساليب القصف، والتي لم يراع فيها سلامة المدنيين بقدر ما كان الاهتمام أكثر فيها بتدمير القدرات العراقية، رغم تحجج الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها بما يسمى القنابل الذكية، التي وصفت بانّها أكثر قدرة على الوصول للأهداف العسكرية، غير أن فضائعا كثيرة على غرار قصف ملجأ العامرية في 13 فيفري 1991م، حين قتل أكثر من 400 عراقي من النساء والأطفال، خالفت هذا التفسير.[2]

استمرت حرب المدن في بداية القرن الواحد والعشرين بصورتها المأساوية، مقترنة بالآثار الجانبية للأعمال العسكرية في أفغانستان والعراق والشيشان وأوكرانيا ولبنان، حيث ظلّ تحييد المدنيين أمرا صعبا، بل إنّه في سوريا صار بمثابة وسيلة ضغط في إدارة العمليات العسكرية، بما يوحي أنّ حرب المدن ستظلّ بمثابة الاستراتيجية المتبعة في إدارة الحروب، دون مراعاة للخسائر البشرية في صفوف المدنيين.

([1])-علوان حسّون العبوسي، **القدرات والأدوار الاستراتيجية لسلاح الجو العراقي في الفترة 1931، 2003م**، (الأردن: عمان، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، 2014) ص246.

([2]) فهد خليل زايد، **الحروب والتسويات بين الماضي والحاضر**، (الأردن: عمان، دار يافا العلمية للنشر، ط1، 2010)، ص229.

المبحث الثالث: الانتصار في الحروب اللاتماثلية

تخوض الدول حروبها عبر التاريخ تجاه بعضها البعض، ويقتضي ذلك أن توفر الإمكانيات المادية والبشرية للمواجهة، وأن يتم تنظيم ذلك على أساس توقع مجابهة عسكريّة متماثلة، إلاّ أنه وفي حالات متكرّرة؛ اتّضح أنّ التهديد لا يصدر فقط من دول تحشد جيوشها، وإنّما قد يأتي على شاكلة تمرّد يعم الدولة أو إقليما منها، أو جزءً من الأراضي التي تبسط سيطرتها عليها، على غرار حالة الامبراطوريّات الاستعمارية التي اتّجه جزء منها إلى التمرّد على السلطة الاستعمارية المركزيّة، مستعملا أساليب العنف والقتال، والتي جرى مجابهتها بالقوّة العسكريّة، في ظل الاعتقاد بشرعيّة ذلك على أساس بسط الأمن وتثبيت الاستقرار، فيما اعتبر المتمرّدون أنفسهم دعاة حريّة واستقلال، ونضال مشروع للحصول على وضع جديد، وهنا تمّ تطوير أسلوب متّبع من الدول في المواجهة ، عرف باستراتيجية مكافحة التمرّد، وعلى صعيد اخر لا تخوض الدول هذا النمط فقط من المواجهة إذا أدرجنا في الحسبان أنّ عددا منها معني بهذا الوضع، إلاّ أنّ هناك تهديدا واقعا بالفعل يختلف عن أشكال التمرّد السابقة ، ويمتاز بقدر أعلى من العنف و الوحشيّة و التّأطير المتطرّف، وهو ما يعرف بالإرهاب الذي صار محور الاهتمام الأمني العالمي.

المطلب الأول: كسب الحرب عبر استراتيجية مكافحة التمرد

إنّ التطرّق إلى هذا الشكل من الحرب متّصل بوجود الدولة بصفتها النظاميّة تجاه جبهة غير نظاميّة متمرّدة، ويقتضي التعرض لمفهوم التمرد؛ والتفصيل بشأنه، حيث يطلق عادة من طرف السلطات الرسميّة القائمة كتوصيف لخروج فئة أو فئات من الشعب أو المسؤولين، عن سلطة القرار المركزيّة أو إرادة الدولة، وينتقل من مستوى المعارضة إلى استعمال القوّة المسلّحة ، ويتم توصيف التمرد *Rebellion* أو *Insurgency*؛ ويقترن بالفكرين الفرنسي والإنجليزي في مواجهة القوى الشعبية التي انتفضت عسكريا برغبة إنهاء الحكم الاستعماري، وهذا التمرّد الذي يبدأ بأعداد قليلة كما ثبت تاريخيّا، قد يستدعي التّناصر الجماعي على أساس عصبية أو اشتراك في المظالم أو رغبة في تحقيق مصالح مشتركة للمتمرّدين، ويزداد خطورة مع تحوّله إلى الطابع العسكري العنيف، ولقد اشتهر من أشكال التمرّد ما عرف بالتمرّد الكبير *Big Rebellion* على الثورة الإنجليزية الأولى التي قامت خلال سنتي 1648–1649م [1]، وكذلك التمرد الكبير في الهند سنة 1857م، إضافة إلى حالات التمرد

([1])-Blair Worden, **The Rump Parliament 1648-1649**, (UK : London,Cambridge University Press,first edition,1977), p15.

التي قادها السكان الاصليّون في العالم الجديد ضد الاستعمار الاسباني والإنجليزي والبرتغالي، وهناك أيضا تمرّد الهنود ضد البريطانيين في منتصف القرن التاسع عشر، وقد بدأه الجنود الهنود في الجيش البريطاني والذين كانوا يشكلون جزءً من جيش شركة الهند الشرقية، التي كانت تحكم الهند، وقد بدأت حالة التمرّد لأسباب دينيّة متعلّقة باحتواء الوجبات المقدمة لهؤلاء الجنود على لحوم الأبقار والخنازير، وأسفرت حالة التمرد هذه عن الاف الضّحايا، خاصة من جانب الهنود بسبب عدم تكافؤ القوى[1]، وهو ما أعطى درسا بشأن ضرورة تحويل التمرّد إلى صيغة أكثر فاعليّة، تجاه القوة المستعمرة.

تطور مفهوم التمرد خلال القرن العشرين إلى أشكال جديدة من العصيان، وتحدّي السلطة القائمة، بما أدّى في حالات كثيرة إلى وضع الحرب الأهلية والعنف المستديم بين الأطراف، واتضح أنّ هناك نمطين لذلك التمرّد ، وهما التمرّد المندفع نحو المركز، الذي يسعى إلى استبدال النظام القائم بنظام أكثر انقيادا إلى مصالح المتمرّدين ومطالبهم، وهناك التمرد المندفع إلى الأطراف، والذي يشمل حركة استقلال أو انفصال عن الدولة القائمة، ويكون في الغالب تعبيرا عن اختلاف وخصوصية عرقية وثقافية أو دينية[2]، مثلما حدث في جنوب السودان، والذي انتهى بعد حرب أهلية جاوزت العشرين سنة إلى الاستقلال .

تنطلق حركات التمرّد باستخدام استراتيجية الحرب غير التقليدية، ويكون هدفها بالأساس إرهاق الطرف الاخر، ودفعه إلى التفاوض، لتصبح بذلك هذه الاستراتيجية ضمن التقليد الكلاوزفيتزي *Clausevitzian*(نسبة للجنرال كلاوزفيتز)، من خلال اعتبار أنّ الأداة العسكرية استمرار لمسعى تحقيق أهداف سياسية.

إزاء هذا التصور بدأ يبرز المفهوم المعاكس لاستراتيجيات التمرّد، و الذي عرف في الفكر العسكري بمكافحة التمرد (*COIN*) *Counter Insurgency* ، والذي يعني جملة الإجراءات التي تتخذها الحكومة المعترف بها لاحتواء أو إخماد التمرّد عليها، وهو بذلك نوع من الحرب غير النظامية تسعى إلى إضعاف الروح المعنويّة لدى المتمرّدين ، وهزيمتهم باستخدام معكوس للتكتيكات ذاتها، بغية تحييدهم تدريجيا، وفصلهم عن السكان المحليين، وتعطي التجربة الفرنسية في الجزائر خلال الثورة التحريرية المثال عن هذا النمط من الحرب، حيث أنّه وبالرّغم من أنّ هذه الاستراتيجية لم تمنع في النهاية الاستقلال، إلا أنّها أخّرت حدوث ذلك لسنوات، ويعد كتاب دافيد غالولا *David GALULA*

([1])- نجاة سليم محاسيس مرجع سابق، ص 1452.

([2])- غراهام إيفانز، مرجع سابق، ص 343.

(1919–1968م) المعنون بمناهضة التمرّد النظرية والتطبيق ، بمثابة المرجعية الأساسية لهذه الاستراتيجية .[1]

لقد تمّ تجميع خبرات مناهضة التمرّد عبر عقود من الزمن، في ليبيا والجزائر والملايو وجنوب إفريقيا، والأراضي الفلسطينية المحتلة، وأفغانستان وباكستان، وفي أمريكا اللّاتينية وصولا إلى سوريا والعراق، ويمكن العودة مثلا إلى تطبيقات هذه السياسة في الجزائر إبّان الثورة التحريرية، حين عمدت فرنسا إلى محاولة إجهاض الثورة الجزائرية، عبر المزج بين المواجهة العسكرية وأساليب الحرب النفسية، وأساليب مبتكرة بشأن الفصل ما بين الثوار والشعب، وقطع طرق الإمداد، وحرمان المجاهدين من الحاضنة الشعبية، وزادت خطورة ذلك من خلال تكوين قوة محلية من العملاء؛ الذين يقاتلون في وحدات مستقلّة، أو ملحقة بالجيش الفرنسي، ولا توجد أرقام دقيقة بشأن تعداده، و إذا ما تمّ احتساب ارتباطات هؤلاء العائلية من جملة التعداد العام للجزائريين ، فإنّ هناك الافا من المنضوين تحت الإدارة والقوات الفرنسية، بما يجعلها تنجح في كسب قسم كبير من الجزائريين، وقد نجحت فرنسا في تحييد أغلب القادة الثوريين خلال الفترة ما بين (1955–1959م) ، وفي جانب اخر رسّخت لعلاقتها بالجزائريين من خلال فتح المجال للتكوين الإداري لأبناء المتعاونين معها، وتشكلت عبر توجيهات الجنرالات الفرنسيين؛ وأهمهم جاك سوستيل *Jacques Soustelle*

(1912–1990) قوات أطلق عليها إسم الفرق المتنقلة للشرطة *الرّيفية* *Les Groupes mobiles de police* rurale (***GMPR***) ، والتي غطّت التراب الوطني خاصّة مناطق المواجهة في الأوراس والشمال القسنطيني ومنطقة القبائل.[2]

في جانب اخر أدرك الجيش الفرنسي أنّ مواجهة الثورة بأبعادها الجماهيرية، يتطلّب ضرورة موازاة العمل النفسي مع العمل العسكري، فتمّ ضمن هذا التوجه، العمل على إنشاء ما سمّي بالمصالح الإداريّة المختصّة *LES SECTIONS ADMINISTRATIVES SPECIALISEES*(SAS) ، والتي تمثّلت مهمّتها منذ 1955م في تكثيف العمل الاجتماعي والسوسيولوجي للجيش الفرنسي في

(1)- للاطلاع على مضمون أفكار دافيد غالولا، يمكن العودة إلى:

Contre-insurrection: théorie et pratique, (France : Paris, édition Economica,2008). ،*David GALULA*-

(2)-Noara Omouri, **Les Sections Administratives Spécialisées et les sciences sociales : études et actions sociales de terrain des officiers de SAS et des personnels des Affaires Algériennes,** dans , Jean-charles Jauffret et Maurice Vaïsse (eds) **Militaires et guérilla dans la guerre d'Algérie** ,(France : Paris, édition Complexe,2001)., PP 383-38915.

الأوساط الجماهيرية في الأرياف والمدن، بقصد عزلها و قطع الصلة بين الشعب والثورة، وخلق شبكة تجسس ومراقبة عماده الجزائريون، وبث التخويف والدعاية المضادة، والعمل على تشويه الثورة. [1]

لم يقتصر الأمر على التكوين الإداري لإطارات جزائرية في خدمة فرنسا، وإنّما تمّ فتح المجال لأبناء الجزائريين في المدارس الفرنسية، وكذا محاولة جلب تعاطف وولاء العنصر النسوي في الجزائر تجاه فرنسا، حيث يمكن الإشارة إلى تأثير السيّدة سوزان ماسو ***Suzan Massu*** ؛ التي استطاعت سنة 1960م تجميع عضويّة قرابة ستين ألف(60000) امرأة وفتاة من الأسرة الجزائرية المتعاونة مع الاستعمار ومن اليتيمات؛ ضمن ما أطلق عليه حركة التضامن النسويّة Mouvement de solidarité féminine[2]، وإضافة إلى العامل النفسي؛ استمرت فرنسا في استغلال الاحتياجات الاقتصادية والمعيشية للجزائريين، ومن ذلك ما عرف بخطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر؛ والذي عُرف بمشروع قسنطينة، حيث كان برنامجا اقتصاديا صمّمه الاستعمار من أجل الإضعاف السياسي للثورة التحريرية، من خلال توزيع السكنات والأراضي، وتطوير الرّي وتوظيف نسبة من الجزائريين، والعمل على مساواتهم في المرتّبات مع الفرنسيين.[3]

إنّ استراتيجية مكافحة التمرّد التي اتبعتها فرنسا في حربها ضد جيش التحرير الوطني في الجزائر لتقويض الثورة، ساهمت في صناعة العزل الجغرافي والبشري للجزائريين عن طريق المحتشدات، وفي التفكيك المرحلي لأماكن تواجد الثوّار، والسعي لعزلهم جغرافيا عن طريق الأسلاك المكهربة على الحدود، والمناطق المحرّمة، والدعاية في أوساط الشعب الجزائري لترسيخ منظور فرنسا الوطن الأم.

طبّق الجنرال آرييل شارون في الأراضي الفلسطينية المحتلّة استراتيجية مكافحة التمرّد، وذلك لإنهاء الثورة الفلسطينية في أواخر الستينات وبداية السبعينات من القرن الماضي، ونجح في ذلك بشكل كامل، كما تم التعامل مع الانتفاضة الفلسطينية الأولى 1987م والثانية 2000م، بأساليب عالية الكفاءة في الوصول إلى من اعتبروا عناصر مخرّبة، وتفكيك قدرات المقاومة بشكل فاعل، ممثلة في حركة حماس والجهاد الإسلامي خاصّة، وتقوم استراتيجية إسرائيل بشأن مكافحة التمرّد على السعي لفصل السكان عن الجماعات المسلّحة، والسيطرة على الأرض لحرمان المسلّحين من الحركة، ثمّ

([1])- جمال قنان، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، (الجزائر، مشورات المتحف الوطني للمجاهد، ط01، 1994)، ص 27.، ص 343.

([2])-Henry d'Humiéres, **L'Armée Française et la jeunesse musulmane : Algérie 1956-1961**, (France : Paris, édition Godefroy de Bouillon, 2001)., PP 383-38915.

([3])- باتريك إيفينيو، **حرب الجزائر: ملفات وشهادات**، ج02، تر: بن داود سلامنية، (الجزائر، دار الوعي للطباعة والنشر، ط01، 2013)، ص ص 115-124.

تعزيز هذه السيطرة بالجانب الاستخباراتي وتفعيل الحرب النفسية، من خلال عمل جهاز الأمن الداخلي الشاباك وتجنيد العملاء، وكذا جهاز التجسس المعروف بالموساد، وقد قدّم الجنرال يعقوب أميدور تجربته في الحرب ضدّ المقاومة الفلسطينية من خلال مجموعة عناصر، اعتبرها شروطا لازمة للانتصار في استراتيجية مكافحة التمرّد ، وتتمثّل في:

– قرار سياسي ناجح يتعلّق أساسا بالحزم تجاه تلك الحركات؛

– السيطرة على الأرض؛

–الاستخبارات ذات الصلة؛

– عزل المناطق التي تنشأ فيها حالة التمرّد، ويمكن الإشارة في هذا الإطار إلى استراتيجية الجدران العازلة والحصار، والمراقبة على المعابر؛

– التعاون المتعدّد بين الاستخبارات وأطقم العمليات العسكريّة، لترسيخ منظور الرّدع الإسرائيلي، وجعل مواجهة الجيش الإسرائيلي غير فاعلة عمليا ونفسيا؛

– فصل السكان المدنيين عن الكيانات المسلّحة، ويدخل في ذلك استهداف أماكن تواجد هؤلاء المسلّحين، بما يوصل رسالة عدم جدوى التّخندق بين المدنيين، وممارسة أعمال هدم لكل منزل أو منشأة تنطلق منها الأعمال المسلّحة، أو يكون أحد الأفراد الشاغلين لها عضوا في الحركات المسلّحة، بما يمنع الدعاية للأعمال المسلّحة، ويكون له مفعول نفسي سلبي بشأن الانتقام الإسرائيلي اللاّحق. [1] أضافت إسرائيل إلى هذه الأساليب سياسات الإبعاد، والاعتقال الإداري، والمنع من الدخول للنشطاء، إضافة إلى سياسات الاغتيال التي مسّت الكوادر القيادية، وكذا تفكيك خلايا الدعم، والتضييق على منظمات المجتمع المدني والعمل التطوّعي ذات الصلة بحركات المقاومة. [2]

تمثل التجربة الأمريكية في مكافحة التمرّد تطويرا مهما لأفكار دافيد غالولا المشار إليها سابقا، حيث انكبّت الإدارات الأمريكية على دراسة هذه الاستراتيجية منذ الستينات من القرن الماضي، خاصة حين شغل صامويل هانتنغتون*Samuel Huntington* منصب كبير خبراء مكافحة التمرّد في عهد إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق ليندون جونسون *Lyndon Johnson* خلال حرب فيتنام، حيث طوّر ما سُمّى القرى الاستراتيجية؛ في محاولة الفصل بين السكان والقوات الشيوعية الفيتنامية، عبر تجميع

([1])- يعقوب أميدور، **الانتصار في حرب مكافحة التمرد: التجربة الاسرائيلية**، تر: محمد عباس، (لبنان: بيروت، مركز باحث للدراسات الفلسطينية، ط01، 2009)، ص ص 65-89.

([2])- للتوسع أكثر؛ يمكن العودة إلى كتاب: نور الدين مصالحة، **سياسة الترانسفير الإسرائيلية في التطبيق 1949-1996: أرض أكثر وعرب أقل**، (الأردن: عمّان، مركز الدراسات الفلسطينية، ط01، 1997).

الفلاّحين الفقراء في قرى يتم حراستها من طرف الأمريكيين، لكن نظرا لظروف التجميع التي كانت أشبه بمعسكرات الاعتقال، فقد انتهت الخطة إلى الفشل، وتمّ اختراق هذه القرى ذاتها من المسلّحين الفيتناميين.[1]

بناءا على الاستفادة من حالة الفشل في تجربة فيتنام؛ طوّرت الولايات المتحدة عقيدة مكافحة التمرّد، وذلك بدمج عدد من المجالات المعرفية مع بعضها البعض، بتوظيف السياسة والاقتصاد، وعلم الاجتماع والصحافة والاعلام، والأسبقية والتفوّق في التحكّم في التكنولوجيا ونظم الاتصالات، غير أنّ الجانب الأكثر فاعلية في هذه العقيدة الأمريكية؛ هو إضفاء الطابع الإنساني في التحرك تجاه المجتمعات الحاضنة، وتغيير الصورة العدائية تجاه الأمريكيين، وتحويلهم إلى محرّرين من الاستبداد والظلم السياسي، على غرار ما جرى الترويج له في الحرب ضد نظام طالبان في أفغانستان سنة 2001م ، وضد نظام صدّام حسين في العراق سنة 2003م .[2]

يعد الجنرال دافيد بتراريوس *David Petraeus* مطوّر إستراتيجية مكافحة التمرّد على نحو أكثر فاعلية خلال الفترة (2001-2016م)، وذلك حين طبّقها بنجاح في أفغانستان، ثمّ في العراق، ووصفها بأنّها استراتيجية تستدعي مقاربة من ثلاث ركائز؛ تعرف ب الإخلاء والحفظ والبناء، وهي تعني طرد المتمرّدين من منطقة معينة، ومنعهم من العودة، وبناء مؤسّسات محلية، تساعد السكان على المضي في نظام وأسلوب حياة جديدين.[3]

اتجهت أفكار بتراريوس إلى جعل تكلفة الحرب أقل بالنسبة للولايات المتحدة، وذلك بابتكار أسلوب الأفغنة والعرقنة، أي جعل الحرب في مجالها الأوسع تخاض بواسطة الحلفاء المحليين، والاكتفاء بالتغطية الجويّة والقصف وجمع المعلومات والإسناد عن بعد، والدعم المالي للحلفاء على الأرض، ويمثّل نموذج الصحوات في العراق أفضل تطبيقا لهذه الاستراتيجية، حيث قلّل الاعتماد عليهم خسائر الجيش الأمريكي إلى المستوى المنعدم تقريبا، ممّا مهّد لانسحاب آمن للقوات الأمريكية، بشكل مختلف عن التجربة في فيتنام.

([1])- كولين مويرز، **الامبرياليون الجدد: ايديولوجيات الامبراطورية**، تر: معين الإمام، (السعودية: الرياض، مكتبة العبيكان، ط01، 2008)، ص82.

([2])- سمر عزريل، **ما هي عقيدة مكافحة التمرد؟** مقال منشور بتاريخ: 2013/06/16، اطلع عليه بتاريخ: 2018/05/23، متوفر على الرابط الالكتروني:
https://www.qudsn.ps/article/18106

([3])- إبراهيم عبد الطالب السامرائي، **فصائل المقاومة المسلحة في العراق وأفغانستان**، (الأردن: عمّان، دار المعتز، ط01، 2015)، ص320.

يشار إلى أنّ الولايات المتّحدة الأمريكية بدأت في استعمال عبارة حملات القلوب والعقول *Campaigns of hearts and minds* كمرادف لاستراتيجية مكافحة التمرّد، وهي الحملات التي تجد جذورها في اراء المستشار إدوارد جير لانسديل **Edward** *Geary* **Lansdale** ، والذي عرف بلقب لورانس آسيا *Lawrence of Asia* تشبيها بحالة الضابط البريطاني الذي اخترق التمرد العربي ضد الأتراك إبان الحرب العالمية الأولى وعرف بلورانس العرب *Lawrence of Arabia* ، ولقد جرى إرسال لانسديل إلى الفلبين التي كانت تواجه سنة 1950م خطر انتصار الشيوعيين ضدّ الجيش الفلبيني، حيث استطاع إقناع وزير الدفاع الفلبيني بأن يعامل الجيش الفلبينيين كإخوة، بدلا من قصفهم، وأن يتم إضفاء النزاهة على الانتخابات، من أجل أن يقتنع الفلاحون الشيوعيّون بإمكانية إحداث التغيير، و التوقف عن القتال ضد السلطة المركزية، وهو ما نجح فيه بكفاءة عالية. [1]

تبرز كفاءة عقيدة مكافحة التمرد؛ في كونها عقيدة توظّف الأفكار الإيجابية ذات المدى البعيد؛ بشأن تطلّعات الشعوب، ومحاولة إسباغ الإنسانية على وجود المحتل، وترسيخ القيم النمطية حول اقترانه بالمساعدة والحضارة والتفوّق، ويجري توظيفها الآن بكفاءة عالية في سوريا، عن طريق مفاهيم المصالحات والتهجير وإدارة المعارك على نحو غير متزامن، وإثارة الفرقة بين الفصائل المقاتلة للنظام السوري، والأكثر إفادة في ذلك إدخال مفهوم الإرهاب ومكافحته، لاكتساب شرعية العمل العسكري، وتوجيه الرأي العام.

(1)- James Jeffrey , **Why Counterinsurgency Doesn't Work :The Problem Is the Strategy, Not the Execution,** ***Foreign Affairs***, March/April 2015, Available online : **https://www.foreignaffairs.com/articles/united-states/2015-02-16/why-counterinsurgency-doesnt-work**

المطلب الثاني: حروب العصابات وحروب التحرير

في خضم محاولة تغيير وضع سياسي أو السعي للاستقلال الوطني؛ وأمام فشل جهود المواجهة المباشرة، وعدم فعالية الحلول السياسية، قد تلجأ جماعات صغيرة لتنظيم نفسها عسكريا، لأجل استهداف طرف أقوى، قد يكون السلطة المركزية في الدولة أو مستعمرا أجنبيا، ويطلق على هذا الخيار ضمن الحرب اللاتماثلية بحروب التحرير وحروب العصابات، والتي لها خلفية تاريخية تقترن بفكرة المقاومة، والهجمات التي ظلت تستهدف خطوط الامداد والمراكز الحيوية للخصم، والشخصيات المهمة عن طريق الاغتيال، وتم ممارسة ذلك بشكل واضح أثناء الحروب النابليونية من طرف الاسبان والروس ضد جيوش نابليون بونابرت ***Napoléon*** Bonaparte ، حيث أنّ التسمية جرى تأصيلها الأول في إسبانيا، ثم ظهرت بشكل أوضح حين اعتمدها ماو تسي تونغ Mao Zedong في مواجهته للسلطة المركزية للصين في الفترة (1926–1949) حيث وضع الاصول الاولى لها كفكر، ونجح في استقطاب سكان الارياف كقوة ضاربة ومؤثرة في الميزان العسكري آنذاك بين الشيوعيين والوطنيين. [1]

شهدت المنطقة العربية استخداما مبكرا لحرب العصابات للتحرر ضد المحتل الاجنبي، وظهر دلك واضحا في تجربة عز الدين انقسام في فلسطين سنة 1936م، عن طريق محاولة انشاء بؤر ثورية، واستنزاف القوات البريطانية والعصابات الصهيونية، وخلال الحرب العالمية الثانية ظهر أسلوب حرب العصابات ضمن ما وصف بحروب الأنصار، والتي استهدفت خاصة الاحتلال النازي للدول الأوروبية في اليونان ويوغسلافيا وبولندا وفرنسا والاتحاد السوفياتي، وأدت هذه الحرب الى اضعاف الجيش الألماني، وتسببت في النهاية في هزيمته النهائية، وتم ممارسة هدا النمط من الحرب اتجاه اليابانيين في الفليبين والهند الصينية والملايو واندونيسيا، ثم جرى العمل بها بعد الحرب، لإخراج الهولنديين والفرنسيين والبرتغاليين من الأراضي التي استعمروها. [2]

خلال الخمسينيات من القرن الماضي صارت حرب العصابات مرادفة تماما لحروب التحرر الوطني، وبرز ذلك بشكل واضح في الجزائر خلال حرب التحرير الكبرى (1954–1962)، والتي أسفرت في النهاية عن الاستقلال الوطني للجزائر بشكل مباشر، واستقلال عدد من الدول الافريقية بشكل غير مباشر، مثلما حدث بالنسبة للمغرب وتونس سنة 1956 وإحدى عشر (11) بلدا افريقيا سنة 1960.

---

(1) -جيفري تونيهام، غراهام إيفانز، **قاموس بن غوين للعلاقات الدولية**، تر: مركز الخليج للأبحاث (الإمارات العربية: دبي، ط1، 2004)، ص ص 292، 293.

(2)-هنري لورانس وآخرون، **الإرهاب: التاريخ والقانون**، تر: نبيل أبو صعب (لبنان: بيروت، دار الفارابي، ط01، 2016)، ص ص 45 – 47.

في تجربة اخرى لحرب العصابات نجح الشيوعيين في كوبا بزعامة فيدال كاسترو Fidel Castro ورفيقه تشي غيفارا *Che Guevara* في اسقاط نظام فولخنسيو باتيستا *Fulgencio Batista* سنة 1959م، وقد حاول الكوبيون نقل تجربة حرب العصابات ضمن مفهوم الأممية الشيوعية؛ الى مناطق كثيرة في آسيا وأمريكا اللاتينية، دون أن تتحقق لهم التطلعات المنشودة في ذلك.

في العالم العربي وإضافة الى التجربة الجزائرية، خاض اليمنيون في الجنوب العربي –كما كان يطلق عليه–حرب عصابات ضد المحتل الإنجليزي، أجبرته على الانسحاب سنة 1968[1]، كما استمر الفلسطينيون ابتداءً من سنة 1965م في خوض حرب عصابات محدودة ضد إسرائيل؛ انطلاقا من الاراضي الأردنية ثم اللبنانية الى غاية 1982م، وقد فشلت تجربة المنظمات اليسارية الفلسطينية في مجابهة الأنظمة العربية بدءا من الأردن فيما عرف بأحداث أيلول الأسود سنة 1970م، ومرورا بالمجابهة مع سوريا في لبنان في عقدي السبعينيات والثمانيات من القرن الماضي. [2]

هناك توصيف لحرب العصابات؛ بكونها حربا ثورية أساسها السكان المحليون الذين يعارضون منهج الحكومة وتشريعها، سواءا كانت محلية أو محتلة ،وتم في هده الحرب استخدام ما توفر من وسائل قتالية وباستغلال أساليب الكرّ والفرّ، لإحداث أكبر قدر من الخسائر لدى الخصم، مستهدفة في المقام الأول الأثر السياسي والصدى الاعلامي والرغبة في التأثير على الرأي العام، ونظرا لتفاوت مستوى القوة في الجانبين، فانّ حرب العصابات تسمى حرب الكلب والبرغوث؛ حيث أن هذا الأخير صغير الحجم والقوة، إلا أنّه مزعج للكلب، ورغم أن الكلب لا يموت من هجوم البرغوث، لكنّه يعاني الإعياء والاجهاد من ردات الفعل، دون أن تمكّنه أنيابه ولا قوائمه من القبض على هذه الحشرة، التي تستمر باللسع والهرب، وكلما تكاثر البرغوث أدى ذلك الى زيادة الألم. [3]

تعتبر حرب العصابات بمثابة وسيلة مفضلة للطرف الضعيف اتجاه الطرف القوي، وقد ركز المفكر الصيني "صان تزو"Sun Zu على فاعليتها ضد العدو، خاصة إذا توافرت على أساليب الكمائن والمفاجأة، والقدرة على الهجوم والانسحاب السريع، وقد ظلّ هذا النوع مرادفا للاستمرار في القتال، حيث كان يمكن للجيش المهزوم أن يتحول الى تكتيكات حرب العصابات، وذلك من أجل مواصلة

(1)- محمد صادق إسماعيل، **أمن الخليج العربي: الواقع وآفاق المستقبل**، (مصر: القاهرة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، ط01، 2014)، ص62.

(2)- للاطلاع على مسار هذه الأحداث وتجربة اليسار الفلسطيني المسلح يمكن العودة إلى: أشرف محمد إسماعيل، **تجربة اليسار الفلسطيني المسلح** ، (مصر: القاهرة، دار العربي للنشر والتوزيع، ط01، 2007).

(3)- محمد عبد المجيد عبد العال، **داعش في المملكة العربية السعودية**، (مصر: القاهرة، المكتب الغربي للمعارف، ط1، 2016) ص ص 53، 54.

القتال، ولقد كانت حرب البوير الثانية *The Second Boer War* (1899–1902م) في جنوب افريقيا شكلا لتلك الحرب، غير أن التأطير الأهم لها كان من طرف الزعيم الصيني ماوتسي تونغ الذي لخّص التجربة الصينية في حرب العصابات بقوله :

حين يكون العدو في التقدم فإننا نتراجع؛ ولكن حالما يصل العدو الى مخيماته ويهجع، فإننا نضايقه آنذاك بهجماتنا المباغتة، وعلى الأخص في الأوقات التي تكون فيها قوات العدو في طور الراحة أو معتكفة عن القتال والمواجهة، وفي الحقيقة فانّ تلك هي فرصتنا الذهبية في القيام بهجوم الصدمة، ومن ثمّ نتابع. (1)

لقد ترجم ماو تسي أفكاره التي قادته الى الانتصار النهائي في حربه ضد خصومه، وكان ذلك بمثابة إلهام لمجموعة من الشعوب الأخرى، بدأت تصطلح على حرب العصابات باسم الحرب الشعبية، ومعارك التحرر الوطني والحروب الثورية، وتجسد ذلك في معارك ازالة الاستعمار، التي كان لها وجهان؛ الوجه السياسي المتمثل في الحركات الوطنية، والوجه العسكري المتمثل في جيوش التحرير الوطني، وفي المستعمرات حيث كان العنصر الأوروبي لا يشكل الا مجموعة بشرية صغيرة، تشغل الوظائف الادارية والاقتصادية، فإن استراتيجية حروب التحرير استندت الى استهداف رموز السلطة المستعمرة وأدواتها. (2)

كان هذا الوضع يقتضي زيادة في القوة العسكرية التي تؤمّن الرعايا والأهالي والمنشآت والبنى التحتية بشكل مستمر، وكان في ذلك ارهاق شديد للجهد العسكري والاستعداد القتالي، والتغطية المالية، بما ينعكس على الحسابات الاقتصادية، والأخطر من ذلك التداعيات النفسية والمعنوية على المستوى الشعبي، وضمن الهياكل الحكومية والإدارية، وبما يؤثر على الموقف التفاوضي من جانب السلطة التي تقع تحت طائلة الابتزاز التهديدي، وقد شجّعت الأنماط الناجحة للحروب الثورية على نشوء مفهوم التمرد *insurgency* كعصيان مسلح ضد الأنظمة المركزية بغرض الانفصال، أو لغرض تغيير النظام السياسي، وهو ما جرّ كثيرا من البلدان الى حروب أهلية، ساهمت في تعطيل التنمية وتزايد العداءات المجتمعية، وهناك نمطين في هذا الإطار :

01–التمرد المندفع نحو المركز؛ وهو يسعى إلى استبدال النظام القائم، بنظام أكثر انقيادا إلى مصالح المتمردين وميولهم.

(1)- آلان ستيفانس ونيكولا بيكر، **فهم الحرب: استراتيجية القرن الحادي والعشرين**، تر: أدهم وهيب مطر، (سوريا: دمشق، الشركة الجزائرية السورية للنشر والتوزيع، ط1، 2013)، ص44.

(2)- هنري لورانس وآخرون، مرجع سابق، ص47.

02-التمرد الرامي إلى الانفصال وإنشاء كيان جديد؛ والذي غالبا ما يكون تعبيرا عن التميز القومي والعرقي، على غرار ما حدث في السودان في الفترة: 1983-2005م. [1]

إنّه وبدراسة عدد من التجارب التي انتهجت أسلوب حرب العصابات، يمكن استخلاص عدد من الشوط الأساسية للنجاح في هذه الاستراتيجية، وهي الشروط التي يمكن عرضها على النحو التالي:

أ- لابد من وجود قضية تؤطر النضال، وتكون مبررا للحرب، كما يجدر بهده القضية ان تكون متصلة بمطالب الشعب الدي يجسد الحاضنة للمقاتلين ويدعمهم، وفي هذا الإطار يقول قائد حرب العصابات ضد الاستعمار البريطاني في قبرص الجنرال جورجيوس جريفاص *GEORGIOS GRIVAS*:

إن حرب العصابات ليس لها فرصة للنجاح مالم تحصل على الدعم الكامل، وغير المتحفظ من غالبية سكان البلاد. [2]

ب-ضرورة وجود قيادة متجانسة ومتشبّعة بالأفكار الثورية والإيمان بالقضية، حيث أنّ التاريخ يثبت أن كفاءة القيادات الثورية سبيل للنجاح في تكتيك حرب العصابات، خصوصا إذا امتلكت هذه القيادات قدرا من الكاريزما والقدرة على التأطير والشحن، وتفعيل الدعاية الثورية، وأن يكون هناك ارتباط في الصورة النمطية للقائد وحضوره في القاعدة الشعبية، ويتأتى ذلك من الصيغ الخطابية، وكذا من النشاطات الثورية. [3]

ج- ضرورة الإيمان بالظروف المواتية داخليا وخارجيا عند التحرك، وذلك عند استغلال الفرص وتعظيم المكاسب وزيادة الدعاية، ويدخل ضمن ذلك الانتباه الى أمور الشعب وترتيب الأولويات، بما يمكّن من تقديم أو تأخير التحرك بما تقتضيه مصلحة الكفاح المسلح وعوائد ذلك التحرك، وكذا إدراج كل الظروف المحيطة بالمعركة سواءا الطبيعية أو الاقتصادية أو النفسية، وهو ما يدخل ضمن نمط التفكير الاستخباراتي، ولقد أكدت على هذه الحقيقة لجنة الخارجية والأمن في الكنيست الإسرائيلي في تقريرها عن حرب 2006 في لبنان ضد حزب الله. [4]

---

(1) -جيفري نوينهان، غراهام إيفانس، مرجعه سابق، ص ص 343، 344

(2)- Word: GEORGIOS GRIVAS, **Encyclopaedia Britannica**,volume10,(United Kingdom : London, Encyclopaedia Britannica Foundation,1973), p1033.

(3)- يمثل مفهوم الكاريزما أحد البناءات الأساسية في دراسة القيادة والإدارة والحكم، وعبر التاريخ ظلّ هذا المفهوم حاضرا، خصوصا في عقدي الخمسينات والستينات من القرن العشرين، للتوسع أكثر في هذا المفهوم يمكن الرجوع إلى:
موسى آل طويرش، **القائد السياسي في التاريخ المعاصر: دراسة سياسية تاريخية في الزعامة وعوامل ظهورها**، (الأردن، عمّان، دار الصفحات للدراسات والنشر، ط01، 2011).

(4)- لجنة الخارجية والأمة في الكنيست الإسرائيلي، **دروس مستخلصة من حرب لبنان 2006م**، تر: عدنان أبو عامر، (لبنان: بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط01، 2008م) ص ص 125 – 128.

د- التمرّس في فنون الحرب النظامية وغير النظامية؛ وذلك من خلال سرعة إجادة القتال بالأسلحة المتوفرة، وتحسين كفاءتها القتالية، والقدرة على الابتكار، وإيجاد الخطط البديلة، وتنويع فنون القتال، وسحب الخصم إلى أرض المعركة التي تساعد على إحداث أبلغ الخسائر في صفوفه، وفي جانب آخر، فإنّه إضافة إلى الكفاءة والإرادة القتالية الصلبة والحركة السريعة الخاطفة، والقدرة على شن الإغارة ونصب الكمائن، فإنّه لا بد في العصر الحديث من إتقان فنون الحرب الإلكترونية، وبراعة استعمال القوة الصاروخية، والارتكاز على تكتيكات قتال غير تقليدية؛ تجمع ما بين خصائص المواجهة الكلاسيكية لجهة الاحتفاظ بالجغرافيا والقتال في مواقع محضّرة مسبقا، وأساليب الاستدراج، والدعاية والحرب النفسية. [1]

يضاف إلى هذه العناصر وجود تصور مستقبلي لمرحلة ما بعد الحرب، سواءً في مشروع سياسي، أو بناء حزبي؛ يمكّن من إنشاء واجهة سياسية، ويؤطر مشروعا مجتمعيا، لأن الخطأ الذي تقع فيه عديد الحركات المسلحة هو انخراطها في حرب دون أفق، حيث يؤدي ذلك إلى فشل الثورة أو التمرد، نتيجة العجز عن تصور نهاية لها، تكفل تحقيق الأهداف المرسومة مسبقا.

(1)- يوسف نصر الله، **تداعي الأسطورة: مقاربات نقدية لمشهد الحرب السادسة**، (لبنان: بيروت، دار الفارابي، ط01، 2011م)، ص ص 30،31.

الفصل الثاني:

دافعية وتجسيد الانتصار في الحروب

الفصل الثاني: دافعية وتجسيد الانتصار في الحروب

يقع الانتباه دوما لمخرجات الحروب، ويتم إعلاء قيم النصر والبطولة فيها، وتصوير ذلك على أنه قدر من الاستثنائية والتميّز في القيادة والتوجيه والتخطيط الحربي، ولهذا تحتفظ ذاكرة الشعوب بانتصاراتها العسكرية، وتأنف عن البحث في وقائع الانهزام والانكسار العسكر، ولمّا كان المثل الرائج عن الهزيمة والنصر، أنّ هذا الأخير له أكثر من أب ومتبن، في حين أن الهزيمة تظلّ يتيمة، فإنه يجدر توجيه البحث في الدافعية للانتصار عند خوض الحروب، وما تتيحه تلك القوة من قدرات على الاستمرار في المواجهة، لغاية الانتصار، في حالة تجاوز للضغوط والنقائص وفوارق القوة أحيانا، ويقف الشحن الديني في صدارة القوى المعنوية التي تعوّض في أحيان كثيرة، تلك الفوارق وتجعل التوافق بين النصر والبقاء وإثبات الذات؛ كإطار لا يمكن الحياد عنه أو التنازل عنه، وفي جانب آخر فإن المعطى الاقتصادي له قدر كبير من التغطية لمبررات الحروب، بل إنها تعطي لها القيمة الاستثمارية في تعظيم عوائد خوضها، وفي جانب آخر تحقق تطلعات الكفاية والرخاء الاقتصادي.

إن الدافعية للحرب ضمن المجتمعات البشرية، تأخذ من نماذج الانتصارات الكبرى عبر التاريخ، والتي جسدتها المعارك الحاسمة، سواء في الحروب النظامية أو غير النظامية، والتي بقي صدى تميّزها والبراعة فيها، وحجم التضحيات المبذولة حاضرا بقوة.

المبحث الأول: الشحن الديني كحافز للانتصار في الحروب

يشعر الانسان في فترات من حياته بالحاجة إلى اثبات فعالية المكوّن الروحي لديه، ويخالط تفكيره في الغالب إثبات صحة معتقده الايماني، وصوابه إزاء غيره من المعتقدات، وهو على اسعداد دائم للوقوف ضد خصومه الدينيين، ويتصاعد الشعور بالاختلاف والتعارض، إلى درجة تتحول معه قوة الاعتقاد الديني؛ إلى محرض للتعرض للآخرين وفرض معتقداته عليه، ويكون التحرك مكفولا بقوة السلاح، وحيث أنّ الإيمان لا يحتمل المزج بين الخيارات المتضادة، فإن التعريف للجماعات ذات الاحتشاد الديني، يقوم على أساس ثنائية نحن وهم، وتتصاعد حدة التمييز المبني على الاختلاف الديني، لتبلغ مستويات التفكير في إلغاء الآخر، أو تحويل معتقداته حتى ولو اقتضى ذلك ممارسة أعلى صور الوحشية والعنف، وضمن منظور الشحن الديني كأساس للحروب؛ يمكن أن نركّز هنا على عقيدتين سماويتين؛ هما الإسلام المسيحية، ولقد جرى استبعاد اليهودية على أساس عدم بروزها كمحرك لحروب أدت إلى بناء إمبراطوري، حيث يبقى اليهود على اعتقادهم أنهم شعب الله المختار، وضمن ما يرونه

الأرض الموعودة، دون امتداد يماثل رؤية الديانتين المشار إليهما أعلاه، كما أنّ الأديان الوضعية تظل قاصرة عن تطوير رؤية تقدمها للعالم كديانة شاملة وبمشروع للبناء الحضاري.

المطلب الأول: الانتصارات في الفتوحات الاسلامية

تميّز العرب قبل الاسلام بالتفرق والتشرذم، ولهذا أخذت الحروب التي كانوا يخوضونها؛ الطابع القبلي المحدود، واتسمت بتطاولها وكثرة الاشتباكات فيها، ضمن فترات محددة عرفت في التراث العربي بأيام العرب، ولهذا شكّل انتصار العرب على الفرس في معركة " ذي قار" سنة 610 م حدثا بارزا فيما يخص إدارة الحرب عند العرب [1]، والتي بينت قدرا من البراعة في القيادة وفنون التعبئة، تفوقت على الجيش النظامي الفارسي.

شكّلت الحروب جزءً من الحياة العربية إبان الجاهلية، وكانت المخاوف فيها بشأن الانتهاكات التي قد تلحق الأعراض، ومصادرة الأموال في حال المفاجأة من العدو، سببا في الاقبال على الحرب والحماسة لها، سواء كرغبة في الغزو، أو بهدف السبيّ أو اتقاء لذلك، لما فيه من عار و مذلّة، جعل البعض من العرب يقدم على تشريع بدعة الوأد للبنات عند ولادتهن، أو وضع النساء والأطفال خلف خطوط القتال رفعا للحمية، وتجنبا لعار التراجع والهزيمة، وكانت النساء تقمن بالتحريض ورفع الروح القتالية لأزواجهن وأهاليهن، واستمرت هذه العادة حتى المعارك الأولى بين المشركين والمسلمين، واشتهر من ذلك في الحماسة أبيات هند بنت عتبة بن ربيعة، في موقعة "أحد"؛ حين مرت بين الصفوف تحرض المقاتلين وتذكر بقتلى بدر، قائلة:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

مشى القطا البوارق والمسك في المفارق

والدرّ في المخانق إن تقبلوا نعانق

ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق

فراقا غير وامق

ويها بني عبد الدار ويها حماة الأدبار

ضربا بكل بتار.[2]

---

[1] -صالح مهدي عماش، **المضمون العسكري لمعارك تحرير العراق: القرن الأول للهجري: من ذي قار إلى القادسية**، (العراق: بغداد، مديرية الثقافة العامة في وزارة الإعلام، ط01، 1973) ص 49.

[2] - حسيني عبد الحميد نيل، **السراج المنير في غزوات سيد المرسلين**، (لبنان: بيروت، دار القلم للنشر، ط01، 2016)، ص ص 72،73.

مثّلت الحرب جوهر الحسم بنشوء الدعوة الاسلامية، وكان هذا الحسم إزاء المشركين واليهود المعادين للإسلام، وأدار الرسول **صلى الله عليه وسلم** هذه الحرب، عن طريق ما يسمى بالسرايا والغزوات، والتي جرى الانطلاق فيها بعد ان شرّع الله القتال في سبيل إعلاء كلمته، حيث قال الله سبحانه وتعالى في كتابه: "**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39)**"[1]

لقد استمرّ مضمون الفتح حاضرا في الأعمال العسكرية في الدولة التي أنشأها الرسول **صلى الله عليه وسلم**، وتوسّعت في شبه الجزيرة العربية واصطدمت بالفرس والروم، ونتج عن ذلك جملة من الانتصارات بدأت بحروب الردة؛ التي نجح فيها المسلمون في الدفاع عن الدين الصحيح، ومنع تحريفه أو الارتداد عنه، حيث قال الخليفة الأول أبو بكر الصديق بشأن جدوى محاربة المرتدين ما داموا يشهدون بالإسلام وتراجعوا فقط عن جزء من أركانه:

" **والله لو منعوني عقالا لكانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لقاتلتهم على منعه.**"[2]

عزز فقه الاستشهاد والتضحية الحماسة القتالية للمسلمين، خاصة وأنّهم يرون تحقق الوعد بهزيمة الفرس والروم، وعلو شأن العرب بالإسلام والتمسك به[3]، وفي هذا الإطار كانت المراسلات التي تسبق معارك المسلمين؛ تبدأ بالسلام وتنتهي بحالة من الاصرار على النصر أو الاستشهاد، على أساس التطلع إلى الحياة الآخرة ونعيم الجنة، حيث الوعد الإلهي بالمغفرة والرحمة والنعيم وعلو المرتبة، مصداقا لقوله تعالى:

« **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» (173)** [4]

---

[1] -سورة الحج، الآية 39.

[2] -علي محمد الصلابي، **الشورى فريضة اسلامية**، (لبنا ن:بيروت، دار المعرفة، ط03، 2012)، ص42.

[3]- قال الخليفة عمر بن الخطاب في هذا الشأن "**نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإذا ابتغينا العزة بغيره أذلّنا الله**"، أنظر: علي سعيد علي حجازي، **العدالة العمرية**، (لبنان: بيروت، دار مكتب العلمية، ط01، 2009) ص303.

[4] -سورة آل عمران، الآيات 169-173.

في هذا الإطار؛ يمكن الاستدلال بما جاء في رسالة خالد بن الوليد إلى كسرى فارس، والتي كان نصها:

" **بسم الله الرحمان الرحيم؛ من خالد بن الوليد إلى ملوك الفرس، أما بعد؛ فالحمد لله الذي حلّ نظامكم ووهن كيدكم وفرق كلمتكم، ولو لم يفعل ذلك بكم، كان شرا لكم، فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم، ونجوزكم إلى غيركم، وإلاّ كان ذلك وأنتم كارهون على غلب، على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا.**"[1]

وقد وصف قائد الإسبان جيوش المسلمين عند فتح الأندلس بقوله:

" **لقد نزل بأرضنا قوم، لا ندر أهبطوا من السماء أم نبعوا من الأرض؟**" [2]

أدى الشحن الديني لدى المسلمين المصوغ بثنائية النصر والاستشهاد وضرورة الاقدام، والاعتقاد أن الله ينصر الفئة المؤمنة على الكافرة، ويعزّ دينه، وأنه لا يجدر أن يضعف المسلم أثناء القتال، ولا أن يتراجع أثناء المعركة، بل عُدّ تراجعه من الكبائر، وحذر الاسلام من ذلك في قوله تعالى:

"**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (16)**" [3]

يتضح من عظيم التهديد ثقل الرسالة الجهادية لدى المسلمين، وابتعادهم عن الاستكانة والخضوع، وايمانهم المطلق بالمواجهة ونصرة الحق، وأنّ المعارك التي يخوضونها هي معارك من أجل إعلاء كلمة الله والانتصار على الظلم، الذي يقتضي ألا تكون هناك مجاملة أو تساهل، حيث يقول سبحانه وتعالى:

" **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (139) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(140)**". [4]

إنّ أحد اسباب انتصار المسلمين في المعارك الكبرى التي خاضوها، مثل القادسية واليرموك ونهاوند والزلاقة وحطين، كان إضافة إلى الطاقة الايمانية، مرتكزا إلى وجود قادة ملهمين وأصحاب خبرات

---

(1) - عبد الحميد حسين حمدة، **تاريخ الدولة العربية الاسلامية**، (لبنان: بيروت، الدار الثقافية للنشر، ط01، 2005)، ص211.

(2) - محمد فرج، **الاستراتيجية العسكرية الاسلامية: النظرية والتطبيق**، (مصر: القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، سلسلة البحوث الاسلامية، العدد 79، مارس 1975)، ص67.

(3) - سورة الانفال، الآيتين 15،16.

(4) - سورة آل عمران، الآيتين 139، 140.

عالية، اكتسبوا ثقة جيوشهم وأداروا المعارك ببراعة، ويمكن الاشارة إلى ذلك مثلا، إلى ما يروي عن مقولة طارق بن زياد أثناء فتح الأندلس سنة 711م:

" **أيها الناس، أين المَفَرُّ؟ البحرُ من ورائكم، والعدوُّ أمامَكم فليس لكم واللهِ إلا الصدقُ والصَبْرُ...، وقد اسْتَقْبَلَكم عدوّكم بِجَيْشِهِ وأَسْلِحَتِهِ، وأَقْواتُه موفورةٌ، وأنتم لا وَزَرَ لكم إلا سيوفُكم، ولا أقواتَ إلا ما تَسْتَخْلِصُونَه من أيدِي أعدائكم... وأنّي عند ملتقى الجمعين، حامل بنفسي على طاغية قومه لُذَرِيق فقاتِلُه –إن شاء الله تعالى– فاحملوا معي، فإنْ هلكتُ بعده فقد كَفَيْتُكم أمره ... وإن هلكتُ قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا الهمَّ من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإنهم بعده يُخْذلون.**" [1]

لقد برهنت العقلية القتالية الفذة لهؤلاء القادة؛ على قدرة عالية في التأقلم مع سير المعارك، وتغير ظروفها والأحداث الطارئة، واختلاف القوى المعادية، حيث يحتفظ التاريخ الإسلامي بأسماء قادة مسلمين كبار على غرار خالد بن الوليد وسعد بن أبي الوقاص وعمر بن العاص، وعبد الله بن الزبير ومحمد بن القاسم الثقفي، وطارق بن زياد وموسى بن نصير، وعبد المؤمن بن علي، وصلاح الدين الأيوبي، ويوسف بن تاشفين ومحمد الفاتح؛ وغير هؤلاء كثيرون، ويشهد عدد من المؤرخين الغربيين؛ ومن بينهم الفرنسي غاستون بوتول *Gaston Bouthoul* بأنّ التوسع الهائل الذي حققه المسلمون، والذي شمل البحر الأبيض المتوسط والأندلس وجنوب فرنسا، وامتد لحدود الهند خلال عقود قليلة، إنّما يعود أساسا لنوعية الفرسان العرب، الذين تميزوا بالبراعة والمناورة، والإيمان بقضيتهم، وبالرغم من فشلهم في معركة بواتييه (بلاط الشهداء)، إلا أنّهم يظلون من بين أفضل التشكيلات العسكرية، وأقدرها على العمليات الحربية السريعة عبر التاريخ.[2]

إنّ التراجع التي شهدته حركة الفتح الاسلامي من القرن التاسع للميلاد، كان حالة من الانكفاء عن روح الجهاد والفتح، وفسادا لأنظمة الحكم، ورغم أنّ العثمانيين عاودوا حركة الفتح والتوسع في أوربا خاصة، إلا أنّ القيم الأولى للجهاد لم تترسخ في نفوس الجنود وحركة الجيوش الاسلامية، ولهذا السبب ضاعت الأندلس، والكثير من الأراضي التي فتحها المسلمون، وابتليت البلاد الإسلامية بالصليبيين

---

[1]- راغب السرجاني، **قصة الاندلس: من الفتح الى السقوط**، ج01، (مصر:القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، ط01، 2011)، ص55.

[2]- غاستون بوتول وآخرون، **الحروب والحضارات**، تر: أحمد عبد الكريم، (سوريا: دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط01، 1984)، ص216.

والمغول، ثم بالحركة الاستعمارية؛ التي رفعت لواء الحرب المقدسة ضدهم، مما أسفر عن حالة من الانقسام والتبعية بين المسلمين؛ ظلت مستمرة حتى العصر الحاضر.

تعرضت العسكرية الاسلامية الى تشويه كبير لتاريخها، قاده عدد من المستشرقين الذين طرحوا ثلاث نقاط أساسية:

1- أنّ الإسلام قام بالسيف والتهديد والعنف، وأنّه لولا القوة ما وجد الإسلام من يؤمن به ويدخل فيه؛

2- أنّ الغزوات والحروب التي قام بها المسلمون، لم تخرج عن كونها عمليات للسلب والنهب.

3- أنّ الرسول عقب الهزيمة في أحد، وبعد أن رأى كثرة القتلى من المسلمين في هذه المعركة، أراد أن يطيّب قلوب أصحابه، فأصدر قانون الجبرية، والذي فحواه أن الإنسان مجبر، ومقدّر عليه ما كتب له.[1]

يمكن الرد على هذه الأقاويل من خلال أنّ الإسلام يستبق اللجوء إلى القوة، بالدعوة والموعظة الحسنة، حيث يقول الله سبحانه وتعالى:

" **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125)**"[2]

أمّا بالنسبة إلى اقتران الحرب في الإسلام بالعنف والغزو؛ فإنّ ذلك بعيد عن الحقيقة التاريخية، التي مفادها أنّ الإسلام كان دفاعا عن النفس وإحقاقا للحقوق وصدا للعدوان ونُصرة للمستضعفين، ويمكن في هذا الإطار الاستشهاد بقصة دخول " ربعي بن عامر" مبعوث المسلمين على ملك الفرس، حين سأله عن مبرر الفتوحات ومجيئ المسلمين إلى أرض فارس:

"**لقد ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.**"[3]

أمّا فيما يخص الاتهام الواقع على الاسلام بكونه متصلا بالجبرية كضمان لنجاح العمل الحربي؛ وتبرير ذلك أنّ كل حادث يقع في الحياة، قد سبق في علم الله تقديره، وكتب في لوح الخلد قبل أن يبدأ الله العالم، وأن كل شيء قد تحدّد من قبل، فيخوض المسلمون المعارك في ظل هذه التعاليم، دون خوف مادام الموت هو عدل الاستشهاد، فإن الثقة في الفوز في حالتي النصر والشهادة هي التي تدفع

---

[1] - محمد فرج، مرجع سابق، ص ص 170،171.

[2]- سورة النحل الآية 125.

[3]- محمد موسى البرّ، **الاعلام الإسلامي: دراسة تأصيلية**، (مصر: القاهرة، دار النشر للجامعات، ط01، 2009)، ص106.

بالمسلمين إلى المعارك، وهذا تفسير خاطئ، لأنه يتنافى مع روح الإسلام المبني على فكرة الجزاء والعقاب، ويخالف تماما ما جاء في القرآن،[1] وفي هذا الإطار يمكن الاحتلال بقول الله تعالى:

"**قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا(108)**".[2]

إنّ النصر في معارك الفتوحات الاسلامية لم يتأت فقط بالروح القتالية المستندة إلى قوة الإيمان، وإنّما أيضا بجملة من التكتيكات والأساليب القتالية عالية الكفاءة، ومن بينها أسلوب الحاميات العسكرية حيث أنّه عندما فتح السلمون الشام والعراق، وانطلقت جيوشهم في الأرجاء الأربعة، وجدوا أنفسهم مرغمين على الالتزام بمبدأ الاقتصاد بالقوى، والعمل دفاعيا على بعض الجبهات؛ لتركيز الجهد وحشد الإمكانات على الجبهات الأخرى، وبالتالي ضرورة إنشاء التحصينات والمواقع على الحدود، واصطلح على ذلك بالثغور، وتمّ مزج مفهوم الدفاع بالفكرة الهجومية، فتحولت هذه الثغور إلى قواعد انطلاق لهجمات متتالية، ووقع نفس الأمر في الأندلس على مدار القرنين الأولين من فتح الأندلس.[3]

يرى القائد العسكري البريطاني برنارد مونتغومري *Bernard Montgomery* أنّ المسلمين كانوا في بداية الفتوحات بمثابة قوم لا يقهرون، خصوصا مع قادة مثل خالد بن الوليد وعمر بن العاص، حيث طبّق هؤلاء أساليبا فعالة أثناء القتال، تمتاز بخفة الحركة، على غرار القتال من فوق ظهور الجمال والخيل، وفي المناطق الملائمة لذلك مثل الأراضي المفتوحة في شمال إفريقيا وغرب آسيا، وكانوا يمتازون بالروح المعنوية العالية، وهم أصحاب قوة احتمال نتيجة حياتهم الصعبة في الصحراء، كما لا يمكن اهمال العامل الاقتصادي في نجاح هذه الفتوحات، حيث أنّ العرب الذين كانوا يزدحمون بمواجهة القحط والجفاف، كان انتقالهم إلى أماكن أخرى، مطلبا مُعززا للدعوة الايمانية التي اتسمت بالتسامح، وجعلت الشعوب تستقبلهم كمحررين.[4]

---

(1) - محمد فرج، مرجع سابق، ص ص 177-179.

(2) - سورة يونس، الآية 108.

(3) - مادة الحامية، **الموسوعة العسكرية**، ج01، مرجع سابق، ص 509.

(4) - برنارد مونتغمري، **الحرب عبر التاريخ**، ج02، تر: فتحي عبد الله النمر، (مصر: القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة، ط01، 1972) ص ص 186-189.

المطلب الثاني: مسار الانتصار والانهزام في الحروب الصليبية

مثّلت الفتوحات الإسلامية تراجعا للوجود المسيحي في الأراضي الممتدة من الشام إلى شمال افريقيا، وشكّل هذا تناقصا حادا لعوائد التجارة من جهة، وتقييدا لحركة الحجاج المسيحيين الى بيت المقدس من جهة أخرى، وأمام هذه الضغوط؛ مضافا إليها الفقر والاضطهاد الذي عاشته الشعوب الأوروبية خلال العصور الوسطى، فإنّ فكرة شّن حرب على المسلمين تحت رعاية الكنيسة كانت قوية جدا، ويقع مصطلح الحروب الصليبية كتصوير لثقافة عدوانية في تبرير الغزو ومقاتلة المسلمين، تحت مسمّى الحج المسلّح، والغفران الصليبي، والحرب العادلة والحرب المقدسة.

تمتد الحروب الصليبية بشكل أساسي خلال الفترة ما بين 1096 و1291م ، غير أنّ البداية الفعلية لهذه الحروب كانت في 27 نوفمبر 1095 حين ألقى البابا أوربان الثاني *ORABAN II* خطبة دينية تحريضية كانت كخاتمة للمجمع الديني الذي عقده، وضمّنها دعوة صريحة لمقاتلة المسلمين تحت راية الصليب، واحتلال القدس برمزيتها الدينية للأديان السماوية الثلاث، ومن المهم الإشارة إلى أن مصطلح الحملة الصليبية والصليبيين لم يتم استخدامه إلاّ في أواخر القرن 12 م حين ظهرت الكلمة اللاتنية *Crusesignati*، والتي تعني الموسومة بالصليب، لأنّ المقاتلين كانوا يخيطون صلبانا من القماش على ملابسهم، وقبل ذلك كان يوصف من يشارك في هذه الحرب بالحجاج *Preregrini*، أمّا بالنسبة لمفهوم الحملة فقد استخدمت كلمة *Expeditio* ، وكذا عبارة الرحلة إلى الأرض المقدسة *Iter in Terram Sanctam* ليصير المصطلح الأكثر حضورا *Guerre saint sacrum*، فيما اصطلح رجال الدين على تلك الحرب، بمشروع يسوع المسيح *Negatium Jheusus christi* .[1]

لم تكن الحروب الصليبية لتأخذ ذلك الاهتمام في التاريخ لولا الفترة التي شملتها، والآثار التي تركتها سياسي واجتماعيا وثقافيا، ومازالت عنصر تحديد لهوية جزء من السكان في الشرق الاوسط، ويقصد بذلك المكون المسيحي خاصة في لبنان وفلسطين وسوريا والأردن، وبالعودة إلى الخريطة السياسية للمنطقة قبل الحروب الصليبية، نجد حالة من الضعف ميّزت الخلافة العباسية آنذاك، كما أنّ السلاجقة المهيمنين على الحكم هناك، ضعفت سيطرتهم نتيجة المعارك الداخلية بشأن النفوذ، وقد عبّر المؤرخ ابن الأثير عن ذلك بقوله:

(1)- قاسم عبده قاسم، **الحروب الصليبية**، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط01، 1990)، ص ص09،10.

انحلت الدولة ووقع السيف، وأصبحت هناك خمس ممالك ضمن هذه السلطة متنافسة، وفي حروب مستمرة[1]؛ كما أن الفاطميين في مصر كانوا في حالة من الضعف، ويحركهم عداء ديني شديد للخلافة العباسية، ممّا منع تنسيق الجهود ضد الصليبيين، وقد صبّ هذا الغزو في صالح الفاطميين الشيعة من خلال إبعاد الخطر السّني، وتشكيل منطقة عازلة بين الدولتين، تشمل فلسطين ولبنان وأجزاء من سوريا الحالية، وذلك كان بمثابة أوّل اختراق أجنبي للبلاد الإسلامية، وتأكيدا على محورية موقع فلسطين الذي سيصير فيما بعد مهدا لإقامة دولة إسرائيل، وفي ظل ظروف مشابهة لسقوط القدس سنة 1099 م.

إن مرجعية الحروب الصليبية بالسنة للمسيحيين هي النداء المشهور الذي صدر عن البابا أربان الثاني بمباركة هذه الحرب، من خلال مقولته المشهورة: "**إن الرب يريد ذلك** "، ودعّم قوله بحملة تحريض، وتجييش للمشاعر المسيحية، قادها دعاة أظهروا النّسك والبساطة، متكلمين عن الأمل بالجنة والغفران، والخلاص من الخطايا. [2]

تشمل الحروب الصليبية جملة من الحملات، يمكن عرضها على النحو التالي:

01- الحملة الصليبية الأولى 1096 م -1099 م:

تعرف هذه الحملة بالحملة الشعبية، من خلال كونها كانت مشكلة من فئات شعبية مختلفة، قادها بطرس الناسك، ولم تستطع الوصول إلى القدس، حيث تعرضت للهزيمة أمام السلاجقة، لتتبعها حملة عسكرية منظمة من أربعة جيوش، جيش من جنوب فرنسا وآخر من شمالها، وجيش من اللّورين على حدود ألمانيا الحالية، وجيش رابع من جنوب إيطاليا. [3]

تمكّن هذا الجيش عبر التنسيق مع الإمبراطور البيزنطي من الوصول إلى القدسّ ، حيث استفاد من حالة التفرق التي ميزت المسلمين، وكذا الخيانات الكثيرة لعدد من المدن الإسلامية، التي حرصت قيادتها على حماية نفوذها، وكسب صداقة الصليبيين، وهؤلاء ساهموا في تسهيل طريق الحملة، وإرشاد القوات الصليبية إلى الطرق، ومن ذلك قادة حمص وطرابلس وبيروت وعكا، وحين دخل الصليبيون

([1])- محسن محمد صالح، **الطريق إلى القدس: دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصر الأنبياء حتى أواخر القرن العشرين**، (لبنان: بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط05، 2014)، ص89.

([2])- غاستون بوتول، **الحرب والحضارات**، مرجع سابق، ص220.

([3])- مادة الحروب الصليبية، الموسوعة العسكرية، مرجع سابق، ص801.

إلى القدس ارتكبوا مجزرة، تنقل الروايات التاريخية أن ضحاياها بلغوا سبعين ألف(70000) شخص، في ظل عدم تحرك الدولتين الفاطمية والعباسية. [1]

إنه وبملاحظة طريقة الصليبيين في إدارة الحرب ضمن هذه الحملة يمكن تسجيل النقاط التالية:

– الاستثمار في عداءات المنطقة لأجل تطبيق سياسة فرق تسد.

– اعتماد الوحشية في الحرب؛ لما للأثر النفسي لذلك من تأثير.

– استخدام المال في تحقيق ما لا يمكن إنجازه بسرعة عن طريق القوة العسكرية، وذلك بشراء الولاءات في منطقة معروفة تاريخيا بكثرة التآمر والخيانة.

– صعود قيم الفروسية والبطولة وحب البروز لدى المقاتلين الصليبيين، وحلم تكوين إمارات بعيدا عن سلطة الكنيسة، كما أن العائدين إلى أوربا كانوا مشحونين بالوفاء لقسم استعادة القدس، التي أطلق عليها أورشليم.

انتهت هذه الحملة الصليبية بتوطين مملكة وثلاث إمارات هي مملكة القدس وإمارة الرها وإمارة انطاكية وإمارة طرابلس، ويلاحظ من خلال تموقع هذه الممالك أنها كانت محاطة بالمسلمين، وكان بالإمكان قطع الإمدادات عنها، واسقاطها عسكريا، إلاّ أن عدم وجود قائد عسكري على قدر من الكفاءة أدّى في ظل حالة التفرق والانقسام، أن تستمر سيطرة الصليبيين قرابة 300 سنة.

02–الحملة الصليبية الثانية: ما بين 1147م و1187م

استثمر الصليبيون انتصارهم في تثبيت وجودهم في الأراضي المحتلة، وقد كانوا يعتقدون بإمكانية البقاء الدائم، خاصة مع حالة الضعف التي شهدها المسلمون، ونسجّل في هذا الإطار أن استرداد المسلمين التدريجي للأراضي التي فقدوها كان مع ظهور أسرة الزنكي، ثم صلاح الدين الأيوبي، حيث تمكّن عماد الدين زنكي من تسجيل أول الانتصارات ضد الصليبيين، ثم استمر ابنه نور الدين في مسار التحرير بعد وفاة والده سنة 1146م، حيث شكّل من خلال استهدافه للتواجد الصليبي، أملا في الوصول إلى بيت المقدس، وخلال الفترة الممتدة ما بين 1147م و1187م حاول الصليبيون تدعيم وجودهم عسكريا في المنطقة، وكذا السعي لمنع المسلمين من أخذ المبادرة، لهذا تم تجريد حملة

(1)-محسن محمد صادق، مرجع سابق، ص92.

صليبية سنة 1147م لمواجهة نور الدين زنكي، ضمّت عددا من ملوك أوربا، ثمّ جرى الدفع بحملة أخرى إبّان تولي صلاح الدين الحكم. [1]

ابتدأ المشروع الذي قاده صلاح الدين الأيوبي للتحرير، من خلال اسقاط الدولة الفاطمية في مصر، وتوحيد الشام بعد ذلك؛ وكانت خاتمة مشروعه هي الانتصار في معركة حطين سنة 1187م، حيث أحسن اختيار الموقع لها، وكذا استغلال الظروف المناخية والطبيعة الجغرافية، ونجح في تطويق الجيوش الصليبية التي جرى استدراجها للخروج من القلاع؛ ثم إحراق الأعشاب والأشجار اليابسة التي تكسو هضبة حطّين، ومن خلال سرعة الحركة تمكّن صلاح الدين من إبادة الجيش الصليبي، والوصول إلى مدينة القدس التي استطاع الاستيلاء عليها في نفس السنة.[2]

03-الحرب الصليبية الثالثة: 1189م-1192م:

أدت هزيمة الصليبيين في معركة حطين، وخسارتهم الكبرى للقدس إلى تأجيج روح الانتقام في أوروبا ضد المسلمين، حيث تم تشكيل تحالف ضمّ ثلاث ملوك لقيادة حملة عسكرية بغرض استعادة القدس، وهؤلاء الملوك هم امبراطور ألمانيا فريدريك بربروسا*Frederick Barbarossa* ، وملك فرنسا فيليب أوغستPhilippe Auguste ، وملك انجلترا ريتشارد قلب الأسد *Richard the Lionheart*، وقد بدأت الحملة بفشل على إثر غرق الإمبراطور الألماني في نهر على الطريق، مما أدّى إلى تشتت جيشه، وعودة القسم الأكبر إلى ألمانيا، فيما حدث خلاف بين ملك انجلترا والملك الفرنسي، ليتحول الجهد العسكري للصليبيين نحو قيادة ملك إنجلترا، الذي نجح في السيطرة على مدينة "عكا" ، ثم شنّ حربا ضد صلاح الدين الأيوبي، مما اضطرّهما في الأخير إلى توقيع صلح الرملة سنة 1192م[3]، ويعزى فشل الجيش الصليبي في هذه الحملة إلى طول الحصار وعدم جدواه في استعادة القدس، وفي جانب المسلمين كانت اتفاقية الصلح بمثابة حل لابد منه، في ظل سلسلة من الهزائم التي تعرضوا لها.

04-الحملة الصليبية الرابعة 1203م-1204م:

أدّت وفاة صلاح الدين الأيوبي؛ ونشوء نزاع بين ورثته حول الحكم، إلى إحياء الآمال الصليبية في العودة، وتوسعة ما كان يعرف بالممالك المسيحية التي كانت بمحاذاة الساحل، وتمتعت بفترة سلام

([1])-مصلح خضر الجيوري، **جذور الاستبداد والربيع العربي**، (الاردن، عمان، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، 2014) ص45.

([2])- خالد ابن محمد مبارك القاسمي، **العلاقات الخارجية في العصر الإسلامي**، (مصر: القاهرة، الدار الثقافية للنشر ،2008).ص ص 121-124.

([3])-مادة الحروب الصليبية، الموسوعة العسكرية، مرجع سابق، ص801.

قاربت العشر سنوات، وهي الفترة التي كانت كافية لأن يستعيد الصليبيون المبادرة مع مجيء حملة صليبية أخرى؛ دعا إليها البابا إنوسنت الثالث Innocent III الذي جعل هدف الحملة احتلال مصر، حيث تم السعي للإنزال على أراضيها، غير أنه جرى تحويل مسار الحملة نحو القسطنطينية في مارس 1204م، ضمن إحياء العداء المذهبي بين الكاثوليكية والأرثوذكسية، وانتهت هذه الحرب بهجوم ضعيف على الشواطئ المصرية.[1]

05-الحرب الصليبية الخامسة 1216م-1221م:

استمر التحريض الديني ضد المسلمين من طرف البابوية في أوربا، على أساس الاستمرار في الحرب المقدسة، وكان ذلك بتشجيع من البابا هونوريوس الثالث ***Honorius III***، الذي استطاع إقناع ملك المجر" اندريه الثاني" *Andrey II* ودوق النمسا " ليوبولد السادس" *Leopold VI*، وقد نزلت هذه القوات بمدينة "عكا" سنة 1217م، ثم نجحوا في احتلال المناطق الواقعة بين بيسان و بنياس وصيدا، ووصلوا إلى مدينة دمياط في مصر، وقد نجح المسلمون عن طريق فتح حواجز الماء في قطع الطرق عن الصليبيين، وكان ذلك استعمالا ناجحا لمقومات الجغرافيا في كسب الحرب، اضطر الصليبيون معه إلى المفاوضة والجلاء، خصوصا بعد أن عاد جزء من الجيش الصليبي إلى أوروبا قبل الوصول إلى دمياط. [2]

06-الحملة الصليبية السادسة 1228م-1229م:

تشكلت في ألمانيا حملة صليبية سادسة بقيادة الإمبراطور الالماني فريدريك الثاني*Frederick II* ، وكانت ضمن الصراع بين البابا غريغوري التاسع *Pope Gregory IX* والإمبراطور الألماني المحروم من الكنيسة، وبالتالي شكّلت هذه الحملة حماية للإمبراطور بادعائه خدمة للصليب، ولقد نجح باستغلال تواطؤ حاكم مصر السلطان العادل الذي كان في صراع مع أمير دمشق، في أن يحصل على القدس و بيت لحم، وشريط ساحلي في فلسطين، وكانت خيانة السلطان العادل نابعة من رغبته في أن تشكل القوات الصليبية حاجزا بينه وبين أمير دمشق ، خصوصا مع تعهد الإمبراطور الألماني

(1)- قاسم عبده قاسم، مرجع سابق، ص ص 121،122.

(2)- محمد أشتيه، **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الفلسطينية**، (الأردن: عمّن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط01، 2011)، ص ص298،299.

بعدم مهاجمة مصر، ولقد تمكّن السلطان الصالح أيوب من استعادة القدس مجددا من الصليبيين سنة 1244م.[1]

07-الحملة الصليبية السابعة 1248م-1251م:

حاول الفرنسيون تعويض خسائر الحملة السابقة التي كانت بقيادة متعددة، لذا اتخذت الحملة الصليبية السابعة طابعا فرنسيا خالصا، وانطلقت من قبرص كقاعدة لتوجيه العمل العسكري من مصر، التي كان يحكمها الصالح أيّوب والذي كان يعاني من مرض شديد آنذاك، أدى إلى وفاته أثناء الحملة سنة 1249م، إلا أنّ جاريته شجرة الدر التي صارت زوجة له؛ تسلّمت زمام الأمور وتمكّنت من كسب الحرب، بعد أن جرى التخطيط لحرب تطويق للفرنجة -كما كان يطلق عليهم- في معركة المنصورة سنة 1250م، والتي أسفرت عن إبادة الجزء الاكبر من الجيش الصليبي، وأسر قائد الحملة لويس التاسع. [2]

إن هذه الحملات الصليبية كانت ذات محتوى عدائي، أساسه الحماسة الدينية بإثارة حماس الجماهير المسيحية في أوروبا للتطوع من أجل القيام بخدمة دينه ثوابها الجنة، وقد شملت صكوك الغفران التي كانت توزعها الكنيسة؛ الإقطاعيين والنبلاء كما مست الفقراء والمجرمين واللقطاء، وساهمت بذلك في إعادة بناء النسيج الاجتماعي في أوربا، وكذا في بلورة نمط جديد للعلاقات بين الشرق والغرب، والمعارك التي اندلعت بين المسلمين والمسيحيين ظلت نمطا للحروب الدينية المقدسة التي يبرز فيها بقوة مفهوم الاستشهاد، كما يحضر فيها الشحن الديني والنفسي والتحريض.

نتج عن الحروب الصليبية خلق مناصب جديدة دينية وعسكرية، فقد تأسس تنظيم فرسان كهيئة خيرية من قبل بعض التجار الإيطاليين عام 1050 لرعاية الحجاج المسيحيين في الأراضي المقدسة، وفي عام 1113م؛ نشأ نظام فرسان القديس يوحنا الأورشليمي *The Order of Knights of the Hospital of* Saint John of Jerusalem وقد انبثقت عن الجماعة الأم، والمشهورة باسم فرسان

([1])- فراس البيطار، **الموسوعة السياسية والعسكرية**، ج06، (الأردن: عمّان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط01، 2003)، ص2387.

([2])- حين جرى أسر لويس التاسع في هذه الحملة، تمّ احتجازه في دار القاضي ابن لقمان، ولقد جرى تحريره فيما بعد ، مقابل التعهد بعدم العودة، وكان يجري التهكم على الأخبار المحذرة من حملات صليبية، بالقول : دار لقمان على حالها، وهو مستخلص من بيتي شعر، قالهما القاضي جمال الدين بن مطروح:

وقل لهم إن أزمعوا عودة لأخذ ثأر أو لفعل قبيح

دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشي صبيح

أنظر: آسيا سليمان نقلي، **دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية**، (السعودية: الرياض، مكتبة العبيكان، ط01، 2002)، ص ص 209-212.

المعبد أو فرسان الهيكل(هيكل سليمان) الذين كانوا يعرفون بالجنود الفقراء-***The Poor Fellow-Soldiers of Christ and of the Temple of Solomon***، وبرز كتنظيم قتالي محترف، راكم بالإضافة إلى خبراته القتالية ثروات كبيرة أدّت إلى صراع مع البابوية، وفي نهاية القرن الثاني عشر ظهر تنظيم فرنسان "التيوتون" *The Teutonic Order* للاعتناء بالمرضى، وهو تحول جديد في التشكيلات العسكرية، وقد تغير هذا التنظيم سنة 1209م، ليصبح جيشا دائما خاليا من الطبيعة الدينية.[1]

طورت الحروب الصليبية أساليب الإغارة وحصار المدن، وعمليات الاقتحام والحرب البحرية، وأبرزت أهمية الإمداد والتأمين القتالي، وأساليب الدعاية والاستخبارات وأساسيات المعارك البرية، بما كان له من أهمية في تحولات إدارة حروب أواخر العصر الوسيط.

المبحث الثالث: الحروب الاستعمارية وحروب الموارد

اعتمدت الدول عبر التاريخ في تصور علاقاتها مع غيرها على المعطى الأمني، وصاغت هذا المعطى في احتياجاتها الدفاعية، واحتياجات الكفاية والرّفاه لشعبها، و تطلّعات السيطرة والنفوذ التي كانت تراود قادتها، ولمّا كان تحقيق ذلك لا يتأتى بقبول طوعي من دول أخرى تفكر في أغلبها بنفس المفهوم، ونفس طريقة تحقيق هذه الغايات، فإنّ خيار الحرب كان الملجأ الأكثر إقناعا في تحقيق أهداف التوسّع والكفاية الاقتصادية، وكذا الاستحواذ على الثروات الاقتصادية ، وشكّل الاستعمار الواجهة التاريخية لهذا المسعى، غير أنّ تحولات النظام الدولي وحصول كل الشعوب على استقلالها تقريبا، في ظل هيكلية اقتصادية عالمية، أساسها الأسواق المفتوحة، والدور المحوري للشركات المتعددة الجنسيات؛ فرضت نمطا جديدا من التنافس والسيطرة، أساسه الموارد الاقتصادية، ومن يصل إليها ويستحوذ عليها، وجرى توصيف ذلك بحروب الثروة والحروب على الموارد، باعتبار أنّ الدول تسعى لزيادة عوائدها للحد الأقصى، و أن تمنع ما استطاعت الأطراف الأخرى مشاركتها في ذلك، وإن لم يتح لها هذا؛ فإنّها تميل لاستخدام القوة في تجريد الأخرين من مواردهم، أو الهيمنة عليها أو استغلالها بشكل غير عادل، ولما كان الاستعمار واجهة استغلالية ونمطا واضح المعالم؛ بشأن التواجد العسكري على الأرض، فإنّ الحروب على الموارد يجري توصيفها حاليا بكونها حروب طاقة في المقام الأول،

(1)-غاستون بوتول، **الحرب والحضارات**، مرجع سابق، ص ص 222،223.

وتندرج بعدها حروب متصلة بالثروات المعدنية والمياه، في أسبقية تشير إلى حاجة الدول إلى سد حاجياتها في ظل العجز المائي .

إن هذا التقديم يحيل إلى البحث موضوعي الاستعمار والسيطرة على الموارد، عند قرنهما بالحرب كخيار تحذوه الدول لسد احتياجاتها، وتوسيع المساحات الجغرافية التي تسيطر عليها، بما تحويه من موارد وإمكانيات.

المطلب الثاني: النصر في الحروب الاستعمارية

ظل مسعى الدول في توسيع أراضيها ومجال نفوذها، لصيقا بسياستها الخارجية، وبرغبتها في توظيف القوة لتحقيق هذا الغرض، وخوض الحروب تحت عنوان الحق في الاستيلاء على أراضي وأملاك الآخرين، ويعتبر الاستعمار –كتجسيد لذلك–من بين الموضوعات التي تحظى باهتمام خاص في دراسة تاريخ الحروب وتطور العلاقات الدولية، حيث يتم إبرازه كمظهر لعدوانية الدول، وشكلا متطرفا من استخدام القوة، ويطلق على الفترات الزمنية التي تشهد حالات العدوان والاحتلال بالفترات الاستعمارية.

يعرّف الاستعمار بكونه إخضاع جماعة من الأفراد لحكم أجنبي، وينطلق من منظور إلغائي لحقوق ووجود هذه الجماعة، وذلك على اعتبار أنّه يحمل فكرة التعمير، والذي لا يكون في الأصل إلاّ لمنطقة خالية، وهو لا يخرج في حقيقته عن كونه أحد مظاهر التسلط السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي، أو الحضاري لجهة على غيرها، غير أن الأداة الأكثر حضورا في تثبيته هي الاداة العسكرية.[1]

إنّ نشوء ما يعرف بالظاهرة الاستعمارية، قد أوجد نمطا من الحروب الخاصة بها، عرفت بالحروب الاستعمارية؛ والتي تعني الحرب التي تشنها قوة كبيرة، مستغلة تفوقها التقني والعسكري، وتقدمها الصناعي على دولة أضعف، وليس بالضرورة أن تكون أصغر منها مساحة، فقد احتلت فرنسا ما مساحته عشرة ملايين كيلومتر مربع، فيما تمكّنت بريطانيا من تكوين امبراطورية وصفت بكونها لا تغيب عنها الشمس، مساحتها ثلاثة وثلاثون(33) مليون كيلومتر مربع، ويكون هدف الاستعمار الاستفادة من الموقع الاستراتيجي والإمكانيات الاقتصادية، والغنى بالموارد الاولية الطاقوية

(1)- اسماعيل صبري مقلد، **العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات**، (مصر: القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط4، 2010) ص545.

والمعدنية[1]، كما تكون سوقا لتصريف المنتجات، وأيضا مجالا لتخفيف العبء السكاني، وإحلال مستوطنين في الاراضي المحتلة، مكان السكان الأصليين.

إنّ للحروب الاستعمارية تاريخا طويلا يعود إلى العصور القديمة، حيث أن التعاقب الحضاري خاصة في منطقة الشرق الأوسط كان مقرونا بالحروب الاستعمارية، والتي شملت منطقة فارس (إيران الحالية)، والمدن اليونانية وصولا إلى حوض المتوسط، فقد حاول الفرس غزو بلاد الإغريق أكثر من مرّة ، فيما ردّ اليونانيون بالاتجاه شرقا، مع صعود قوة مقدونيا بزعامة الملك فيليب، الذي سيطر على معظم المدن اليونانية بما فيها أثينا، وأكمل ابنه الإسكندر الحرب الاستعمارية المقدونية، ليصبح أول قائد ينجح في تأسيس إمبراطورية تتجاوز حدود بلاد الإغريق، وتصل إلى الهند ، وتشمل مصر وبابل وفارس[2]، ولقد أدّى تحركه هذا إلى ترسيخ النمط الاستعماري في المنطقة .

لقد استفاد الاستعمار من حالة المهادنة والميل إلى السلم، التي ميّزت عددا من الشعوب الأدنى تقدما، والأقل اختلاطا بجوارها، فقد كان شعب الأقزام في افريقيا مسالما، إلى أن هذا الطبع تسبب في طرده إلى أصعب المناطق معيشة في الادغال، تحت ضغط الهجمات المتتالية من القبائل القوية المعادية، التي حازت أراضيهم، كما أنّ سكان أستراليا الأصليين مثلا كانوا يكرهون الحرب[3]، وأدّى ذلك عن عجزهم الحفاظ على أراضيهم، وافنائهم تقريبا.

تجد الظاهرة الاستعمارية بحروبها العنيفة والمستمرة ارتباطا بالتاريخ الروماني، حيث استطاعت الإمبراطورية الرومانية أن تقضي على امبراطورية سابقة لها؛ وهي امبراطورية قرطاجة، فقد اندلعت ثلاثة حروب بين الإمبراطوريتين تدخل ضمن ما يوصف بالحروب الاستعمارية، وهذه الحروب سميت بالحروب البونية*The Punic Wars*، والتي برز فيها تفوق روما البحري على قرطاجة، وذلك في الفترة من 264 ق.م إلى 241 ق.م، فيما امتدت الثانية من عام 218 ق.م إلى 201 ق.م، وحازت فيها روما شبه جزيرة إيبيريا (اسبانيا والبرتغال حاليا) لتنهي الحرب البونية الثالثة من 149 ق م إلى 146 ق م وجود الإمبراطورية القرطاجية[4]، وفيها ابتدعت روما أسلوب الأرض المحروقة، وذلك

(1)- أحمد سويلم العمومي، **أصول العلاقات السياسية الدولية**، (مصر: القاهرة، مكتبة الانجلو مصرية، ط1، 1957)، ص ص 473 – 475.

(2) فايز صالح ابو جابر، **التاريخ السياسي الحديث والعلاقات الدولية المعاصرة**، (الأردن: عمان، دار البشير للنشر والتوزيع، ط1، 1989)، ص40.

(3) مونتعومر، **الحرب عبر التاريخ**، ج1، مرجع سابق، ص42.

(4) نجاة سليم محاسيس، مرجع سابق، ص ص 118، 119.

حينما عمد القائد الروماني إيميكيانوس سكيبيو Scipio Aemikianus (185ق م-129ق م) إلى حرق قرطاجة ومحو معالمها إلى الأبد ، وكان شعاره " حتى لا تنهض قرطاجة أبدا".[1]

لقد أثبتت سياسة الأرض المحروقة فاعليتها عبر مسار التاريخ في نجاح الحرب الاستعمارية، وخصوصا حينما جرى توظيفها من طرف الاستعمار الحديث في الأمريكيتين وفي افريقيا وآسيا، حيث تمكّن المستعمر من حرمان السكان من الموارد، وكل سبل الإعاشة، ومنعهم من الاستقرار، وجرى الدفع بهم إلى الاستسلام والتنازل عن ممتلكاتهم وأراضيهم، ولعلّ أفضل تجسيد لذلك هو أسلوب الجنرال بيجو *TOMAS Bugeaud* الذي اتبع سياسة دموية لإخضاع الجزائر فيما سيسميه المؤرخون " المدخنة " اعتمادا على خنق الأهالي بالدخان والحرق في المغارات، والقتل الجماعي[2]، ونجح بذلك في إخماد كل أشكال المقاومة، وانتصر على الامير عبد القادر، وأجبره على الاستسلام سنة 1847 م.

يرتبط نمط الحرب الاستعمارية بالتوسع الروماني الذي استطاع إخضاع حوض البحر الابيض المتوسط ، والمناطق الأوروبية وصولا إلى انجلترا ، وفي الشرق وصولا إلى حدود فارس وشبه الجزيرة العربية، كما خضعت لروما مصر وشمال افريقيا، ويعود سبب نجاح الحروب الاستعمارية الرومانية إلى الكفاءة القتالية العالية للجيش الروماني، وتطويره لمعدات الحرب في البر والبحر، كما كانت الكتائب المنظّمة فخر العسكرية الرومانية، تمكّنت بواسطتها من فرض ما يسمى بالسلام الروماني، غير أنّ التعويل عليها في استعمار أراضي غرب أروبا انتهى إلى الفشل الذريع، عندما اصطدمت بالقنابل الجرمانية في معركة" غابات تيتوبرغ "*The Battle of the Teutoburg Forest* ، حيث كان التطلّع الروماني إلى استعمار الأراضي الجرمانية التي كانت تضم قبائلا يصفها الرومان بالهمجية، واعتقدوا بسهولة الانتصار عليها، إلاّ أنّ هذه الأخيرة تمكنت من إبادة الكتائب الرومانية المهاجمة، والتي قدر عددها بخمسة وعشرون ألف (25000) مقاتل، وتم منع الرومان التغلغل بشكل نهائي في أراضي جرمانيا، وتعتبر هذه المعركة التي جرت في سنة 09م ترسيخا تاريخيا لتفوق الألمان على الايطاليين، منذ أن هزم " التيوتون" أجداد الألمان الرومان أجداد الإيطاليين[3]، وقد ورثت الإمبراطورية البيزنطية الميول الاستعمارية والتوسعية للرومان وتجلّت حروبها في هذا الإطار ضمن

(1) فايز صالح أبو جابر، مرجع سابق، ص41.

(2)-Jean-Jacques Tur, **Ombres et lumières de l'Algérie française**, (France : Paris, L'Harmattan, 2012), P22.

([3]) محمد علي صالح، **في غابة تيوتون تكمن القوة الألمانية**، جريدة الشرق الأوسط، العدد 12620، بتاريخ 2013/06/18

السعي لتأمين الموارد الاقتصادية والبشرية لضمان استمرارية الإمبراطورية، وحين اعتنق قادتها المسيحية؛ أضيف سبب آخر لتبرير الحروب الاستعمارية.

بصرف النظر عن الصدام مع المسلمين، كان توسع المسلمين في أراضي الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية يمزج بين الجانب الروحي في إعلاء كلمة الله وتوسيع دار الإسلام من جهة، وزيادة موارد الدولة من الغنائم والجباية، ويظهر توصيف المستشرقين لحروب المسلمين على أنّها حروب استعمارية كان هدفها جمع الموارد والاغتناء، فيما يصفها آخرون أنّها كانت غزوا مغلّفا بالتبرير الديني. [1]

تمثل مرحلة الكشوف الجغرافية ذروة الحروب الاستعمارية القديمة، وأشدّها وحشية، وذلك عندما تمكّن عدد من الأوربيين المسلحين بشكل جيد من الاستيلاء على أراضي العالم الجديد، وبرزت في ذلك وحشية الاستعمار الإسباني، حيث وتأثرا بالسعي وراء ثروات هذه الأراضي؛ برز الهوس بالذهب والفضة، وتم تأطير التحركات الاستعمارية العنيفة على أنها مبررة تجاه شعوب همجية، ولقد عرفت تلك الحركة الاستعمارية الغازية بـ " الكونكيستدور " "LOS Conquistadors" بزعامة القائد الإسباني " هيرنان كورتيز " *Hernan cortez* الذي استطاع إبادة امبراطورية " الأزتيك " ، وذلك في إطار السعي للوصول إلى أماكن الذهب، وحرمان الهنود من ممتلكاتهم، حيث أجبرهم على دفع فدية ملكهم المختطف، وحين اعترضوا استطاع الانتصار عليهم نظرا لفارق القوة، وهكذا جرى الأمر أيضا مع حضارة المايا والإنكا[2]، التي تعرضت كلها لحروب إفناء واستيطان من الأوروبيين، وكانت بالنسبة للهنود الحمر حرب بقاء.

لقد أدّت الحروب الاستعمارية إلى إبراز أهمية التفوق في نوعية الأسلحة، وكفاءة الأساليب القتالية، والقدرة على ممارسة سياسة التفرقة ، فقد نجح الأوربيون في الاستيلاء على الساحل الشرقي للقارة الامريكية، وطرد الهنود إلى الغرب، وكان ذلك بداية لحروب متواصلة بين الهنود انفسهم، حيث كان تراجع القبائل غربا؛ انتهاكا لأراضي قبائل أخرى، وهو ما وفّر على المستعمر شّن كثير من الحروب، وتدهور موقف الهنود عندما بدأ الأوروبيون بإبادة قطعان الجاموس، والذي يعدّ الغذاء الأساسي للهنود[3]، فتحول هؤلاء تحت ضغط الحروب الاستعمارية إلى الانكفاء في محميات معزولة، أقرب ما

([1]) سبق الاشارة إلى هذا المجال عند الرد على أطروحات المستشرقين بشأن الفتوحات الاسلامية في مطلب سابق من هذا الفصل.

([2]) ميرفت عبد الناصر، **موسوعة حضارات العالم القديم**، ج01، (مصر: القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ط1، 2007)، ص134.

([3]) مونتغومري، **الحرب عبر التاريخ**، ج01، مرجع سابق، ص42.

تكون إلى المحميات الطبيعية للحيوانات المهددة بالانقراض، فيما استولى المستوطنون الأوروبيون على أراضيهم .

تميز القرن التاسع عشر ميلادي بفاعلية كبيرة للحروب الاستعمارية، وذلك حينما نجحت انجلترا وفرنسا في اخضاع بلدان كثيرة، عن طريق تطوير أساليب الغزو والانزال، مثلما حدث بشأن الإنزال البحري في الجزائر سنة 1830م، أو الإنزال في مصر سنة 1881م، الذي مكّن من فرض الحماية عليها.

لقد اعتمدت هذه الحروب على سرعة الحركة، والوحشية في القمع ، والقوة النارية التي أفشلت حروب المقاومة الشعبية، كما اعتمدت على تجنيد السكان الأصليين كجزء من الجيش المواجه للسكان، وذلك لمعرفة هؤلاء المجندين بالأرض وطبائع السكان، وهو ما يقلل تكلفة الحرب بالنسبة للمستعمر، وظهر ذلك خاصة بالجزائر من خلال فرق " الزواف " والذين تعود أصولهم خاصة إلى قبائل " الزواوة "، وجرى تجنيدهم من طرف الجنرال بارترند كلوزيل BERTAND Clauzel (1772-1842 م)[1]، وهو ما جعل الحروب الاستعمارية تتحول إلى تجنيب المستعمر المواجهة، وتحويلها إلى حرب أقرب ما تكون حروبا أهلية، يتجابه فيها السكان ضد بعضهم ، فيما تستقر الإدارة الاستعمارية، وتسيطر على البلاد.

إنّ السمة المميزة لحرب الاستعمار؛ هي أن القوى المقابلة تكون قليلة التنظيم، ويجري خداعها عن طريق مطالب التهدئة والمفاوضات، ومنع التنسيق بين المنتفضين لغاية القضاء عليهم تدريجا، ويمكن الاستدلال على ذلك بالمقاومة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي بالجزائر؛ في الفترة من 1830 م إلى 1902 م تاريخ احتلال الهقار؛ كآخر منطقة مستقلة في الجغرافيا الجزائرية.

يقدم نموذج الغزو النابليوني لمصر سنة 1798م، والإنجليزي للسودان 1899م إثباتا لارتكاز الحرب الاستعمارية على استثمار التفاوت التقني بين الطرفين المتحاربين، فقد تمت إبادة جيش المماليك بمصر في معركة الأهرامات، بواسطة الاسلحة النارية للفرنسيين، كما قضت رشاشات الجيش البريطاني على قوات الثورة المهدية في معركة أم درمان. [2]

يقدم هانز مورغانتو تحليلا للحرب الاستعمارية وطبيعتها، حيث يضع ما يسميه بالحرب المنتصرة *victorious war* ، ويقول في هذا الإطار أنّ الطرف الذي ينتصر على خصمه في الحرب،

---

(1)-علي محمد صلاح، **كفاح الشعب الجزائري:سيرة الأمير عبد القادر**، (لبنان، بيروت، دار المعرفة، ط1، 2017)، ص323.

(2) مادة **الحرب الاستعمارية، الموسوعة العسكرية**، ج1، مرجع سابق، ص515.

سيحاول على الأرجح أن يبدل علاقة القوة بينهما، بصورة تكفل له تفوقا دائما عليه، في حين أنّ الحرب الخاسرة *lost war*؛ وكما تفعل الحرب المنتصرة في خلق الدافع إلى الاستعمار، فقد يكون للحرب الخاسرة تأثيرا مشابها، فعلاقة الخضوع قد تدفع بالطرف الخاسر إلى التخلص من الوضع القائم، وتبادل المراكز في هذا التوزيع، بحيث يتيح له أن يستولي على مركز الطرف المنتصر، ويزيحه إلى مركز قوة اقل.[1]

لقد ظهرت ثلاث مدارس تستخدمها الشعوب الاستعمارية في حروبها، بعد احتلال البلد المستعمر أو جزء منه، وتتمثل في:

أ-المدرسة الإنجليزية:

وهي تهدف إلى تهدئة مناطق واسعة، وعد الاصطدام مع السكان، والتركيز على محاربة الثوار، وترسيخ فكرة تفوق الرجل الأبيض، والتي جرى التعبير عنها بمقولة عبء الرجل الأبيض *The White Man's Burden*، وجرى تدعيم هذه الاستراتيجية بالمراهنة على زعيم محلي في كل بلد تتم السيطرة عليه، حيث يتكفل هو بإخضاع البلاد وفق الطرق والأساليب المحلية، ويكون تابعا لإنجلترا[2]، وقد أخذت الولايات المتحدة أيضا بهذا المنظور، فقد فهم المستعمرون الأميركيون مصطلح "عبء الرجل الأبيض" باعتباره مبررا للإمبريالية كمبادرة تحضير نبيلة، مرتبطة فكريا بفلسفة القدر المتجلي الأميركية، وذلك حين استعمروا الفليبين سنة 1898م. [3]

ب-المدرسة الفرنسية:

ارتكزت هذه المدرسة على استخدام جزء من السكان المحليين كعملاء، على أن يحتفظ المستعمر بالإدارة، وتكون القوات النظامية الفرنسية أساس جيش الاحتلال، فيما تناط عمل القتال المباشر للقوات العميلة؛

ج-المدرسة الاسبانية والبرتغالية:

تمثلت استراتيجيتها في مقاتلة الثوار بقوات أوروبية قبل السعي لاكتساب حلفاء محليين[4]، وقد نجحت هذه الاستراتيجية في تثبيت هوية بديلة للشعوب التي جرى استعمارها، إضافة إلى استنزاف ثرواتها،

([1]) اسماعيل صبري مقلد، مرجع سابق، ص557.

([2]) مادة **الحرب الاستعمارية**، مرجع سابق، ص ص 515، 516.

([3])-Stuart Creighton Miller, **Benevolent Assimilation: The American Conquest of the Philippines, 1899-1903,** (USA : New Haven ,Yale University Press, 1982). P05.

([4])- مادة **الحرب الاستعمارية**، مرجع سابق، ص ص 515، 516.

والمحاربة بأفرادها، على غرار ما فعل الجنرال الاسباني فرانشيسكو فرانكو *Francisco Franco* حين خاض الحرب الأهلية الاسبانية بجيش قوامه الجنود المغاربة، وتمكن بواسطتهم من الوصول إلى السلطة.

إن العوائد الإيجابية بالنسبة للمستعمر من خلال الحروب الاستعمارية، دفعت بالكثير من الدول الأوروبية إلى التنافس بشأن السيطرة على البلدان المتبقية من العالم، وكذا إعادة التوزيع لما اعتبرته التقسيم غير العادل للمستعمرات، وكان من نتائج هذا المسعى اندلاع الحربين العالميتين الأولى والثانية، وإحداث مآس بالنسبة للشعوب الواقعة تحت الاستعمار، من خلال تجنيد جزء من شعوبها، لخوض حروب لا تخصها، ورغم تراجع فكرة الاستعمار التقليدي ، فإنها مازالت حاضرة في نماذج غزو أفغانستان والعراق واحتلال فلسطين، وكذا في الصيغة التنافسية حول سوريا والعراق بين الولايات المتحدة الأمريكية من جهة، وروسيا وإيران من جهة ثانية، وتركيا من جهة ثالثة، كما أن هناك أقاليما مازالت تطالب بإدراج نفسها تحت لائحة تصفية الاستعمار؛ على غرار الصحراء الغربية.

يمكن الإشارة إلى أن العامل الجوهري في الحرب الاستعمارية، والوقع النفسي الذي أحدثته في الشعوب، ظل مقترنا بعقدة تفوق الرجل البيض والجيوش الأوروبية التي لا تقهر، مما أطال مدة الاستعمار لقرون عديدة، ودمر هوية الشعوب التي جرى استعمارها.

المطلب الثاني: حروب السيطرة على الموارد

لطالما واجهت الإنسان إشكالية التوفيق بين احتياجاته المتنامية وما توافر لديه من موارد، ورافق هذه الثنائية رغبة متزايدة في تطوير طرق استخراج واستغلال وتحويل تلك الموارد، وقد ترتب عن حالة الهوس بالحصول على الموارد إضرار بالبيئة من جهة، وتنافس نابع من ضغط الاحتياجات الاقتصادية، وقدرا كبيرا من الأنانية من جهة أخرى، والتي حوّلت الوضع إلى صيغة تنافسية أقرب ما تكون إلى الطبيعة الصفرية، بما يحيل النقش إلى مفهوم الصراع من أجل البقاء.

تمثّل الموارد من الناحية الاقتصادية كل ما يمكن إعداده حتى يكون استغلاله اقتصاديا، ذا فائدة وعوائد ربحية، وتعريف المورد على هذا النحو؛ يتطلّب توافر شرطين أساسيين هما:

-توافر المعرفة الفنية والخبرة التكنولوجية التي تسمح باستخراجه واستخدامه،

-توافر طلب كاف على هذا المورد، حتى يكون له قيمة عند استخدامه. [1]

[1] - محمد فوزي أبو السعود، **الموارد واقتصاداتها**، (مصر: الاسكندرية الدار الجامعية، ط01، 2002)، ص12.

يتصل الاهتمام بالموارد بما يعرف بالمشكلة الاقتصادية، التي ترتبط بمفهوم الندرة النسبية في الموارد الاقتصادية، والتي لا تقتصر على دول فقيرة قد تحوز تلك الموارد دون قدرة على استغلالها، وإنّما تطال أيضا المجتمعات المتقدّمة، ويظل ثقل الزيادة السكانية ضاغطا في اتجاه إبراز مشكلة الكفاية والندرة ، وقد برزت مع أوائل السبعينات من القرن الماضي مشكلة الطاقة، التي أبانت محورية النفط في العلاقات الدولية، والقدرة على استعماله كسلاح سياسي فعّال، والتدخل في توجيه الأحداث والضغط على الدول لتغيير مواقفها من خلاله[1]، وظلّ استخدام هذا المورد كورقة ضغط؛ سببا في ظهور المخاوف بشأن نقص العرض البترولي، وانعكاس ذلك على سير الحياة اليومية للأفراد والدول.

يزداد خطر الصدام بسبب الموارد من خلال التصوّر المستقبلي حول نضوبها، حيث أنّ هذا الوضع يؤدّي إلى انتفاء أي نوع من النمو والازدهار، وتصبح الدولة عاجزة عن سد احتياجاتها، وإدارة قطاعاتها المختلفة، وذلك لغياب التمويل المتاح من عوائد تلك الموارد، أو لعدم توفرها للاستغلال المباشر، بما يجعل الدولة تتجه إلى البحث عن توفير ما يعوزها من أماكن أخرى، ولو اضطرها ذلك إلى الدخول في حروب ومواجهات مع دول مالكة لتلك الموارد؛ أو منافسة عليها.

تعود ظاهرة الصراع والتنافس حول الموارد إلى الجذور الأولى للتاريخ، فقد كانت الحضارة الأقوى دوما قادرة على إجادة استعمال الموارد بشكل أكثر فاعلية من حضارات أخرى، وتطمح في سبيل ذلك إلى الاستئثار بتلك الموارد كسبيل للتغلّب على أعدائها، فتلك الحضارات التي تمكّن أفرادها من صهر المعادن؛ استغلوا ذلك في تصنيع المعدّات والأسلحة للسيطرة على شعوب أضعف منها، كما أنّ الذين إكتشفوا بدائلا لقدرات الإنسان، على غرار اكتشاف قدرة الرياح في تحريك السفن، كان باستطاعتهم الانتقال واستعمار الكثير من المناطق. [2]

ضمن هذا الإطار؛ يشكّل التنافس بين الدول الأوروبية حول إفريقيا في القرن التاسع عشر (19م) وبداية القرن العشرين، إطارا أوسع من مجرّد احتلال الأرض ورغبة التوسّع الإمبراطوري، وإنّما يتعلق أيضا بالاستحواذ على أكبر قدر من الخامات، والموارد الاقتصادية في الأراضي المحتلة، خصوصا وأنّ تلك الدول كان باستطاعتها توفير عمالة محلية رخيصة، وأحيانا أخرى مجّانية، حيث كان يتمّ اللّجوء إلى نظام السخرة، بشكل مماثل لنظام استغلال العبيد والرّقيق، ولعلّ التقدّم الاقتصادي الذي

---

(1)- كولن ناجيل وآخرون، **نهاية عصر البترول: التدابير الضرورية لمواجهة المستقبل**، تر: عدنان عباس (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ط01، 2004م)، ص167.

(2)- سعود يوسف عياش، **تكنولوجيا الطاقة البديلة**، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ط1، 1981)، ص12

حقّقته فرنسا مثلا، والمنشآت الضخمة التي بنتها، لم تكن لتتحقق لولا وضع يدها على أقاليم واسعة وموارد ضخمة، لم تتح لألمانيا مثلا التي دخلت متأخرة لميدان السيطرة الاستعمارية، ورأت أنّ من حقّها إعادة التقسيم العادل –كما اعتبرته في خطابها التوسعي– للموارد .

تؤطر نظريّة روبرت مالتوس*Robert Malthus* (1766–1834م) وضع الصراع على الموارد ، حيث يشكل عدم التناسب بين حجم الموارد والطلب عليها سببا في الحروب[1]، ويعدّ اتساع الفجوة بين الدول الصناعية والدول النامية سببا في تكريس تقسيم دولي للعمل، يجعل الدول المتخلّفة ضحيّة لعجزها عن استغلال مواردها، فتضطر إلى سدّ احتياجاتها عن طريق عوائد تصدير منتجاتها الخام، سواء المعدنية أو الطاقوية أو الزراعية، وحين لا تتناسب سياساتها مع الدول المستوردة لتلك الخامات، قد ينجر عن الوضع صدام عسكري بمبرّرات أخرى، مثلما حدث بالنسبة لإسقاط نظم دول في أمريكا اللاتينية، على غرار ما حدث للنظام الشيلي سنة 1973م ، حين قامت شركة النحاس الأمريكية بدعم انقلاب عسكري ضدّ النظام الشرعي، بعد قرار الرّئيس الشيلي تأميم مناجم النّحاس، ومحاولته تقليص دور الشركات متعدّدة الجنسيّات التي وصفها بالدولة داخل الدولة.[2]

لقد أصبح بمقدور الدول المتقدّمة أن تباشر تحركها العسكري تحت واجهة إنسانية، أو ضمن مبرر الشرعيّة الدولية لتبرير سعيها في الوصول إلى الموارد الاقتصادية، خاصّة الطاقويّة منها، وتبرز في هذه الحالة أمثلة عديدة؛ على غرار نموذج حرب الخليج الثانية سنة 1991م، واحتلال العراق سنة 2003م، والتدخّل الأطلسي في ليبيا سنة 2011م، والتي جرى توصيفها بأنّها حروب النّفط ، فعلى امتداد الخمسة عقود؛ كان النّفط سببا في تحرّك الولايات المتّحدة الأمريكيّة في الشرق الأوسط ، ابتداء من إيران 1953م، و العراق بعد سقوط النظام الملكي سنة 1958م، مرورا بإيران مجدّدا سنة 1979م مع الثورة الإسلامية هناك، والتي جعلت الولايات المتحدة تقف إلى جانب العراق، وتدعم إيران سرّا لإطالة الحرب، واستغلال سعي البلدين لتحصيل موارد مالية تغطي نشاطهما الحربي، في الدفع بهما نحو تصدير أكبر قدر ممكن من إنتاجهما النفطي[3]، ويشير برنامج الأمم المتحدة للبيئة سنة 2010م؛ أنّه في السنوات الستّين الأخيرة (1950–2010م) كانت نسبة 40 % على الأقل من مجموع الحروب التي وقعت بين الدول لها صلة بالموارد الطبيعية، وأنّ هذه الصلة تضاعف من خطر

---

(1)- ندى ذبيان، **الدراسات السكانية: مناهج – فلسفات – متناقضات**، (سوريا: دمشق، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، 2010)، ص ص31،32.

(2) – أحمد نوري النعيمي، **السياسة الخارجية**، (الأردن: عمّان، دار زهران للنشر والتوزيع، ط01، 2011)، ص346.

(3) - كمال ديب، **موجز تاريخ العراق**، (لبنان: بيروت، دار الفارابي، ط01، 2013)، ص ص 188 – 190.

عودة نشوب الحروب، ومنذ عام 1990م كان استغلال الموارد الطبيعية سواء كانت موارد عالية القيمة مثل الماس والذهب، والأخشاب، والنّفط والمعادن، أو موارد شحيحة مثل الأراضي الخصبة والمياه، سببا في تأجيج 18 نزاعا عنيفا على الأقل. [1]

إنّ فكرة الحرب من أجل السيطرة على الموارد الاقتصادية؛ زادت حدّتها مع تماثل قوى الدول المتنافسة أو تقاربها، فبالنسبة لبلد مثل السودان، يتّجه التنافس أكثر إلى أن يتجسّد ما بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين، ففي الوقت الذي يقوم الأسلوب الصيني على الاتفاقات الاقتصادية التي لا تتعارض كثيرا مع سيادة الدول، فإنّ الأسلوب الأمريكي يقوم على استثمار حالة الحرب الأهلية، للاستفادة من وضع يتيح السيطرة على موارد الدولة المستهدفة. [2]

برّرت الولايات المتحدة الأمريكية في مثال اخر تصنيفها منطقة الخليج باعتبارها منطقة حيوية، على أساس توفّرها على احتياطات ضخمة من النفط، ولهذا لمّا قامت الثّورة الإيرانية سنة 1979م، حذّرت الولايات المتحدة عبر مبدأ كارتر *Carter Doctrine* من أنّها مستعدّة للتّدخّل، إزاء أي تهديد أمام حريّة الوصول إلى نفط الخليج، وتمّ لذلك الغرض تأسيس ما عرف بالقوّة المشتركة للانتشار السّريع *Rapid Deployment Joint Task Force*، وسار خلفه رونالد ريغانRonald Reagan (1911-2004م) على نفس المنوال، في ردع كل من يهدّد تصدير النفط من الخليج، وصرّح في أكتوبر 1981م : **قطعا لن نقف موقف المتفرّج، ونشهد الاستيلاء على السعوديّة من قبل أي أحد، يريد أن يقطع النفط.** [3]

في جانب اخر أجّجت المنافسة على الوصول إلى المناطق الغنيّة بالموارد، والتمويل المؤمّن من خلال السيطرة عليها، النّزاع بين الحكومات وداخل المجتمعات، حيث أنّ عددا من الحركات المتمرّدة، بدأت تلجأ إلى استغلال الموارد كتمويل بديل بعد سحب المساعدات الخارجية لها بنهاية الحرب الباردة، على غرار ما حدث في أنغولا، والبحيرات الكبرى والقرن الإفريقي. [4]

---

(1)- خالد العنانزة، **اليوم الدولي لمنع استخدام البيئة في الحروب والنزاعات المسلحة**، جريدة الرأي، الكويت، بتاريخ 2016/11/09، متوفرة على الرابط:https://goo.gl/4huUok

(2)- ياسر محجوب الحسني، **الصين وأمريكا: صراع الكبار في ملاعب الخرطوم وجوبا**، منشور بتاريخ 2012/05/17، اطلع عليه بتاريخ 2018/05/24، متوفر على الرابط الالكتروني:
https://goo.gl/X7OUOI

(3)- مايكل كلير، **دم ونفط: أمريكا واستراتيجيات الطاقة على اين؟** تر: أحمد رمو (لبنان: بيروت، دار الساقي، ط01، 2011)، ص ص 94 – 98.

(4) - ألان ستيفنز، مرجع سابق، ص329.

إنّ كثيرا من مآسي الدول الإفريقية؛ تنبع من تحوّل نعمة الموارد المتاحة لها إلى نقمة عليها، فمن النيجر التي تحتوي مورد اليورانيوم، مرورا بنيجيريا والثروة النّفطيّة الضخمة بها، وكذا ليبيا باحتياطات ضخمة من الغاز والبترول، وصولا إلى منطقة البحيرات الكبرى؛ حيث تجارة الماس والذهب والعاج ، وكلّها موارد حوّلت المنطقة إلى ميدان حرب، مقرونا بما يسمّى أسواق العنف، التي ينجم عنها تهجير الالاف من السكّان، وارتكاب جرائم إبادة لمناطق بأكملها، كما حدث في سيراليون وليبيريا، وكوت ديفوار، حيث يجري تجنيد الأطفال؛ والحصول على تمويلات خارجية لهدف زعزعة الاستقرار.

هناك مورد اخر صار مجالا محتملا للحروب المستقبلية، وهو مورد المياه التي تغطّي الشرب والرّي والتصنيع وتوليد الطّاقة، وتعدّ حماية الموارد المائية المتاحة لأي دولة من التّهديدات الخارجية، وكذا ضمان استمرارها، وحريّة استخدامها وفق المتطلّبات والأولويّات، بمثابة الأسبقية في سلّم اهتمامات الدولة الأمنية، حيث يثار الموضوع الان بشدّة حول نهر النّيل، وفي منطقة الشرق الأوسط أين تزداد حدّة العطش والفقر للماء، وفي هذا الإطار يرى إسماعيل سراج الدّين نائب رئيس البنك العالمي الأسبق أنّ عددا من حروب القرن العشرين كانت من أجل النفط، ولكنّ حروب القرن الواحد والعشرين ستكون حرب الماء . [1]

إنّ ظاهرة لعنة الموارد انعكست سلبا على الإقلاع الاقتصادي للدول، من خلال التّعويل على إيرادات تلك الموارد حصرا، وبالتّالي تنظر الدول المهيمنة على تسويق وتسعير الموارد، أنّ النّصر في هذه الحرب يتعلّق بالوصول الامن والمستمر للموارد؛ والاستغلال المتدنّي التكلفة ، ضمن معادلة الأمن الطاقوي خاصّة، حيث يجري تكوين احتياطات استراتيجيّة تمكّن من إدارة العمليّات الاقتصادية والعسكريّة، إلى غاية الوصول لمنابع الطّاقة، كما تبرز استراتيجية التشتيت لصف المنتجين، لمنع حصول موقف موحّد، أو تحالف اقتصادي، وكلّما تعمّق هذا التّشتيت ؛ نجحت حرب السيطرة على الموارد.

---

(1)- دلال بحري، **أثر الندرة المائية على العلاقات الدولية: دراسة منطقة الشرق الأوسط**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم السياسية، تخصص علاقات دولية، الجزائر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007، ص28.

المبحث الرابع: المعارك الحاسمة والانتصار في الحروب: نماذج تاريخية

تتشكل الحروب في الغالب من تتابع حالات الاشتباك والمواجهة ضمن معارك تنتهي إلى انتصار طرف آخر، غير أنّه وضمن تلك المعارك هناك مواجهات تتميز بكونها أكثر حسما، وأشد تغييرا لموازين القوى ، وعرفت عبر التاريخ بمفهوم المعارك الحاسمة *Decisive Battles* ، وذلك من خلال كونها تؤدي إلى هزيمة ساحقة لاحد الاطراف مع عدم إمكانية تعويض ذلك، كما تسمح للطرف المنتصر بإنهاء المقاومة تدريجيا والسيطرة على الأرض ، وفرض إرادته على المنهزم ، ويمكن في هذا الإطار استحضار عدد من النماذج التاريخية المتعلقة بسير المعارك في بلاد الإغريق القديمة وفي التوسع الروماني وضمن الفتوحات الإسلامية، ومن ذلك مثلا معركة اليرموك التي وقعت بين المسلمين والرّوم سنة 636م، وساهم الانتصار الإسلامي فيها في إنهاء الوجود البيزنطي ،واشتهر في الدلالة على ذلك قول "هرقل"*Heraclius* الإمبراطور البيزنطي في وداع سورية :

وداعا يا سورية الجميلة، وداعا لا لقاء بعده [1]؛

كما أنّ المسلمين تمكنوا بعد معركة القادسية من قهر الفرس، لتصبح المعارك اللاّحقة مجرّد تصفية لوجود الإمبراطورية الفارسية، كما خاض المسلمون أيضا معركة أخرى حاسمة، نجم عنها فتح الأندلس، وهي معركة "وادي لكا "التي كانت بين جيش المسلمين بقيادة طارق بن زياد ، وجيش القوط بقيادة لوذريق *RODERIC* سنة 711م، وسيطر المسلمون بعدها على شبه جزيرة إيبريا، وأطلقوا عليها اسم الأندلس، ولقد توقف تقدم المسلمون في أوربا بعد انهزامهم في معركة بواتييه Poitiers سنة 732م، وأمكن للأوروبيين حماية العمق الأوربي لقرون لاحقة، كما مكّنت معركة " الزلاّقة "التي انتصر فيها المسلمين في الأندلس سنة 1086م من إبقاء الوجود الإسلامي لأربعة قرون لاحقة.

يشار إلى معركة حطّين التي قادها صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين، باعتبارها المعركة الفاصلة في استعادة الأراضي المحتلة في الشام وفلسطين والحفاظ على ذلك لمدة قرابة ثمانية (08) قرون ونصف، وتماثلها في الأهمية معركة عين جالوت سنة 1260م التي مكّنت المسلمين من إيقاف زحف المغول، وحماية العالم من الدّمار الذي حمله هؤلاء.

في العصر الحديث ظهرت أنماط جديدة من الحرب متأثرة بتطور أدوات القتال، وساهمت معاركها الحاسمة في إنهاء وجود إمبراطوريات ونشوء أخرى، أو في تثبيت ميزان قوة جديدة، ومن ذلك معركة

(1)- فهد خليل، **الحروب والتسويات بين الماضي والحاضر**، (الأردن: عمّان، دار يافا العلمية للنشر، ط01، 2010)، ص78.

"واترلو " سنة 1815 م التي أنهت الحروب النابليونية، وكذلك معركة ستالينغراد والعلمين سنتي 1942-1943م، وهما المعركتان اللّتان شكلتا الهزيمة النهائية لقوات المحور، وبعد الحرب العالمية الثانية تشكّلت المعارك الحاسمة استجابة لتغيّر نمط المواجهة الذي صار متصلا بالحروب التحريرية، وفي مقدمة المعارك الحاسمة في هذا الإطار معركة" ديان بيان فو " سنة 1954م، التي خاضها الفيتناميون ضد الفرنسيين، وأيضا معركة الضربة الجوّية سنة 1967م التي قامت بها اسرائيل ضد مصر وعدد من الدول العربية .

المطلب الأول: هزيمة نابليون من موسكو إلى واترلو

بعد سلسلة من الانتصارات التي حققها نابليون بونابارت على مدار اثنى عشر (12) سنة، تعرض لعدد من الهزائم أدّت في النهاية إلى القضاء على إمبراطوريته وتراجع شديد لمكانة فرنسا، وتثبيت لميزان القوى الذي وضعته بريطانيا، وإنّه ولاستعراض مجريات هذه المعارك؛ يجب العودة إلى الثورة الفرنسية التي اندلعت سنة 1789م، وكانت بمثابة تغيير جذري للمفاهيم والخارطة السياسية في أوربا، حيث تمكن نابليون بونابارت من غزو مجموعة من الدول الأوربية، ووصل إلى مصر وفلسطين ، وأدّى توسع الإمبراطورية الفرنسية إلى صدام مع بريطانيا، حين حاولت فرنسا عزلها والهيمنة على أوربا ، وفي هذا الإطار أعلن نابليون سنة 1811م قائلا :

" **سأكون سيّد هذا العالم خلال خمس سنوات، ولن يبقى حينها إلاّ روسيا، التي سأقضي عليها**".[1]

لقد سعى نابليون إلى أن لا يتوقف عن الغزو، لأنّ ذلك كان السبيل لتحقيق استقرار دائم في إمبراطوريته، وذلك من خلال إشاعة الروح العسكرية في المجتمع، وتصوير ذلك ضمن الأهداف القومية العليا لفرنسا، وقد أدّى غزوه لروسيا سنة 1812 م إلى خسارة جسيمة في مقدرات الدولة الفرنسية، حيث أنّه جرى تجهيز جيش من أربع مئة وخمسين الف (450 ألف) جندي لغزو الأراضي الروسية، غير أنّ الروس تجنبوا الاشتباك المباشر، واتبعوا سياسة الأرض المحروقة ، وعلى مشارف موسكو نشبت معركة " بورودينو" Borodino، والتي بالرغم من انتصار الفرنسيين فيها، إلاّ أنّها كانت مكلفة لهم جدا، وعلّق عليها نابليون بقوله:

"**إنّ أسوأ معركة خضتها في حياتي كانت تلك التي وقعت قرب موسكو، لقد أظهر الفرنسيون انفسهم بمظهر مستحقّي النصر، لكن الروس أظهروا أنفسهم بغير المقهورين.**" [2]

([1])- جوناثان يالاي، مرجع سابق، ص ص166-175.

([2])- نصري ذياب، مرجع سابق، ص 85.

رغم احتلال نابليون لموسكو، إلاّ أنّ الروس اتبعوا استراتيجية الدفاع في العمق ممّا اضطره للانسحاب بخسارة قدّرت بأكثر من ثلاث مئة وسبعين ألف (370 ألف) جندي ومئتي ألف (200 ألف) من الخيول، والتخلي عن مقدار ضخم من الأسلحة [1]، وحيث أنّه يمكن تعويض الخيول والسلاح، إلاّ انّ القوة البشرية من الصعب تعويضها، وتعد هذه الهزيمة إطارا مفسرا لما سيحدث فيها بعد في " واترلو "، ولقد تعرض الاديب الروسي" ليون تولستوي" *LEON TOLSTOI* (1828-1910م) إلى مسار التراجع والانهزام لنابليون؛ بقوله:

" **إنّ تراجع الإمبراطور الفرنسي كان نتيجة لسلسلة لا نهائية -تقريبا-لقرارات ليست صادرة عن الجنرالات، ولكن من قبل الجنود في مراكز متواضعة... إنّ نتيجة الحرب تبدو في كثير من الاحيان مصيرية أو مفرّ منها، ودور القادة يتضاءل.** [2]

أدّت هزيمة نابليون في روسيا إلى تغيير حاسم في الخريطة العسكرية بأوروبا، حيث صارت القوات المعادية لفرنسا تعادل ثلاثة أضعاف الجيش الفرنسي، وعلى الحدود الجنوبية والشرقية لفرنسا، وساهم الوعي المعادي لفرنسا -ضمن ألمانيا خاصّة-في إلحاق الهزيمة لنابليون في معركة "لايبزغ "Leipzig والتي توصف بمعركة الأمم ما بين 16 و19 أكتوبر 1813، وتمت فيها هزيمة فرنسا من طرف القوات النمساوية والبروسيّة والسويديّة[3]، والاضرار بالسّمعة العسكرية لنابليون، حيث اضطرّ للفرار إلى داخل فرنسا، وفي سنة 1814م كان خصوم نابليون قد دخلوا فرنسا، وسيطروا على العاصمة باريس، واضطر نابليون إلى أن يتنازل عن العرش ، وكان في الإعلان عن ذلك التصريح التّالي :

إنّ القوى الحليفة بعد أن أعلنت أن الإمبراطور نابليون كان العائق الوحيد في وجه إحلال السلام في أوربا، فإنّه وفاء ليمينه أنّه قد تنازل عن منصبه ومنصب أولياء عهده من عرش فرنسا وعرش إيطاليا. [4]

بتوقيعه لهذا التنازل خسر نابليون منصبه، وتم نفيه إلى جزيرة " إلبا " *ELBA*، فيما تراجعت حدود فرنسا إلى ما كانت عليه قبل نوفمبر 1793م، وهو ما ولّد سخطا شعبيا، وأدّى بأنصار نابليون إلى مساعدته في العودة في 26 فيفري 1815م، ورغم إعلانه عدم الرغبة في المواجهة العسكرية، إلاّ أنّ

([1])- جوناثان يالاي، مرجع سابق، ص ص166-175.

([2])- جون سيفتون، **العنف في كل مكان حولنا**، تر : داود سليمان القرنة وتيسير نظمي، (السعودية: الرياض، مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع، ط01، 2017)، ص145.

([3])-محمد صادق إسماعيل، **التجربة الألمانية: دراسة في عوامل النجاح السياسي والاقتصادي**، (مصر: القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ط01، 2017)، ص31.

([4])- نصري ذياب، مرجع ، سابق، ص78.

إصرار الدول الأوربية على إبعاده جعل المواجهة حتمية، فقرّر أن يبادر هو بالقتال خارج الأراضي الفرنسية، حيث كانت الجيوش الإنجليزية بقيادة الدّوق ولينغتون *DUKE of wellington* (1769-1852م) والجيوش البروسية بقيادة فون بلوخر VON Blucher (1742-1819م) محتشدة في بلجيكا. [1]

جرت أحداث المواجهة بين هذه الجيوش وجيش نابليون في منطقة واترلو Waterloo، وهي مدينة تبعد قرابة خمسة عشر كيلومتر (15كم) عن العاصمة بروكسل، وكان ميزان القوة لصالح خصوم نابليون منذ البداية، حيث كانت القوات البريطانية في حدود ثمانية وستين ألف (68000) جندي والقوات البروسية في حدود خمسة وأربعين ألف (45000) جندي، في حين أنّ القوات الفرنسية في حدود اثنين وسبعين ألف (72000) جندي، وذلك نظرا لأنّ نابليون ترك الجزء الأكبر من القوات في فرنسا تحسبا لأي طارئ، فيما ترك ستة وخمسين ألف (56000) جندي في المؤخرة كاحتياط، ولقد حافظ نابليون على أسلوب المناورة بدل الاحتكاك المباشر، وكانت خطته قائمة على أنّ الانتصار سيكون من خلال التحرك السريع لتدمير الخصم، ويعود هذا التصور إلى بداية مسيرته العسكرية، حيث قال سنة 1796م :

" **لا أرى سوى أمرا واحدا، وأعني تحديدا جنود العدو الرئيسي، ذلك أنّي سأحاول أن أسحقهم، أمّا الأمور الثانوية الأخرى؛ فأنا واثق من أنّها ستأتي من تلقاء نفسها**". [2]

كانت استراتيجية نابوليون في معركة "واترلو" أن يهاجم الجيشين البريطاني والبروسي في آن واحد، على أمل أن يفصل بينهما، ثم يدمّر كل جيش على حدى، دون أن يترك لهما مجالا للتواصل فيما بينهما، وفي 16 جوان 1815م تمكّن نابليون من هزيمة الجيش البروسي، ودفعه إلى التراجع مستعملا كل قواته، ثم كلّف أحد قادته بمطاردة الجيش المتراجع، لكن هذا القائد تباطأ في تنفيذ المهمة، ممّا أكسب البريطانيين وقتا كافيا لتنظيم قواتهم، وتعزيز مواقعهم، وتمكنوا من رد الهجمات الفرنسية المتكررة. [3]

([1])- فراس البيطار، **الموسوعة السياسية والعسكرية**، ج01، مرجع سابق، ص307.

([2])- باسيل ليدل هارت، **الاستراتيجية وتاريخها في العالم**، تر: الهيثم الأيوبي، (لبنان: بيروت، دار الطليعة، ط04، 2000)، ص117.

([3])-عبد العزيز سليمان، **التاريخ المعاصر: أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية**، (لبنان: بيروت، دار النهضة العربية، ط01، 2014)، ص136.

حين علم الجيش البريطاني بتراجع الجيش البروسي، تخوف من تطويق الفرنسيين له، ولتجنب ذلك أرسل قائده على الجنرال بلوخر يطلب منه انضمام القوات البروسية مجددا إلى جيشه، على أن يغيّر ميدان المعركة سرا، وكان ذلك في 17 جوان 1815م، ولقد ساهمت الظروف الجوّية في إكساب خصوم نابليون وقتا مهما، حيث تأخر هجوم نابليون بسبب الأمطار والأوحال، ما مكّن خصومه من تنصيب مدافعهم على أرض المعركة. [1]

في صباح يوم 18 جوان 1815م بدأت المعركة الحاسمة في حدود منتصف النّهار، حيث قام الفرنسيون بهجوم على البريطانيين الذين تمسكوا بمواقعهم، رافضين فكرة التراجع إلى غاية وصول القوات البروسية، ونظرا لأن القوات التي كلّفها نابليون بالهجوم على قوات بلوخر البروسية ممثلة بقيادة الجنرال الفرنسي ميشال ني Michel Ney لم تنجح في مهامها، فقد أدّى ذلك بنابليون إلى أن يغامر بالهجوم، مستعملا كامل قواته في سبيل حسم المعركة، إلاّ أنّ ذلك سهّل اختراق الجيش البروسي للنجاح الأيمن للجيش الفرنسي، فأصبحت قوات نابليون مطوقة ، ودبّت خلالها الفوضى. [2]

نتيجة لهذا الاختراق تزايدت خسائر الفرنسيين، واضطر نابليون إلى الفرار، وأصبح في وضع المطارد، وانتهى به الأمر إلى أن يتنازل عن العرش في فرنسا في 23 جوان 1815م، حيث جري نفيه إلى جزيرة القدسية هيلانا Sainte-Hélène حيث قضى أيامه الأخيرة هناك. [3]

إنّ هزيمة واترلو تعود بالأساس إلى الضغوط التي كانت واقعة على نابليون، في كونه صار في وضع دفاعي، ومحروما من الحلفاء، يضاف إلى ذلك عدم كفاءة عدد من القادة العسكريين في جيشه، ومن بينهم الجنرال " ميشال ني " والجنرال جين دوديو سولت " Jean De-dieu Soult " (1769-1851م)، والذي قال فيه نابليون فيما بعد:

لم يساعدني سولت في معركة واترلو كما ينبغي، فمعاونوه بالرغم من كلّ أوامري لم يكونوا على مستوى التنظيم أثناء المعركة. [4]

ساهمت هزيمة واترلو في ترجيح الهيمنة البريطانية، وفي تثبيت مقررات مؤتمر فيينا سنة 1815م ، كما أنّها كانت مرحلة حاسمة في التنافس بين بريطانيا وفرنسا، وأيضا جزءا من توالي الانتصارات

(1)- نجاة سليم محاسيس، مرجع سابق، ص531.
(2)- ليدل هارت، مرجع سابق، ص136.
(3)- فؤاد صلاح السيّد، **أشهر الأحداث العالمية :01م-1989م**، (لبنان: بيروت، مكتبة حسن العصرية، ط01، 2015)، ص486.
(4)- مصطفى أحمد، **الجيل الرابع للحروب: المؤامرة العالمية**، (مصر: القاهرة، شركة الشريف ماس للنشر والتوزيع، ط01، 2017)، ص154.

والهزائم في العلاقات الفرنسية الألمانية، وقد أبانت معركة واترلو عن صعوبة النجاح في الحرب على جبهتين في نفس الوقت، وأيضا في أهمية الصحة الجسدية والاستقرار النفسي للقائد في أرض المعركة، وفي مدى الآثار السلبية في الاعتماد على جيش جديد، جرت تعبئته بسرعة لغرض دفاعي بعد فقدان الجيش الفرنسي المحترف، والذي توفي وقتل أغلبه في الحملة على روسيا سنة 1812م، كما أن وجود معارضة داخلية وسلطة سياسية بديلة تحظى بالاعتراف الخارجي، مقابل سلطة نابليون، كان لها أبلغ الأثر في ترسيخ الهزيمة ضمن الجيش الفرنسي، وفي جانب آخر أبانت هذه المعركة على ضرورة الاستغلال الأمثل للقوات وتحريكها في الوقت المناسب، نظرا لأن الحرب هي توظيف ذكي لكل القدرات مع السرعة في التحرك والمناورة وتحديد الأهداف بدقة .

إنّ عدم قراءة التاريخ بعمق يؤدي إلى تكرار الأخطاء ذاتها، دون الاستفادة من التجارب السابقة، حيث أنّ معاداة الجميع، والحرب على أكثر من جبهة، وإهمال الأثر السلبي للطقس والأحوال الجوّية، هي أمور وقع هتلر فيها بعد أكثر من قرن من الزمن، وانتهى إلى هزيمة عسكرية ساحقة.

المطلب الثاني: معركة ستالينغراد والانكسار العسكري النازي

شهدت بداية الحرب العالمية الثانية تقدما مذهلا للقوات النازية في الجبهة الغربية وفي البلقان، حيث تمكنت هذه القوات من اكتساح أراضي النرويج وبولندا وفرنسا وبلجيكا ولكسمبورغ وهولندا، وحاصرت بريطانيا بشكل واسع، ونجحت في النصف الأول لسنة 1941م، من اكتساح اليونان وألبانيا ويوغسلافيا ثم المجر ورومانيا اللذين صارا حليفين لألمانيا النازية، وعكس التوقعات التي كانت تصب في اتجاه الاستمرار نحو الجنوب والدفع بتركيا للانضمام إلى المحور، أعلن هتلر في 22 جوان 1941 الحرب على الاتحاد السوفياتي الذي كان تربطه به معاهدة عدم اعتداء منذ 28 أوت 1939م، وأطلق على هذه الحرب عملية بربروسا، والتي كانت أضخم تحرك عسكري تجاه الشرق، وجهت له ألمانيا جل مقدراتها العسكرية، وانتاجها الحربي.

استطاع الألمان في بداية الحرب أن يتقدموا بسرعة في الأراضي السوفياتية، بشكل مشابه لما حدث سنة 1812م، حينما تقدم نابليون بونابارت قائد الجيش الفرنسي آنذاك بشكل سريع في أرضي روسيا القيصرية ووصل الى موسكو ، ولقد تمكّن الألمان في تقدمهم السريع من تدمير جزء من الجيش الأحمر، والاستيلاء على مساحات شاسعة وأسر آلاف الجنود السوفيات، ووصلوا إلى حدود موسكو،

وحاصروا مدينة لينينغراد، ثم بدأت وتيرة التقدم الألماني بالتناقص في أواخر عام 1941 ضمن جبهة عرضها أكثر من 2000كم ممتدة من ضواحي لينين غراد شمالا حتى مدينة روستوف على بحر آزوف وشبه جزيرة القرم جنوبا.[1]

كان هدف الحملة العسكرية في البداية هو احتلال موسكو وإجبار ستالين على الاستسلام، وكان من المتوقع أن يتم المضي في هذا الهدف حتى النهاية، وذلك نظرا للعداء الشديد الذي كانت تكنه النازية للشيوعية، ولطالما هتلر صرح بأنّ رغبته في خوض الحرب هي إفناء الشيوعيين، غير أنه وفي سلسلة قرارات تعكس الانحياز عن هذا الهدف، تحولت القوات النازية إلى الجنوب الشرقي للاتحاد السوفياتي، حيث حقول القمح في أوكرانيا، وآبار النفط في القوقاز وبحر قزوين، وبذلك تبدل الهدف الرئيسي للحملة العسكرية، ليصبح إصرارا على السيطرة السريعة على مدينة ستالين غراد باعتبارها ذات رمزية ودلالة بالنسبة للسوفيات كونها تحمل اسم زعيمهم، كما أن السيطرة عليها تحرم الاتحاد السوفياتي من القاعدة الصناعية الأكبر، وأهم ميناء نهري في البلاد، وستشل السيطرة عليها محاور سكك الحديد في الاتحاد السوفياتي، فضلا عن كونها ستصبح بوابة لغزو القوقاز وبحر قزوين حيث الغاز والبترول، مصدر الطاقة المهم الذي تحتاجه ألمانيا.[2]

كان التحول الذي حدث في خطة غزو الاتحاد السوفياتي، وتغيير الأهداف السابقة من طرف هتلر، دون التقيد بالخطة المحددة لحركة الجيوش التي صاغها العسكريون، حالة اضرار شديدة بالقوة الضاربة للجيش الألماني، وإساءة لتطبيقات الحرب الخاطفة، وكانت بمثابة أول اهتزاز في قدرة الجيش النازي على متابعة المعارك بشكل جيد وكفاءة عالية، وبالسرعة المطلوبة، ورغم أنّ القادة الميدانيين الألمان كانوا يفضلون عدم متابعة التقدم في فصل الشتاء، والتراجع إلى المناطق الأقل برودة والأفضل تأمينا، إلا أنّ هتلر اعترض على طروحاتهم، مشددا على عدم التراجع تحت أي ظرف، لاعتقاده أنّ أي شكل من الانسحاب سيؤثر على الروح المعنوية للجيش الألماني.

أثرت الظروف الجوية القاسية لشتاء 1941م على سرعة التحرك الألماني، الذي انهمك قادته بتحصين مواقعهم والاستعداد لخوض الحرب مجددا عند تحسن الطقس، أين تم وضع خطة لاستئناف الهجوم للوصول إلى ستالينغراد، وكان من المقرر أن لا يتم اقتحام المدينة، وإنما يجري وضعها تحت القصف

---

(1) - مادة **ستالين غراد، الموسوعة العسكرية**، ج04، مرجع سابق، ص09 .

(2)- قناة الجزيرة الفضائية، **ستالينغراد معركة حاسمة بددت أحلام الرايخ الألماني**، مادة فلمية قدمت بتاريخ:2016/09/27 متوفرة على الرابط:

goo.gl/t8pSiJ

المدفعي والجوي، تجنبا لحرب المدن المكلفة، وكان من شأن ذلك أن يوجّه القوات الألمانية في جزئها الأكبر لاحتلال مدينة لينينغراد، وإقامة الاتصال بالقوات الفنلندية الحليفة، وفي مرحلة لاحقة تندفع القوات الألمانية نحو نهر الفولغا، وبمحاذاته حتى تلتقي بالقوات المتجهة من لينين غراد جنوبا، ويتم بذلك تطويق معظم القوات السوفياتية، ويكون انهيار النظام الشيوعي محتما.[1]

إن تطبيق هذه الخطة كان من شأنه تحييد المدينة عسكريا، وتوفير جهد كبير للجيش النازي، لأنه كان سيتحول إلى التطويق بدلا من الاشتباك وحرب المدن، وأن تصير الحرب حرب حصار، بدلا من المواجهة المباشرة، وكان لدى الألمان القوة الجوية اللازمة لتغطية الجانب اللوجستيكي والاستمرار في تكتيك الحرب الخاطفة *Blitezkrieg*، وقد وافق هتلر في البداية على مقترحات رئيس الأركان الألماني الذي قدم خطة أسماها الخطة الزرقاء لتطويق الجيوش السوفياتية، إلا أنه تراجع في 05 أفريل 1942، وقدم أمرا ملخصه حشد كافة القوى المتوافرة بهدف تدمير القوات السوفياتية في جبهة ستالينغراد، والتعويل على القصف الجوي لإخضاعها، وقد أدى ذلك إلى إفقاد الألمان وقتا ثمينا أثناء اعتدال الظروف الجوية لمباشرة هجوم حاسم على المدينة، مكّن القيادة السوفياتية من تشكيل ما يسمىّ جبهة ستالينغراد التي كانت بإشراف ستالين عن طريق مبعوثه خروتشوف، حيث أصدر ستالين في 28 جويلية 1942 الأمر رقم 227 إلى المدافعين في ستالين غراد أن لا خطوة واحدة إلى الوراء، وأن لا إخلاء المدينيين، معتبرا أن الدفاع عنها مسألة شرف للعسكرية السوفياتية، وقال في الأمر:

... يجب على الفور قتل مثيري الفزع والجبناء، ولا يجب القيام بخطوة واحدة للخلف دون موافقة القيادة العسكرية العليا، والقادة الذين يتخلون عن أي موقع دون أوامر من القيادة العليا، سوف يعتبرون خونة لأرض الأجداد. [2]

ساهمت هذه الأوامر على وحشيتها في تشكيل حرب استنزاف للجيش الألماني، وإدخاله في المجال الدامي لحرب المدن، ورغم أن الجيش الألماني الرابع والسادس تمكنا من بلوغ أطراف المدينة في 17جويلية 1942، إلا أنّ وجود نهرين على هذه الأطراف هما الفولغا والدون، صعّبا من المهام القتالية، ووجّها الاهتمام نحو جعل هذين النهرين كنقطة ارتكاز في نشر القوات عليهما، خصوصا مع تحصّن فرقتين من الجيش الأحمر في المجمع الصناعي، المطل على فولغا شرقي ستالين غراد، وكان

(1)-مادة ستالين غراد، **الموسوعة العسكرية**، مرجع سابق، ص 09.

(2)-سفيتلان أليكسفيتش، **ليس للحرب وجه انثوي**، تر: نزار عيون السود، (سوريا: دمشق، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، ط1، 2016)، ص84.

كل تقدم بسيط مكلفا جدا للألمان، الذين حاصروا الفرقتين في منتصف أوت1942 ثم سيطروا على 90% من المدينة بحلول منتصف نوفمبر 1942.[1]

لقد تم استنفاذ قوى الجيش الألماني؛ نتيجة انجراره لحرب الشوارع مع الجنود السوفيات المتحصنين فيها، وكان ترك القوات الرومانية والمجرية لحراسة عدد من الأماكن المسيطر عليها، وهي أضعف خبرة وقدرة قتالية من الجيش النازي، أكبر الأخطاء جسامة، وسببا في الهزيمة العسكرية في النهاية، وكان اقتراب الشتاء ومجيئه بشكل مبكر وقاسٍ بداية لهزيمة الألمان، خصوصا وأن جزءا من القوات السوفياتية لم يتم الزج به في المعارك ،وظل مجهولا لدى فرق الاستطلاع الألمانية، وهو الجيش الذي سينفذ عملية هجوم مضاد أطلق عليها اسم "أورانس".[2]

تمثلت أسباب اضطراب قرارات هتلر في المرحلة الحاسمة من السيطرة على المدينة المخاوف التالية:

01- قيام الحلفاء بغزو أوروبا الغربية منعا للانهيار التام للاتحاد السوفياتي، مستغلين نقل الألمان 12 فرقة من الجبهة الغربية إلى الشرق في ماي1942.

02- احتمال قيام السوفيات بعمل مضاد يستهدف جيوش الوسط، وعلى هذا الأساس اتخذ هتلر قرار بإرسال تشكيلات من نخبة الجيش الألماني لتعزيز الجبهة، ثم أمر بإرسال الجيش الحادي عشر لاكتساح القوقاز، ثم أصدر أمرا معاكسا يقضي بتوجه هذا الجيش لاحتلال لينينغراد، وأدى ذلك إلى تشتيت القوى الألمانية وإنهاكها من الشمال إلى الجنوب، كما أن جزءً من الجيش الموجه إلى المدينة تلقى سلسلة من الأوامر المتعارضة، بين احتلال المدينة وشلها بالقصف، في جانب آخر ساهمت المقاومة الشعبية، وابتكار تكتيك الزجاجات الحارقة التي عرفت بزجاجات المولوتوف *Molotov cocktails*، في زيادة خسائر الألمان، خصوصا وأنّ ستالين ترك إدارة المعركة للقادة الميدانيين على عكس هتلر، وكان رأي هؤلاء القادة هو إنهاك القوات الألمانية، واستنفاذ احتياطاتها بشكل يضمن نجاح العمليات القتالية السوفياتية المقبلة، والتركيز على نقطة الضعف في الجيش الألماني، وصرف الانتباه عن المناطق الحقيقية لتحشد الاحتياطات السوفياتية التي سوف تباشر الهجوم المضاد، وقد وصل الألمان إلى أقصى تقدم لهم في 30 أكتوبر1942، ليواجه بوضع جديد وهو استعادة المبادرة من طرف السوفيات في هجوم "اورانس".[3]

([1]) قناة الجزيرة الفضائية، **ستالين غراد، معركة حاسمة بددت أحلام الرايخ الالماني**، مرجع سابق.

([2])- نصري ذياب، **تاريخ أوروبا الحديث**، (الاردن: عمان، الجنادرية للنشر والتوزيع، ط1، 2011)، ص221.

([3])- مادة ستالينغراد، مرجع سابق، ص ص 11-22.

بدأت مرحلة الانكسار الألماني مع تمكن السوفيات في 19نوفمبر1942م اختراق صفوف الجيش الثالث والرابع الألمانيين، وفي 23 نوفمبر 1942 بدأ حصار الجيش السادس الألماني داخل ستالينغراد، وهو القوة الأهم والأكبر في المعركة، وقد طلب الجنرال فون باولس قائد هذا الجيش الانسحاب وكان ذلك ممكنا، إلا أن هتلر أمره بالصمود؛ وأطلق على جيشه اسم قلعة ستالينغراد. [1]

ساهم نقص الغذاء والعتاد العسكري والوقود وقساوة الشتاء، إضافة إلى محاصرة الجنود الألمان في عملية "أورانس" وقطع الإمدادات في حصول مجاعة بينهم، ورغم ذلك أمرهم هتلر بالقتال حتى أخر جندي، وقد أثبت هؤلاء الجنود صمودا كبيرا على مدار الثلاثة أشهر الاخيرة من المعركة، وحدث استسلام جزئي للقوات الألمانية مع بداية 1943. [2]

حاول هتلر في إدارة هذه الحرب تقليد خصمه ستالين، وذلك بفرض استراتيجية عدم التراجع تحت أي ظرف، غير أنه يجب الأخذ بعين الاعتبار في هذا الإطار؛ أنّ ستالين كان يدافع عن الأراضي السوفياتية، كما أنّ خطوط الامداد السوفياتية كانت بعيدة عن الخطر والاستهداف الألماني، في حين أنّ الطرف الألماني كان محاصرا، وخطوط الامداد الخاصة به صارت طويلة جدا، وما تم احتلاله من أراض سوفياتية كان يقدر بـ 1.2 مليون كم^2 من بين أكثر من 22 مليون كم^2، ولتعويض حالة الانكسار أصدر هتلر الأمر بالثبات الى القائد فون باولس، والذي تم ترقيته الى مارشال وهي رتبة عسكرية عليا؛ جرى في العرف العسكري الألماني أن لا يستسلم حاملها أبدا، وكان الأمر يتضمن العبارة التالية:

التسليم مستحيل، إنّ الجيش السادس سوف يؤدي واجبه التاريخي حتى آخر رجل. [3]

في 25 جانفي 1943م استولى السوفيات على آخر مطار للألمان في المنطقة، وفقد الالمان بذلك كل اتصال بالعالم الخارجي، واضطر الجيش السادس للاستسلام بعد أسبوع، وكان على رأسه المارشال فون باولس، ومعه 23 جنرالا و2000 ضابط، و90000 من الرتب الأخرى، إضافة الى معدات عسكرية ضخمة، وقتلى فاقوا 100.000 عسكري[4]، وفي حصيلة نهائية للمعركة تم القضاء على خمسة من جيوش المحور؛ هي الجيش السادس بكامله وجيش البانزر الرابع، والجيش الروماني الثالث والرابع، والجيش الايطالي الثامن، و32 فرقة وثلاثة ألوية عسكرية، وكان اجمال المفقودين والقتلى

(1)- فؤاد صالح السيد، **أعظم الأحداث المعاصرة: 1990-2014**، (لبنان: بيروت، مكتبة حسن العصرية، ط1، 2015)، ص262.
(2)-نصري ذياب، مرجع سابق، ص221.
(3)-نصري ذياب، مرجع سابق، ص 221.
(4)-فؤاد صالح السيد، مرجع سابق،

والجرحى والاسرى 1,5 مليون عسكري مع فقدان 3000 طائرة و3500 دبابة، وهي القوات التي كانت قادرة على تسليح 75 فرقة مقاتلة.[1]

سقطت المبادرة من الألمان بعد هزيمة ستالينغراد، وتأثرت الروح القتالية للألمان قيادة وشعبا، كما كان لذلك انعكاسات سلبية على الصعيدين السياسي والعسكري، ورغم أن الألمان حاولوا شنّ هجمة مضادة في ربيع عام 1943، إلا أنها انتهت بهزيمة كبرى في معركة كورسك، التي توصف بأكبر معركة دبابات في التاريخ الحديث. [2]

إن إدارة معركة ستالينغراد تبيّن أهمية الانضباط العسكري، والأثر السلبي لتدخل القيادة السياسة في ادارة مجريات المعارك، كما أنّ مجرياتها تشير إلى الأهمية الكبرى لمسألة تحديد الهدف، دون تخبط أو تأخير، كما تبيّن أهمية دراسة تأثير الطقس على العمليات العسكرية وظروف حرب المدن، وأهمية الجانب اللوجستيكي في تأمين الاحتياطات الإعاشية وسبل تغيير القوات؛ وصيانة العتاد، والحفاظ على الروح المعنوية للوحدات القتالية، كما أنّ الاصطفاف الوطني، والشعور بوحدة المصير، والدفاع ضد الغزاة لها الدور الكبير في دعم الأعمال القتالية، وضع الأمجاد الوطنية وطرد الأعداء.

المطلب الثالث: معركة ديان بيان فو وكفاءة استراتيجية التطويق العسكري

تمكّنت فرنسا من تكوين إمبراطورية شملت قارتي افريقيا وآسيا، وتحتفظ ذاكرتها العسكرية بهزيمتين أنهتا وجودها الاستعماري بشكل واسع، وهما هزيمتها في الهند الصينية، وعجزها عن كسب الحرب في الجزائر، وإن كانت الحالة الأخيرة نابعة من تطاول المواجهة في حرب عصابات ما بين 1954-1962م، فإنّ الهزيمة في الهند الصينية ارتبطت بالخسارة الكاملة في معركة ديان بيان فو، حيث اجبرتها –لأول مرة–قوة غير غربية على الاستسلام.

تعود جذور الهزيمة في معركة ديان بيان فو إلى عجز الفرنسيين سنة 1941م عن مواجهة اليابانيين الذين احتلوا الهند الصينية ، والذين شكّل سلوكهم اتجاه السكان المحليين سببا في ظهور مقاومة محلية تزعّمها " هوشي منه " Hô Chi Minh " 1890–1969م عبر حركته التي سميّت جبهة فيات منه "ViệtMinh " ، والتي تعني اتحاد استقلال فيتنام[3] التي استمرت بعد مغادرة اليابانيين سنة 1945م، ورغم أنّ الفرنسيين أبرموا اتفاقا معها في 06 مارس 1946م؛ ينص على قيام جمهورية فيتنامية موحدة

(1)-مادة ستاليغراد، مرجع سابق، ص28.

(2)-نصري ذياب، مرجع سابق، ص 221.

(3) - زينب عباس حسين التميمي، **"ديان بيان فو .. والوقف الفرنسي من الوجود الأمريكي في فيتنام: 1954 – 1973"**، مجلة آداب البصرة، العدد 72، جامعة البضرة، العراق، 2015، 235 - 258.

وحرّة كجزء من فدرالية للهند الصينية وفرنسا، إلاّ أنّ الفرنسيين لم يلتزموا بالاتفاق، ممّا تسبّب في اندلاع مواجهات بين الطرفين، استعملت فيها القوات الفرنسية سلاح الطيران، وتسببت في خسائر بشرية فادحة للفيتناميين[1].

دخل على الخط في دعم الفرنسيين عسكريا الأمريكيون، حيث استشعرت الولايات المتحدة الأمريكية أنّ انتهاء الحرب الكورية عام 1953م قد نقل التهديد الشيوعي من كوريا إلى الهند الصينية، خصوصا مع مساعدة الصين لقوات الفيات منه ، وبالتالي فإنّ من شأن ذلك التصور الأمريكي أنّ الهند الصينية هي منفذ منطقة جنوب شرق لآسيا كلّها ، وأنّ مساعدة فرنسا سيمنع الانتصار الشيوعي وسقوط الهند الصينية التي ستسقط بعدها بورما وتايلند والملايو (ماليزيا) واندونيسيا وسيتم تطويق الهند، وتعرض استراليا ونيوزيلاندا والفلبين واليابان للتهديد الشيوعي. [2]

إنّ المرحلة الممتدة من 1949-1953م جسّدت التفوق الفرنسي نتيجة الدعم الأمريكي المتزايد ، واستعمال القوة الجوّية ، وذلك في مواجهة تمرّد حركة " الفيات منه " ، وأيضا من خلال التعويل على عملاء لفرنسا في فيتنام ضد القوميين المناديين بالاستقلال، وبالاستعانة بقوات من المرتزقة والأفارقة في دعم المجهود الحربي الفرنسي على الأرض، وتُشكل نقطة التحول في هذه الحرب؛ قرار قائد القوات الفرنسية في فيتنام الجنرال هنري نفار *Henri Navarre* (1898-1983م) إقامة حامية عسكرية محصّنة في وادي ديان بيان فو، والتي تبعد حوالي أربع مئة وخمسون كيلو متر (450كم) عن العاصمة هانوي Hanoï [3]، وقد أراد الفرنسيون استدراج القوات الفيتنامية لأجل القضاء عليها أثناء التقدم وتجميع القوات بفرض الحصار، ثمّ استعمال سلاح الطيران والإنزال المظلّي ، وكان من شأن ذلك أن يتسبب في إبادة القوات المهاجمة، ويعرف هذا الخيار بأسلوب التطويق Encerclement ، ويشمل عمليات الالتفاف والإحاطة ، وقطع المواصلات وطرق الإمداد والتموين[4]، وعوض أن يقع الفيتناميون في فخ هذا الاستدراج تحول التطويق اتجاه الجانب الفرنسي.

امتد موقع المعركة على طول عشرون كيلومتر (20كم) وعرض ستة كيلومترات (06 كم)، وتحيط به تضاريس جغرافية ملائمة للنمط الدفاعي بالنسبة للفرنسيين، حيث أنّ صعوبة هذه التضاريس رسّخت

([1]) - نايف حطاب السليم، **أنسنة الاستعمار: حروب صليبية وإرهاب امبريالي**، (الأردن: عمان، دار المعتز، ط1، 2014) ص33.

([2])- محمد حمزة حسين، **تاريخ العالم المعاصر**، مرجع سابق، ص381.

([3]) - مادة التطويق، **الموسوعة العسكرية**، ج1، مرجع سابق، ص ص 274 – 276.

([4])-عماد عامر، **"معارك تاريخية: معركة ديان بيان فو"**، مجلة الجيش، لبنان، العدد389، نوفمبر 2017، ص ص 102 – 106.

الاعتقاد بصعوبة نقل المدات العسكرية الثقيلة لمواجهة القوات الفرنسية في القاعدة، والتي كانت في حدود اثنا عشر كتيبة (12كتيبة)، مستفيدة من الدعم العسكري الأمريكي والبريطاني، والدعم المالي الذي قدر سنة 1953م بـ 3,5 مليار دولار[1].

لم يقع الفرنسيون في الحسبان قدرة الفيتناميين على حل مشكلة التسلح بالمعدات الثقيلة ونقلها، وذلك حينما قام الثوار الفيتناميون بتجنيد عشرات الألاف من العمال والفلاحين والأطفال والنساء في نقل تلك المعدّات ، وتقريبها على مراحل، وباستغلال السّرية والتخفّي والتنقل اللّيلي، وقد كان قائد هذا التحرك هو الجنرال الفيتنامي فون ناغوين جياب " VONGUYEN GIAP " (1911-2013م) الذي تمكن من أن يمرر عبر ممرات ضيقة، قرابة خمس وخمسين ألف (55000) مقاتل ومئتين وستين ألف (260000) حمّال مع المؤونة والخيام والذخيرة في السّلال ، كما تمكّن من نقل عشرين ألف (20000) دراجة هوائية ومئة وثمانية عشر ألف (118000) عوّامة مصنوعة من الخيزران، حملت الأسلحة الثقيلة مفككة عبر البحيرات الصغيرة والمستنقعات، وحين وصلت هذه القوات بدأت في حفر سلسلة من الخنادق قريبة من الحامية العسكرية الفرنسية. [2]

في 15 مارس 1954 شنّت القوات الفيتنامية هجوما مفاجئا على مطار هانوي العسكري، ودمّرت عددا من الطائرات الفرنسية من بينها عشر(10) طائرات للنقل العسكري، والتي كانت ستستعمل في نقل الجنود إلى جبهة القتال، وفي اليوم الموالي استولت قوات " جياب "على الخطوط الدفاعية الأساسية لحصن ديان بيان فو بعد معارك مع القوات المدافعة. [3]

كان فارق القوات كبيرا في الهجوم، حيث كان عدد الفيتناميين يفوق خمسين ألف (50000) مقاتل، في حين أنّ الحامية الفرنسية في ديان بيان فو كانت في حدود عشرة آلاف (10000) جندي، تعرضت لنيران كثيفة من المدفعية والاسلحة الثقيلة على مدى يومين، وهو ما شكّل صدمة معنوية للفرنسيين الذين توقعوا مناوشات محدودة، وما زاد الوضع تعقيدا أنّ الفيتناميين تمكّنوا من جلب أسلحة مضادة للطيران، جعلت طائرات الإمداد الفرنسية والمظليين أهدافا سهلة لتلك المضادّات[4].

([1])- زينب عباس حسين التميمي، مرجع سابق، ص ص 235 – 258.

([2]) - محمد السمّاك، **استراتيجية ممر العنزة**، جريدة المستقبل، لبنان، الاثنين 20 أكتوبر 2014/ متوفر على الرابط الالكتروني: http://almustaqbal.com/article/632729/-

([3])- فراس البيطار، **الموسوعة السياسية والعسكرية**، ج5، مرجع سابق، ص ص 1969، 1970.

([4])عماد عامر، مرجع سابق، ص ص 102 – 106.

ساهم انهيار الدفاعات الأولى للقوات الفرنسية في إحراج الولايات المتحدة الأمريكية خصوصا مع طلب المساعدات العاجلة الذي قدمته فرنسا للولايات المتحدة ، وكان من بين القادة الأكثر ميلا للاستجابة هو ريتشارد نيكسون *Richard Nixon* (1913-1994م) نائب الرئيس الأمريكي، ورئيس الأركان المشتركة للجيش الأمريكي ووزير الخارجية آنذاك جون فوستر دلاص *John Foster Dulles* الذي اقترح استعمال السلاح النووي لمساعدة الفرنسيين، غير انّ الرئيس الأمريكي ايزنهاور تحفّظ على هذا الاقتراح، نظرا لمخاطر التصعيد المحتملة يشأن توظيف السلاح النووي اتجاه دولة حليف للدول الشيوعية الكبرى. [1]

لقد جاء امتناع الولايات المتحدة الأمريكية عن استعمال السلاح النووي متناغما مع مخاوف التصعيد من جهة ، ومع ظروف واقعية متعلقة بأنّ استعمال هذا السلاح في منطقة جغرافية صغيرة، سيؤدي حتما إلى مقتل المهاجمين الفيتناميين وكذا الجنود الفرنسيين في الآن ذاته، وبفقدان الدعم الأمريكي على الأرض؛ بدأ يستقر في التخطيط الفرنسي منظور الانسحاب إلى مناطق آمنة والعمل على فك الحصار، ثم إعادة تجميع القوات المنسحبة، والاستفادة من الدعم الجوّي وقوات المرتزقة والأفارقة الذين يكونون بمثابة قوة المواجهة الأساسية، مقابل القوة الفرنسية التي يجب تأمينها، ولقد عزّز حالة الإحباط الفرنسي شائعات حول استقالة قائد القوات الفرنسية المحاصرة، وأيضا اعتراف قائد سلاح الطيران الفرنسي بعدم إمكانية الوصول إلى القوات المحاصرة، وهو ما أحبط معنويات الجنود الفرنسيين الذين بدأوا في تدمير الأسلحة والذخائر المتوافرة لديهم، وإلقاء أسلحة اخرى في النهر، ومحاولة تخفيف حجم المعّدات التي يتم الانسحاب بها عبر تكوين ممر للانسحاب ، وكان ذلك في ليلة 07 ماي 1994م ، غير انّ الفيتناميين تمكنوا من الحصول على المعلومات المتصلة لهذه الخطة وشنوا هجوما استباقيا على المواقع الفرنسية التي بدأت تسقط اتباعا ، فيما تستسلم القوات الموجودة بها[2].

كان سقوط نقاط الارتكاز بشكل متوال قد أسهم في إلغاء خيار المساومة، وانتهى بالقوات الفرنسية المحاصرة أن تستسلم بشكل كامل، حيث جرت السيطرة على المقر العام لها، واعتقل قائد الحامية، إضافة إلى ستة عشر عقيدا فرنسيا وألف وسبع مئة وتسع وأربعون (1749) ضابطا وضابط صف

(1) Maurice Vaisse L'armée Francaise Dans La Guerre D'indochine (1946-1954) : Adaptation Ou Inadaptation ? (Belgique : Bruxelles, Edition Complexe, 2000) pp71-74

(2)- عماد عامر، مرجع سابق، ص ص 102 – 106.

وسبعة آلاف (7000) فرد من الجنود الفرنسيين وغير الفرنسيين، ولقد لقي 70% من الأسرى من هؤلاء مصرعهم في الأشهر التي تلت سقوط المعسكر. [1]

أثار الانتصار البريطاني دان بيان فو غضب الرأي العام الفرنسي، وتمت الإطاحة بالحكومة الفرنسية، والمناداة بالبحث عن السلام في أقرب وقت، وتسهيل خروج فرنسا من الفيتنام، لذا فقد تم ترتيب مؤتمر جنيف في 20 جويلية 1954م بحضور قوي للاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية، وأسفر عن اعتراف رسمي باستقلال دول فيتنام ولاوس وكمبوديا، غير أنّ الولايات المتحدة الأمريكية خاصة عملت على تثبيت تقسيم فيتنام إلى قسمين: شمالي شيوعي وجنوبي موال للغرب. [2]

يشبه هذا التقسيم نموذج ما انتهت إليه الحرب الكورية (1950–1953م) من خلال تقسيم البلاد إلى شمال وجنوب بنظامين مختلفين إيديولوجيا، ولقد كان لوضع فيتنام الجديد؛ الدور في التورط الأمريكي في المنطقة، وذلك في محاولة محاصرة الشيوعية ومنع تمددها للدول الآسيوية المجاورة، دون الاستفادة من مأساوية تجربة معركة ديان بيان فو، ما حدا بالجنرال " جياب" لأن يطلق عبارته الشهيرة:

" **إنّ الاستعمار تلميذ غبي، لا يفهم إلاّ بتكرار الدرس** "[3]

اجتمعت جملة من الأسباب في تحقيق النصر في معركة ديان بيان فو، والتي يمكن عرضها على النحو التالي:

-كان لتسلم الشيوعيين حكم الصين سنة 1949م تأثير عميق على سير الأحداث في فيتنام، خاصة بعد أن نجحت قوات "الفيات منه" في إجلاء الفرنسيين من منطقة الحدود، فبات للحدود المشتركة دور في الإمداد والدعم، كما أنّ حملات الإصلاح الزراعي أدّت إلى تجنيد آلاف الفلاحين، بما كان لهم من دور في التحضير للمعركة؛ [4]

-سوء تقدير إمكانيات الفيتناميين من طرف الفرنسيين، حيث فوجئوا بضخامة الهجوم الفيتنامي، ووصول الأسلحة عبر ممرات صعبة، وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى استراتيجية اعتمدها الجنرال "جياب " وهي مقتبسة من أفكار الإمبراطور نابليون بونابارت، الذي قال:

---

(1) - صبري أبو المجد، **"حرب التحرير التي انتهت في ديان بيان فو"**، مجلة الهلال، مصر، العدد الثامن، أوت 1967، ص ص 88 – 102.

(2)- فراس البيطار، المرجع السابق، ص ص 1975 – 1978.

(3)- نيكول يونس، **دروس الجنرال جياب العسكرية**، مقال منشور بتاريخ 2013/10/16، اطلع عليه بتاريخ 2018/05/21، يتوفر الرابط الالكتروني:
http://www.alef-yaa.com/index.php?operation=read&type=article&idArticle=16670

(4)- فؤاد محمد شبل، **"قصد الحرب الدائرة في فيتنام"**، المجلة، مصر، العدد 135، مارس، 1968، ص ص 10 – 20.

" **إذا كان باستطاعة عنزة أن تمر، فمعنى ذلك أنّه سيكون باستطاعة رجل أن يمر، وإذا كان باستطاعة رجل أن يمر، فمعنى ذلك أنّه باستطاعة فرقة عسكرية أن تمر.** "[1]

لقد تغلب الجنرال " جياب" على العوائق الطبيعية من خلال القدرة على تفعيل مجهود الأهالي الفيتناميين، وتقسيم العمل وإشراك كل الفئات الشعبية في المجهود القتالي، وتوصيف الحرب على أنّها حرب الشعب، وإعلاء الروح القتالية للفيتناميين الذين شاهدوا انكسار الفرنسيين قبل ذلك أمام الألمان سنة 1940م، وأمام اليابانيين سنة 1941م.

- طبيعة الأرض التي تكسوها الغابات الكثيفة التي حدّت من فاعلية المراقبة والقصف الجوّي، كما غطّت على تحركات الفيتناميين، ولقد اتضح أنّ الدفاع عن النقاط والمواقع ذات الأهمية؛ يتطلب ما هو أكثر من اللجوء إلى أسلحة الرمي المنحني، وهي مدافع الهاون خاصة، حيث كان لابد من اللجوء إلى حوامات الدعم الناري التي تستطيع التعامل بالرمي المباشر على الأهداف [2]، وقد استفادت الولايات المتحدة الأمريكية من هذا الواقع في الاستعانة بسلاح الحوامات فيما بعد في فيتنام؛
- بيّنت هذه الحرب خطورة فكرة الاستدراج إن لم تكن هناك قوات كفيلة بإنجاح استراتيجية التطويق، حيث تحول الفرنسيون إلى ضحية لسوء توظيف هذه الاستراتيجية، وجرت محاصرتهم على نحو مدمر؛
- إنّ الروح الحماسية للقتال التي تميز بها الفيتناميون كانت سببا في عدم مبالاتهم بتكاليف المعركة، على عكس الفرنسيين الذين كانوا أقل حماسة، وخليطا من الجنود الفرنسيين والمرتزقة والجنود الأفارقة الذين لا تربطهم صلة بقضية الاحتلال الفرنسي، كما يظهر أيضا عدم مبالاة الفرنسيين بإدارة العمل الدفاعي على نحو جاد، لدرجة أنّ قائد الحامية سمى نقاط الدفاع المحيطة بها بأسماء نساء، وهو أمر أبعد ما يكون عن الجدية والصرامة، ممّا جعل ذلك محطة سخرية وإهانة. [3]

لقد مثلت هزيمة ديان بيان فو شكلا مماثلا لانكسار الجيش الفرنسي على غرار ما حدث في **واترلو** سنة 1815م، كما أنّه تصادف مع التحضير لاحتفالات فرنسا بالذكرى التاسعة لاستسلام ألمانيا سنة

([1])- محمد السماك، مرجع سابق.

([2]) سامي شهاب أحمد، **الجغرافيا العسكرية**، (الأردن: عمان، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، ط01، 2012)، ص137.

([3])- قناة الجزيرة الفضائية، **سلسلة الخطط الحربية: حرب الحصار**، حلقة بثت بتاريخ 2011/10/22 على قناة الجزيرة الوثائقية الدوحة، قطر.

1945م، وذلك حين استسلمت الحامية في 7 ماي 1954م، كما أنّها أزالت مخاوف الشعوب المستعمرة وهي ترى هذا الوضع، وفي هذا الإطار قال الرئيس الجزائري الراحل أحمد بن بلّة:

" **لقد مثّل الانتصار الفيتنامي الحاسم في معركة ديان بيان فو الشهيرة ضد الاستعمار الفرنسي أحد الأسباب التي شجعتنا على التعجيل بموعد انطلاق الثورة الجزائرية في أول نوفمبر 1954م.**"[1]

تظلّ معركة ديان بيان فو مزيجا بين حرب العصابات والحرب الكلاسيكية، ونجاحا مميّزا في ممارسة حرب الإنهاك، حيث عوّض الفيتناميون تفوق العدو خاصة الجوّي بسرعة الحركة والقدرة على التخفي وتكوين جزءا من قوات الاحتياط، وبناء صناعة عسكرية بسيطة تفي بالاحتياجات القتالية، إضافة إلى فكرة التناوب والتعبئة، والاعتماد على مشاركة المرأة في الحرب. [2]

إنّ هذا التلاحم سيكون تجربة تتكرر في الحروب التحريرية خلا النصف الثاني من القرن العشرين، وسيتم النظر إليها في الأكاديميات العسكرية كتجربة متميزة، ضمن حروب الجبال وحروب العصابات، وضمن استراتيجية مناهضة التمرد وكذا الحرب الاستباقية.

(1)-عبد الله محمد أبو علم، **قالوا ...**، ج3، (الأردن، عمان، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ط1، 07، 2016، ص104.
(2)- صبري أبو المجد، مرجع سابق، ص ص 88 – 102.

الفصل الثالث:

النقاش الاستراتيجي بشأن كسب الحرب

الفصل الثالث: النقاش الاستراتيجي بشأن كسب الحرب

تندلع المعارك على ساحات جغرافية وفي ظروف زمانية مختلفة، ويستغرق الجهد البشري في إحصاء تعداد الإمكانيات ومجموع المتقاتلين، والوقوف عند عدد الضحايا، إلا أنّ الرغبة في الاستفادة من معطيات تلك الحروب صار يحيل نحو نقاش استراتيجي فحواه كيفية كسب الحرب، انطلاق من حالة التقدم العلمي من جهة، وكفاءة التخطيط لدى القادة العسكريين، الذين يحقق اطلاعهم وبعد النظر لديهم، إضافات مهمة للتاريخ العسكري والإنجازات الحربية، وينصرف النقاش الاستراتيجي بشأن كسب الحرب، والذي نحاول عرضه، إلى دراسة الكفاءة القتالية للجيوش وتصورات الانتصار، وذلك بالربط بين منظور الجيش الذي لا يقهر كصورة نمطية عليا، وتطبيقات ذلك في التاريخ العسكري.

في جانب آخر؛ يتم التعرّض إلى النموذج الأمريكي والحروب التي انطوت في معظمها على انتصارات متلاحقة، مستفيدة من عناصر القوة التي لم تتجمع لأي دولة من قبل، ليتم الانتقال إلى دراسة إدارة الحرب في ظل المعوقات الطبيعية والمناخية، وكذا تأثير الاعتبارات الأخلاقية والقيود القانونية، وتعامل الدول مع هذا التقييد، خصوصا وأنّ الثورة في الشؤون العسكرية وصلت بمجال الأسلحة واستعمالاتها إلى مرحلة القدرة على الافناء الشامل للبشرية، وفي جانب آخر الانتقال من الطابع الرسمي الذي تعبر عنه الجيوش الوطنية، إلى نمط خصخصة الحرب.

يشمل النقاش الاستراتيجي حول كسب الحرب؛ إدارة الحرب في العصر النووي من خلال النظريات الاستراتيجية، التي جرى إخراجها للتعامل مع تطورات الساحة الدولية خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وأيضا بالتطورات التي جلبها توسع النادي النووي، والتي زادت مخاوف المواجهة؛ وطرحت مضامينا جديدة للردع والمواجهة.

المبحث الأول: الكفاءة القتالية للجيوش وتصورات الانتصار

تخوض الدول الحروب دوما؛ طلبا للنصر واستغلالا لكل الظروف التي تكفل ذلك، وعلى هذا النحو؛ فإنها تجتهد بخصوص تطوير الكفاءة القتالية لجيوشها، وتعمل على تصعيد مستويات الاحترافية، وترسيخ روح التضحية وفعالية القتال، إضافة إلى إجادة القتال، والتمرس في الميدان، وتطوير الأسلحة، ولأن المعارك ليست لعبا تعاد، فإنّ القادة العسكريين يسعون دوما إلى الحسم في حروبهم، وتحصيل أكبر قدر من المكاسب بعد كل حرب، كما أن منظور الجيش الذي لا يقهر، قد يحقق من

الوقع النفسي ما لا يحققه من المواجهة الفعلية، وفي إطار أخر فإن فجوة التسلح والتمرّس القتالي كفيلة بإثارة نقاش استراتيجي مستفيض.

المطلب الأول: منظور الجيش الذي لا يقهر؛ تتبع تاريخي

سعت الشعوب عبر التاريخ الى تكوين قوة عسكرية رادعة، وكان سندها في ذلك الاعلاء من قيمة ما يتوفر لديها من قوة، والوصل بجيوشها الى أقصى قدر من الكفاءة، ولما كانت الجيوش تذكر بالانتصارات، فإن المطمح الدائم كان فكرة الجيش الذي لا يقهر، والذي يكفي تحريكه من بث الرعب والخوف لدى الأعداء، واستحصال التنازلات وكسر كل أوجه المقاومة، وافشال التحالفات المعادية يمكن أن نتلمس الجذور الأولى لمنظور الجيش الذي لا يقهر من خلال القصص القرآني على غرار المحاورة التي وردت في سورة النمل، حتى استشارات ملكة سبأ، القادة بشأن رسالة النبي سليمان إليها، فردوا معولين على قوتهم العسكرية في المواجهة وفي ذلك يقول الله تعالى:

" **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33)**"[1]

في اتجاه معاكس تهدّدهم النبي سليمان بالقوة والبطش، وبالجيش الذي لا يستطيعون صده، وفي ذلك يقول الله تعالى:

" **ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37)**"[2]

لازمت فكرة الجيش الذي لا يقهر مخيّلة القادة، واتصلت بمخاوف الشعوب، ومن ذلك أن جيش الاسكندر المقدوني لم ينهزم في أي معركة طوال 15 سنة من المواجهة العسكرية مع خصومه، وتمكّن بجيش محدود العدد من الانتصار على جيوش تفوقه عدة وتسليحا، ومن بينها الجيش الفارسي سنة 331 ق.م، وقد طوّر في معاركه استراتيجية؛ قوامها الاستيلاء على السواحل، لأجل عزل الأساطيل من الاشتراك في المعركة [3]، وبذلك يستفيد من سيطرته على طرق الامداد والتواصل، ويحرم عدوه منها.

تمثّل التجربة العسكرية الرومانية اثباتا لقدرة الاستغلال الجيد للموارد البشرية، والعتاد العسكرية في تكوين جيش احترافي قادر على هزيمة الأعداء والانتصار في الحروب، وذلك من خلال ترسيخه

([1])- سورة النمل، الآية 33.

([2])- سورة النمل، الآية 37.

[3] خزعل الماجدي، **تاريخ القدس القديم من عصور ما قبل التاريخ حتى الاحتلال الروماني**، (لبنان: بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط01، 2005)، ص246.

لمؤسسة عسكرية ذات تقاليد صارمة واحترافية عالية، ومزجه بين القوة البرية والقوة البحرية، وكذا اعتماده على الخدمة العسكرية الإلزامية، فيما جرى تقسيم الجيش الروماني الى وحدات قتالية نظامية، عرفت بالفيالق الرومانية، ووحدات غير نظامية من القوات الأجنبية المساعدة، كانت تمثل قوات الاحتياط من غير الرومان، واستلزمت شساعة الامبراطورية الرفع من المستوى القتالي للجنود، وتسريع تنقلاتهم، وتعويدهم على نمط المواجهة والاستنفار الدائم والانضباط الصارم.[1]

أضفى ظهور الاسلام شكلا جديدا لمضمون فكرة الجيش الذي لا يقهر، حيث امتنع ملك الصين مثلا عن نصرة كسرى فارس لمّا استجار به، وذلك مخافة رد فعل المسلمين، وجاء في رسالته:

"**إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو** (في ايران حاليا)، **وآخره بالصين، ولكنّ هؤلاء القوم الذين وصفهم لي رسولك، لو يحاولون الجبال لهدوها، ولو خلى لهم سربهم أزالوني؛ ما داموا على ما وُصف لي، فسالمهم وارضى منهم بالمساكنة، ولا تهيجهم ما لم يهيجوك**".[2]

استمر هذا المنظور الى غاية انهزام المسلمين لأول مرة في الفتوحات، ضمن الأراضي الأوروبية في معركة بلاط الشهداء، التي تعرف ايضا بمعركة "بواتييه" *Poitiers* سنة 732م.

اقترنت مرحلة العصور الوسطى بصعود خطرين عسكريين على العالم الاسلامي هما الخطر الصليبي والخطر المغولي، وارتبط نجاح التحركات الصليبية والمغولية بكفاءة قتالية عالية وتطوير لأساليب القتال، لم يتم مواجهتها والتفوق عليها، إلا مع بروز الأيوبيين والمماليك، ثم القوة العثمانية في القرن14م، التي نجحت في اكتساح أجزاء كبيرة من أوروبا، وتوقفت عند حدود مدينة فيينا *Vienna*عاصمة النمسا.

أعطت فترة النهضة قدرة كبيرة للجيوش الأوروبية في تحقيق الريادة العسكرية، وذلك نظرا لثورة البارود التي أسهمت في تطور الأسلحة لدى الجيوش الأوروبية، واستفادتها من منجزات التقدم العلمي خاصة في بناء السفن، ما أتاح لتلك الدول بناء امبراطوريات كبرى، على غرار الامبراطورية الاسبانية في العالم الجديد، والتي استعلّت جيوشها فارق القوة إزاء الهنود الحمر، وتمكنت من اسقاط ثلاث امبراطوريات في المنطقة هي إمبراطورية الإنكا Inka التي كانت تشمل أراضي بوليفيا والبيرو والإكوادور وجزءً من تشيلي والأرجنتين، وأيضا إمبراطورية الآزتيك *The Aztecs* ؛ التي كانت تشمل

(1) -روبرت غرين، مرجع سابق، ص 174.

(2)- عبد الوهاب النجّار، **الخلفاء الراشدون**، (مصر: القاهرة، مكتبة دار التراث، ط01 د.ت)، ص 202.

المنطقة الممتد من المكسيك إلى غواتيمالا، وكذلك إمبراطورية المايا *The Maya* في أمريكا الوسطى.[1]

في جانب آخر؛ شكّل السعي لتوسعة المساحة الجغرافية المسيطر عليها من طرف بريطانيا وفرنسا، مبررا للاهتمام بالجيوش، وخوض الحروب على نحو واسع، مع جدارة كبيرة في النصر، نتيجة للنظر الى الحرب كفن وعلم، وارفاق ذلك بأحدث ما تمّ التوصل اليه من اختراعات، وتطوير للمعدات العسكرية، حيث اندفعت تلك الجيوش في أراضي إفريقيا وآسيا دون أن تلقى مقاومة حقيقية، واستطاعت أن تجند جيوشا رديفة من الاهالي، ومن الشعوب التي جرى اخضاعها ويلاحظ أن بريطانيا مثلا التي حازت قرابة 33 مليون كم^2، وقد تمكنت من ذلك؛ على الرغم من صغر مساحتها التي تقترب من ¼ مليون كم^2، ومكنتها قدراتها العسكرية خاصة قواتها البحرية، من أن تؤسس ما وصف بالإمبراطورية التي تغيب عنها الشمس، ويلاحظ أنّ هذه القوة أصبحت عنصرا أساسيا في نظريات السيطرة الاستراتيجية، والتي من بينها ما طرحها هالفورد جون ماكيندر *Halford john Mackinder* (1861-1947م)، وكذا ألفريد ماهان *Alfred Mahan* (1840-1914م) كسبيل للانتصار في الحروب، بالتركيز على موقع بريطانيا المتميز، واستثمار ذلك في ادارة الحروب.[2]

أبانت أحداث القرن 20م عن توجه في استثمار القوة العسكرية ذات السمعة القتالية، في توجيه خطط البناء الامبراطوري على غرار طموح الامبراطورية الألمانية، المستفيدة من انتصارات مرحلة توحيد ألمانيا، التي قادها الجنرال هيلموت فون مولتكه *Helmut von Moltke* (1800-1891م) الذي تميّز بنبوغ عسكري، وكفاءة في إدارة الحرب؛ في ظل قيادة سياسية قوية مثلها أوتو فون بسمارك *Otto von Bismarck*، وعلى مدار السنوات الأولى للحرب العالمية الثانية؛ كان الجيش الألماني بمثابة تحد حقيقي للحلفاء، وتكررت الصورة النمطية للجيش الذي لا يقهر بالنسبة للقوات النازية، فقد قامت هذه الأخيرة بين شهري أفريل وجوان 1940 بضربات مفاجئة وقوية، أزالت بها استقلال خمس دول في غرب أوروبا، وأجبرت القوات البريطانية على انسحاب مهين في دانكرك *Dunkerque*، وأن يجري إجبار فرنسا على الاستسلام، وتعززت هذه الصورة؛ مع حرب نفسية أطلقها وزير الدعاية جوزيف غوبلز *Joseph Goebbels* (1897-1945م)حول قوة الجيش الالماني. [3]

([1])-حسن عبد الرزاق منصور، **ثقافة العنف ومصادرها**، (الأردن: عمّان، أمواج للنشر والتوزيع، ط01، 2013)، ص269.

([2]) عباس الحديثي، **نظريات السيطرة الاستراتيجية وصراع الحضارات**، (الأردن: عمان، دار رسالة للنشر والتوزيع، ط01، 2004)، ص ص 27-35.

([3]) - علي عبد الفتاح، **الاعلام الحربي والعسكري**، (الاردن: عمان، دار اليازوري للنشر، ط01، 2016) ص234.

ضمن نفس الحرب؛ برزت القوة العسكرية اليابانية التي استطاعت أن تحوز أراض شاسعة في آسيا، خاصة مع سيطرة العسكريين على السلطة في اليابان، وذهب ضحية ذلك دول الجوار خاصة الصين، كما هاجم اليابانيون الولايات المتحدة الأمريكية في ديسمبر 1941م، وانطلقت قواتهم للاستيلاء على تايلاندا والمالايو والهند الصينية، وهونغ كونغ، وسنغافورة والفيليبين، وأصبحوا يهددون أستراليا[1]، واقتضت عملية ازالة هذا التهديد؛ التعامل بوحشية للانتصار على الجيش الياباني، عبر استعمال السلاح النووي على مدينتي ناغازاكيNagasaki وهيروشيما*Hiroshima*، ويحتفظ الامريكيون بذكريات سيئة على هجمات الكاميكاز*KAMIKAZ*[2]، التي أوقعت كثيرا من الضحايا الامريكيين خلال الفترات الأخيرة من الحرب.

أسفرت حالة الصمود التي تميز بها الاحاد السوفياتي في الفترة 1941-1945م الى اكتشاف قوة الجيش الأحمر؛ الذي استطاع الحاق الهزيمة بالجيش النازي، ثم طرده من شرق ووسط أوروبا، مكتسحا تلك الدول وفارضا انظمة شيوعية موالية لموسكو، جعلت الدول الغربية إزاء هذا التحول، تتخوف من أن تقع ضحية لهذا الجيش، ولقد تضافرت عدة عوامل في اكساب السوفيات صورة الجيش الذي لا يقهر، أهمها المساحة الجغرافية والتعداد السكاني الضخم، وهما عاملان يحبطان كل مشاريع الغزو والاعتداء، عن طريق تفعيل استراتيجية الدفاع في العمق، يضاف الى ذلك كفاءة المعدات القتالية السوفياتية، ومن ذلك مثلا سلاح الكلاشنكوف *Kalashnikov* الذي ظلّ متفوقا على نظرائه من الاسلحة الغربية، وكذا منظومات الدفاع الجوي، وفي جانب آخر ترسخت صورة هذا الجيش؛ معززة بقوة الاستخبارات السوفياتية المعروفة بالكي جي بي *K G B* التي توفر المعلومات وتخترق عددا من جيوش وقيادات العدو.[3]

خلال النصف الثاني من القرن 20م، احتدمت حالة ازالة الاستعمار، بما جعل الجيوش النظامية تفشل في حالات كثيرة أمام قوات عسكرية محدودة، تعتمد أسلوب حرب العصابات وتتقن أساليب الاغارة والانسحاب وقواعد الاشتباك الآمن بالنسبة لها، وقد مثلت هزيمة فرنسا في الهند الصينية، ثم فشلها في القضاء على الثورة التحريرية في الجزائر، استمرارا لانكسار صورة الجيش الفرنسي الذي لا

---

(1) - محمد حمزة الدليمي، مرجع سابق، ص 314.

(2)- كلمة كاميكاز مشتقة من اللفظ الياباني كاميكازي توكو تامي، وتترجم عادة بالرياح المقدسة أو الرياح الإلهية، وذلك للإشارة الى الاعصار الذي أنقذ اليابان من غزو أسطول مغولي سنة 1281م، انظر سامي شهاب أحمد، مرجع سابق، ص21.

(3) - مازن حماد، **كي جي بي ... ذعر أحمر لفّ العالم**، جريدة الوطن، قطر بتاريخ 2017/07/20م متوفرة على الرابط الالكتروني:

http://www.al-watan.com/news-details/id/88111

يقهر، كما أنّ حرب السويس سنة 1956م حين لم توفق في تغيير النظام السياسي المصري، واسقاط رئيسه جمال عبد الناصر، أضرّت بسمعة الجيش البريطاني وقدرته على الحسم إزاء معارضة داخلية ومقاومة شعبية في البلد المستهدف.[1]

تحتفظ ذاكرة الصراع في الشرق الاوسط بالظروف المصاحبة لنشأة اسرائيل سنة 1948م، حين تمّ التحول من عصابات متعددة الى جيش موحد، عرف بجيش الدفاع الإسرائيلي، والذي تمكّن في فترة وجيزة من الانتصار على عدد من الدول العربية، عبر كفاءة قتالية ظهرت خاصة في حرب 1967م وحرب 1973م، والواقع أنّ دولة اسرائيل دولة عسكرية، حيث أنّ معظم مواطنيها يخضعون للتجنيد، ومن الجنسين، ويجري استدعاء الاحتياط بشكل يضمن سرعة اندماجه في الوحدات القتالية، وقد جرى تسويق صورة نمطية عن الجيش الإسرائيلي الذي يضم أفرادا محترفين، يشكلون كوادرا قيادية، ويضمنون كفاءة الأجهزة والعمليات القتالية، والتمويل والادارة والتدريب، والتدخل والحرب الجوية والالكترونية، وأعمال القوات الخاصة.[2]

تعزّزت صورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر؛ مع الأنشطة القوية لجهاز الاستخبارات المعروف بالموساد، والذي أدار بنجاح عمليات تجنيد العملاء، وأعمال الاغتيالات والتخريب، على غرار ما حدث تجاه قادة الثورة الفلسطينية والمقاومة الاسلامية، ويشكّل عجز اسرائيل في القضاء التام على المقاومة، تحديا لقوة الردع الاسرائيلية، التي تجد سندها الأكبر في تفوق القوة الجوية الإسرائيلية، وأسلوب الحرب الالكترونية، والتحالف الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية، ويمكن الاشارة الى مخرجات ذلك في نجاح اسرائيل في تدمير المشروع النووي العراقي بنجاح؛ في جوان 1981م، بعد أن كانت العراق على وشك تشغيل مفاعلها النووي أوزيراك.[3]

مع نهاية الحرب الباردة بدت النظرة الى الجيوش؛ مقترنة بما تمتلكه من معدات، وبتأهيل أفرادها في عمليات التدخل السريع وأنشطة القوات الخاصة، وعلى هذا الاساس امتلكت القوات الامريكية القدرة على هزيمة حركة طالبان سنة 2001م والعراق سنة 2003م، وجرى تصوير الأمر والتسويق له اعلاميا وسينمائيا، من خلال تصوير العمل العسكري أشبه بالنزهة، وعمليات مكافحة أفراد العصابات والمجرمين والفارين من العدالة، والتي يخرج فيها الطرف الأمريكي منتصرا دوما، على اساس احترافيته

(1)- نجاه سليم محاسيس، مرجع سابق، ص294.
(2) أمينة سالم، **دور الجيش في النظام السياسي الاسرائيلي**، (مصر: القاهرة، المكتب الغربي للمعارف، ط01، 2015)، ص37.
(3) محمد جمال مظلوم، **الصراع النووي في قارة آسيا**، القاهرة، (مصر: القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط01، 2010)، ص 260.

وكفاءته، غير أنّ أعمال المقاومة العراقية، وهجمات طالبان المتزاصلة، كسرت الصورة المتعارف عليها عن الجندي الامريكي الذي لا يقهر، ودفعت نحو تصور جديد في استبعاد الأفراد العسكريين من المواجهة، وإحالة ذلك الى كفاءة المعدات، خاصة في سلاح الجو؛ وهو ما يميّز مثلا تدخل الجيش الروسي في سوريا منذ سبتمبر 2015م، الذي غيّر معادلة القوى وحول هزيمة النظام السوري الى جملة انتصارات متلاحقة.

تجدر الإشارة في الاخير إلى أنّ هناك وهما يخالط الشعوب العربية في شكل مزدوج، إما بالاعتقاد بالضعف المفرط لجيوشهم، بما يحيل الى الروح الانهزامية، خاصة تجاه اسرائيل التي كسبت مثلا حرب 1967م في ظرف ست(06) ساعات، وهذا الاعتقاد هو من الخطورة بمكان، ويتصل بدرجة النظر الى الجيش كهيكل قمعي في الداخل، دون القدرة على المواجهة في الخارج، أمّا الوهم الثاني فهو في الاعتقاد بقوة الجيوش العربية انطلاقا من قوة وبراعة الأفراد فيها، على غرار خرافة مقولة هتلر "أعطني جنديا (تونسيا، مغربيا، جزائريا، مصريا، يمنيا....) وسلاحا ألمانيا، وسأجعل أوروبا تزحف على أناملها"، حيث لا يوجد دليل واحد، على أنّ هتلر قال ذلك عن أي فرد عربي [1]، وإنما يتعلق الأمر بكون هذا التوهم هو من صنع المخيال العربي المهتز من هزائم متلاحقة.

المطلب الثاني: الحروب الأمريكية وتصورات النصر العسكري.

تشكّل الولايات المتحدة الأمريكية القوة العسكرية الأكبر في العالم، وهي رابع دولة من حيث المساحة؛ وثالث دولة من حيث السكان في العالم، وقد وفّر لها ذلك اقتصاداً قوياً وانتاجية عالية، وحتى القرن 16م كان يعيش على اقليمها الحالي مجموعات من الهنود الحمر، غير أنّ مشاريع الاستيطان الأوروبي وتدفق المهاجرين، واستقدام العبيد الأفارقة، أوجد الطموح لبناء دولة جديدة قوامها القوة العسكرية، والاعتقاد بالرسالة الحضارية والتفوق الثقافي، وبناء على ذلك بدأت أولى حروب الولايات المتحدة الأمريكية ضد السكان الأصليين، ونظراً للفارق الكبير في نظم القتال، فقد تمكّن المستوطنون من إبادة الجزء الأكبر من السكان الأصليين، إمّا بمواجهات غير متكافئة، أو بحملات عسكرية ضمن ما عرف بالزحف نحو الغرب، خاصة في الفترة ما بين1783–1800م، حيث كان يجري استقدام المزارعين والمستكشفين، وعندما تزداد كثافة هؤلاء يتقدمون إلى الأمام بحماية عسكرية ،

[1] -عمرو عاطف، **هل قال هتلر أعطيني جنديا مصريا وسلاحا المانيا لغزو العالم؟** منشور بتاريخ 30-03-2015، من موقع مصر العربية اطلع عليه بتاريخ 30-05-2018 متوفر على الرابط:
goo.gl/MfiPsq

ويسيطرون على الأراضي تدريجيا[1]، وقد أصدرت الحكومة الأمريكية قانونا بترحيل الهنود، وإعطاء أراضيهم للمهاجرين سنة 1830م، وخلال 10 سنوات تم تهجير أكثر من 70 ألف هندي، مات أغلبهم في الطريق نحو الغرب الأمريكي، وعرفت هذه الرحلة برحلة الدموع ، مع ما تبعها من أعمال سرقة وحرق للقرى، واغتصاب واعتداء على الهنود، ضمن جزء من أعمال الإبادة؛ تشير التقديرات إلى أنّها أدت إلى إفناء 112 مليون نسمة عبر ثلاثة قرون.[2]

أدى الطموح نحو بناء دولة عظمى إلى الصدام مع بريطانيا، التي كانت متواجدة في كندا، وذلك سنة 1812م، وكان مبرر الحرب هو إنهاء الدعم البريطاني، وأسفر هذا الصِدام إلى الاتفاق على تحديد نمط علاقة بين الحكومة الامريكية والبريطانيين، قائم على الاعتماد الحدود بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية، والقبول بسياسات التهجير للهنود، على اعتبار الاعتقاد أنّهم متوحشون وفاسدون، وأنّ ما يحدث لهم هو قدرهم المحتوم. [3]

تم تبرير حروب الولايات المتحدة الأمريكية وفقا لمبدأ حتمية التوسع الأمريكي *Manifest Destiny*، وهو مصطلح قُصِدَ به الاعتقاد بأنّه لا مناص من التوسع الإقليمي للولايات المتحدة، وآمن المعتقدون به بأنّ الولايات المتحدة الأمريكية؛ بحكم تفوقها الاقتصادي والسياسي يجب أن تحوز أكبر قدر من الأراضي في المنطقة، وكانت الضحية لذلك هي الجارة المكسيك، حيث اندلعت سلسلة من المواجهات بين البلدين، عرفت بالحرب المكسيكية (1846–1848م)، وتمكّنت من خلالها والولايات المتحدة الأمريكية من الحصول على أقاليم كاليفورنيا، ونيفادا ويوتا ومعظم أريزونا ونيومكسيكو، وأجزاء من كولورادو ويومينغ، لقد كانت هذه الحرب؛ حربا غير ضرورية على دولة ضعيفة، خصوصا بعد أن اقتطعت ولاية تكساس سنة 1844م، وقد أرغم المكسيكيون على السلام، بعد أن فقدوا الاراضي التي كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد طلبت منهم بيعها لها، واستكملت هذه الحرب بصفقة حصلت بموجبها على أراض إضافية، فيما عرف بالتنازل المكسيكي. [4]

بعد ان حازت الولايات المتحدة الأمريكية هذه الأراضي عملت على تفعيل مبدأ "مونرو" لسنة 1823م والذي كان تحذيرا للدول الاوروبية من التدخل في الأمريكيتين، واعتبار نصف الكرة الغربي مجالاً

---

[1]- يوسف العاصي الطويل، **سلسلة الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم**، ج03: **أمريكا تاريخ من الغزو والإرهاب**، (لبنان: بيروت، مكتبة الحسن العصرية، ط01، 2014م)، ص25.

[2] - ناصيف ياسين، **الإرهاب الأمريكي المعولم**، (لبنان، بيروت، دار الفارابي للنشر، ط01، 2013)، ص45.

[3]- لورانس دافيدسن، **الإبادة الثقافية**، تر: منار إبراهيم الشهابي، (السعودية :الرياض، دار العبيكان للنشر، ط01، 2015)، ص ص 41،42.

[4] - فراس البيطار، **الموسوعة السياسية و العسكرية** ، ج03، مرجع سابق، ص ص1156-1162.

للنفوذ السياسي، ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية الاقتصادية وأمنها القومي، وانطلقت السياسة الخارجية الامريكية بالتوسع من الداخل إلى الخارج، متبعة الخط الإمبراطوري على قاعدة الثروة والدين والقوة، حيث يشير العنصر الأول إلى القوة الاقتصادية، والعنصر الثاني إلى الإرادة الروحانية بأن الامريكيين شعب مختار، فيما يتجه العنصر الثالث باتجاه التمهيد نحو الهيمنة العالمية. [1]

كفل الانتصار في الحرب الأهلية الامريكية (1860-1865م) لصالح السلطة المركزية؛ توجيه الاهتمام أكثر لإبعاد الاستعمار الإسباني من جوار الولايات المتحدة الأمريكية، والمتمركز خاصة في كوبا، حيث استغلت الاتهام الموجّه للإسبان بإغراق بارجة بحرية أمريكية في 25 أفريل 1898م، لإعلان الحرب على إسبانيا، وطردها من كوبا، وبورتوريكو، والفلبين، وجزيرة غوام[2]، ويلاحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية تحركت بعمل عسكري موسع امتد بشكل متزامن من أمريكا الوسطى إلى شرق آسيا على نحو غير مسبوق في تاريخ العلاقات الدولية.

أبان الانتصار الأمريكي على إسبانيا عن بداية ما يمكن وصفه بالإمبراطورية الأمريكية، والأحلام والتطلعات بجعل القرن العشرين قرنا أمريكياً، ويعزّز ذلك ما تمّ بناؤه من قوة عسكرية ضخمة، تتوازن مع القدرات الاقتصادية الهائلة، وتبرّر طموحات الهيمنة بالرغم من سياسة العزلة.

كانت طموحات الهيمنة تقع مباشرة في تطبيقاتها على ما اعتبرته القيادة الأمريكية الحديقة الخلفية لها؛ وهي دول القارة الأمريكية، وقد صاغت مبدأ الجار الجيّد في توصيف ما يتلاءم مع سياستها، ويبرّر التدخل العسكري في حال أي إضرار بالمصالح الامريكية، حيث استعمل الرئيس الأمريكي" ثيودور روزفلت *Theodore Roosevelt* (1858-1919م) سياسة العصا الغليظة، والتي تفسرها مقولته: "تحدث بهدوء واحمل العصا وراء ظهرك". [3]

مارست الولايات المتحدة الأمريكية بكفاءة هذه السياسة في الهيمنة على منطقة الكاريبي، ومكنتها قوتها العسكرية من إجبار سلطات دولة "بنما" على منحها امتيازات السيطرة على قناة "بنما" سنة 1905م، والتي مكّنت من تقصير المسافات بين الأراضي الامريكية على الواجهتين البحريتين

---

[1]-علي زياد العلي، **القوة الامريكية في النظام الدولي: تداعياتها وآفاقها المستقبلية**، مصر: الكتب العربي للمعارف، ط01، 2015)، ص70.

[2] - بشير عبد الفتاح، **أزمة الهيمنة الأمريكية**، (القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، 2010)، ص16.

[3]- خالد الدليمي، **ثيودور روزفلت وسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية: (1901-1909م)**، (الاردن: عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط01، 2013م)، ص88.

الولايات المتحدة الأمريكية، ويتضح في أسلوب هذه الأخيرة عدم مبالاتها بالمعايير الأخلاقية في تحقيق أهدافها، حيث هلك نحو 20000 عامل أثناء إنجاز تلك القناة دون عوائد كبيرة لدولة بنما. [1]

بالرغم من أنّ قوة الولايات المتحدة الأمريكية كانت كبيرة لحماية حدودها، والإبقاء على سيطرتها في منطقة الكاريبي والأمريكيتين، إلا أنّها إلى غاية 1917م لن تتمتع بوزن عسكري ملموس على الصعيد العالمي، غير أنّ الحرب العالمية الأولى هيّأت لها الفرصة لأن تكون قوة كبرى، حيث تسببت التدخل الامريكي في هذه الحرب في تغيير موازين القوة لصالح الحلفاء، وأناط بالولايات المتحدة دور تعليم أمم العالم كيف تسير في دروب الحرية على حسب وصف الرئيس وودرو ولسن *Woodrow Wilson* (1856-1924م). [2]

إنّ المتتبّع لفلسفة التدخل الامريكي للحروب والانتصار فيها، يجد أنّها تتوافق مع ما يمكن وصفه بآخر الواصلين وأول الوارثين، وهو ما حدث في الحربين العالميتين، ويتم توصيف ذلك بقصة القرصان "مورغان" الذي كان يُغِير على سفن القراصنة، وهي عائدة من سطوها ونهبها للسفن التجارية، وقد استعمل هذا القرصان طريقة أساسها؛ أنّ القرصان العادي يُغير على السفن المسافرة، أمّا القرصان الذكي فإنّه لا يُغير إلاّ على سفن القراصنة الآخرين، ينتظرهم عائدين محملين بالغنائم، ومجهدين من القتال، فيهاجمهم محققا جملة أهداف، فهو يحصل على كنوز عدة سفن، ولا يرتكب بالقرصنة جريمة، لأنه نهب قراصنة. [3]

عظّمت الولايات المتحدة الامريكية مكاسبها ضمن كل الحروب التي دخلتها، ولجأت إلى افادة قطاعها الاقتصادي، حتى وهي تدعى الحياد بين المتحاربين، ففي مارس 1941 اصدرت قانون الإعارة- التأجير *LEND -LEASE* ، والذي كان مصمّما لتقديم مساعدة الى الحلفاء، عبر تأجيل دفع ثمن السِّلع، واعتبر الولايات المتحدة نفسها الترسانة الكبيرة الديمقراطية، ودفعت من الأسلحة والإمدادات بما يبلغ ثمنه سبع (07)مليارات دولار، وتضاعف حجم الربح ضد الإعارة على مدى أربع

---

[1] - محمد الموني، **الجغرافيا السياسية والجيوبوليتكا في القرن 21م**، (الاردن: إربد، دار الكتاب الثقافي للنشر والتوزيع، ط01، 2005)، ص 261.

[2] - إيمي شوا، **عصر الامبراطورية: كيف تتربع القوى المطلقة على عرش العالم وأسباب سقوطها**، تر: منذر محمود صالح محمد، (السعودية: الرياض، دار العبيكان للنشر ، ط01، 2011م)، ص353.

[3] - نبيل خماش، **إمبراطورية الأكاذيب: مصطلحات الخداع الأمريكي بعد أحداث 11 أيلول**، (لبنان: بيروت، المؤسسة العربية للنشر، ط01، 2004م)، ص177.

(04) سنوات، وقد تمّ بيع تلك المعدّات عقب الحرب للحلفاء انفسهم[1]، أو جعلها ضمن معدات الجيوش الامريكية في أوروبا إبان السنوات الأولى للحرب الباردة.

خلال السنوات الأولى للحرب الباردة؛ دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ضدّ بلد شيوعي هو كوريا الشمالية مستغلة في ذلك المظّلة الأممية، وعدم اعتراض الاتحاد السوفياتي في مجلس الأمن، وتم تصوير الأمر على أنّه بمثابة حرب مشروعة ضد العدوان؛ الذي قامت به كوريا الشمالية ضد كوريا الجنوبية، ونظراً للتحرك الأممي الذي كان عماده القوات الأمريكية، فإن الولايات المتحدة الأمريكية نجحت في استحضار أجواء ما قبل الحرب العالمية الثانية، وكيف أنّ التساهل أمام العدوان أدّى إلى تلك المأساة، ومع مرور ثلاث (03) سنوات من الحرب، استطاعت القوات الأمريكية أن تعيد الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل الحرب، ونسجِّل في هذا الإطار أن القيادة الأمريكية لم تستسلم لإغراء استخدام القوة النووية الذي طرحه كخيار الجنرال دوغلاس ماك أرثر *DOUGLAS MAC ARTHUR* الذي كانت حجّته أن الحرب المحدودة تضعف الروح المعنوية للجنود الامريكيين في كوريا، وأنّه ينبغي تصعيد العمليات العسكرية ضدَّ الصين بشكل مباشر، وأن يتم قصف المدن الصينية بـ خمسين(50) قنبلة ذريّة، واتضح من إجراءات عزله من منصبه، أنّه بالرغم من كونه كان قائدا ميدانيا، إلاّ أنه لم يكن يعرف كافة التفاصيل بشأن الموقف الحربي، ولا تقدير ردود فعل الاتحاد السوفياتي والصين[2].

إن النجاح النسبي في إدارة الحرب الكورية، شجّع الأمريكيين على التدخل مجددا في آسيا، وملء الفراغ الذي تركته الدول الاستعمارية خاصة في الهند الصينية، أين كانت الحرب التي عرفت بحرب فيتنام، والتي تعد مثالاً قوياً لما تقع فيه دولة كبرى من سوء التقدير السياسي، والتهوين من تداعيات التورط في الأزمات الدولية، حيث بدأ هذا التورّط بإرسال مستشارين عسكريين لمساعدة حكومة فيتنام الجنوبية على قمع الشيوعية، وانتقل عدد هؤلاء من 700 مستشار سنة 1961م، إلى أكثر من 543 ألف جندي سنة 1969م، لتخسر في الأخير عشر هؤلاء، إضافة إلى عدد أكبر من الجرحى والمفقودين؛ وتكلفة مالية ضخمة[3].

---

(1) - جيفري تونيهام، مرجع سابق، ص 412.

(2) - نبيل فرجسون، **الصنم: صعود وسقوط الإمبراطورية الأمريكية**، تر: معين محمد الإمام، (السعودية: الرياض، مكتبة العبيكان للنشر، ط01، 2006)، ص144.

(3)- ابراهيم أبو خزام، **أزمات الدول: المفاهيم قواعد الإدارة والتفاوض**، (مصر: القاهرة، المكتب العربي للمعارف، ط01،2015)، ص94.

أدت الهزيمة في فيتنام إلى تشكيل حالة إحباط أمريكي؛ بشأن النجاح في خوض حروب خارجية، وعرف ذلك بمتلازمة فيتنام *Vietnam Syndrome*؛ والتي ألقت الشكوك بشأن نجاح منظومة الردع الامريكية خارج إطارها النووي، وفي سنة 1984م سعى الوزير الدفاع الامريكي آنذاك كاسبر وينبرغر *Casper Weinberger* إلى وضع قواعد أساسية لاستخدام القوة الأمريكية في المستقبل، وانطوى ذلك على اعتراف ضمني بأنّ هذه المتلازمة تضع حدوداً على حروب الولايات المتحدة الأمريكية، وشكّل الانتصار في حرب الخليج خروجاً من تلك الوضعية، حيث ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية كصاحبة النصر السريع ضمن ما عرف بحرب المائة (100) ساعة، التي تلت القصف الجوي على العراق، وحسمت الحرب.[1]

تمثّل حالة الانتصار في حرب الخليج الثانية عبر عملية عاصفة الصحراء؛ تطويرا لتقنيات الحرب الحديثة، والتي استندت إلى أربعة(04) مراحل، هدفت إلى تدمير مراكز قوة الجيش العراقي؛ وهي القيادة، وأسلحة الدمار الشامل المفترضة، والصواريخ الباليستية وأخيراً الحرس الجمهوري، وانتهى الأمر عبر حملة جوية مكثّفة؛ إلى تشتيت القوات العراقية وقطع خطوط إمدادها، وتعطيل فاعلية الأسلحة العراقية.[2]

استثمرت الولايات المتحدة الأمريكية نهاية الحرب الباردة، وانتشار قواتها عبر العالم، لكي تكون بمثابة الجهة المتنفّذة، والقادرة على التدخل كما حدث في يوغسلافيا سنة 1995م وفي كوسوفو سنة 1999م، وأدّت هجمات 11 سبتمبر 2001م؛ إلى أن تتحرك الولايات المتحدة الأمريكية بحجّة القضاء على القاعدة، واسقاط نظام طالبان مستغلة التزام الدفاع المشترك ضمن حلف شمال الأطلسي، وتداخل في هذا الغزو المعطى الأمني مع المعطى الاقتصادي، حيث جرى تنصيب "زالماي خليل زاد" سفيرا للولايات المتحدة الأمريكية في أفغانستان، والذي كان في شركة أنوكال للنقط *UNOCAL* ، وكذلك حميد كرزاي الذي أتى من الولايات المتحدة الأمريكية إلى رئاسة أفغانستان، بعد أن كان نائبا لرئيس شركة أنوكال النفطية، وأتاح هذا الوضع للأمريكيين القدرة على مواجهة تحديات نمو النفوذ الصيني في أوراسيا، ومحاصرة النفوذ الروسي في المنطقة. [3]

---

[1]-جيفري تورنهام، مرجع سابق، ص 773.

[2]-نايف بن حثلين، **صراع الحلفاء: السعودية والولايات المتحدة الأمريكية منذ 1962م**، (لبنان: بيروت، دار الساقي، ط01، 2014، ص 252.

[3]-أحمد فايز صالح، **دور المحافظين الجدد في السياسة الخارجية الأمريكية**، (لبنان: بيروت، دار باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، ط01، 2011)، ص ص77،78.

تعاملت الولايات المتحدة الأمريكية مع غزو العراق، باعتباره عملاً مشروعاً لإسقاط نظام مستبد، يمتلك أسلحة دمار شامل، وتحت هذه الذرائع شنّت الولايات المتحدة الأمريكية عملية عسكرية في 20 مارس 2003م، تمكّنت من خلالها من احتلال بغداد في 09 أفريل 2003م، عبر ما وصف باستراتيجية الصدمة والرعب وتحقيق السيطرة السريعة، وينتمي هذا الاستخدام إلى نمط الحرب الوقائية، واستخدام أسلوب الحرب النفسية؛ عبر إشاعة الارتباك في صفوف القيادة العراقية أولا، ثم الجيش العراقي وصولاً إلى إضعاف الروح المعنوية للعراقيين، ومن خلال هذا الأسلوب نجحت القوات الأمريكية في تحقيق الهيمنة السريعة على مسرح العمليات العسكرية، عبر كثافة النيران والقصف بقصد إشاعة الرعب، وتسريع الهزيمة لدى العراقيين. [1]

طبقت الولايات المتحدة الأمريكية بكفاءة عالية أسلوب مكافحة التمرد في أفغانستان والعراق، بواسطة جهود الجنرال بترايوس، حيث عملت على أفغنة وعرقنة الحرب، وتجنيب قواتها الاحتكاك المباشر، مكتفية بالإسناد الجوي والقصف عن طريق الطائرات من دون طيار، وهي استراتيجية ثبت نجاحها في الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية(2014-2018).

تنظر الولايات المتحدة الأمريكية إلى مستقبلها مقرونا بتطوير قدراتها العسكرية، والحفاظ على تفوقها في المستقبل، ويبرز في هذا الإطار بما عرف بمشروع القرن الامريكي الجديد *PNAC* الذي يتمثل هدفه في تطوير القيادة الامريكية للعالم، ولا يتأتّى ذلك إلا بتفوق عسكري، وخوض حروب ضد محور الشر كما جرى وصفه؛ والانتصار فيها، وقد أخذ هذا المشروع شكله التصاعدي مع نفوذ المحافظين الجدد في الإدارة الامريكية، ويهدف في أهم بنوده إلى:

- الهيمنة على ثروات العالم وفي مقدمتها النفط؛
- منع حصول الدول الأخرى على قدرات أكبر أو مساوية، أو مهددة للولايات المتحدة ومصالحها؛
- تكوين قوة عسكرية ضاربة، قادرة على التحرك، وذات وقع نفسي مؤثر؛
- تطبيق استراتيجية الفوضى الخلاقة في إعادة تشكيل خريطة العالم خاصة في الدول الإسلامية والعربية. [2]

---

[1] حمود شمال حسن، **سيكولوجية خطاب الفضائيات: جاذبية الصورة والثقافة الوافدة**، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط01، 2013)، ص220.

[2] معاد ياسين البطوش ، **تداعيات الاحتلال الامريكي البريطاني على العراق وأثره على الأمن القومي العربي** ، (الأردن: عمان ، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع ، ط01 ، 2012م)، ص ص ، 71،70.

إن الطرح الامبراطوري الذي رافق الحروب الأمريكية، يستحضر فكرة العظمة الأمريكية ودمج المعطيات البشرية والجغرافية والتقنية والمالية في بناء القوة الأمريكية، عبر تصور فكرة تساند القوة الصلبة مع القوة الناعمة مع القوة الذكية، وهو ما يحيل إلى نموذج استثنائي في تاريخ العلاقات الدولية، والذي رعته حالة التأطير الرسمي عبر سلسلة من مبادئ الرؤساء الأمريكيين، واجتهادات منشآت البحث العلمية ومراكز الدراسات الاستراتيجية.

المبحث الثاني: استخدامات التقنية في الشأن العسكري وتحولات الحرب

أدركت الدول عبر التاريخ أنّ نجاحها في تحقيق الانتصارات يكون أكثر تكرّسا، إذا ما تفوّقت على أعدائها في أنماط التسليح وكفاءة المعدات القتالية، واحترافية الأفراد العسكريين في هذا المجال، وأنّ قدرتها على إدخال أسلحة جديدة في المواجهات العسكرية؛ كفيل بتسريع وتيرة النصر، والقضاء على الخصوم، وحسم الحروب بتكاليف أقل وفي مدة زمنية أقصر، وضمن هذا التصور يتداخل علم الحرب وتطبيقاته بمفهوم الثورة في الشؤون العسكرية، كما أنّ تحولات الحروب بدأت تنحو بالجيوش نحو أشكال جديدة، وأن يتم النظر إلى العوائد الاستثمارية للحروب، لتغطية الميزانيات المخصصة للتسلح والدفاع، وكل ذلك ينطوي على منظور ما يعرف بأجيال الحرب وحالة خصخصتها.

المطلب الأول: الثورة في الشؤون العسكرية وأجيال الحروب

ظلّ الشأن العسكري على مدار قرون محصورا في اهتمامات القادة العسكريين حول إدارة المعارك والانتصار فيها، ولم يتكوّن رصيد تحليل لأساسيات ذلك، خصوصا في جانب التركيز على معدات القتال وزيادة قوتها التدميرية، ودورها في الحسم، وذلك في ظل تصور رائج بأن الوفرة العددية في التعداد العام للجيوش تعوّض النقائص الأخرى، ولما اختلطت مفاهيم البطولة بعدم المبالاة بالتضحيات، فإن الحروب كانت أقرب ما تكون إلى تسابق نحو الفناء، في ظل النظر فقط إلى ما سيجري الوصول إليه من نصر.

إن تطوير المعدات العسكرية وأساليب القتال؛ قد قفز بالبشرية في القرون القليلة الماضية نحو تغيير عميق لهيكلية القوات المسلحة، وكذا مالها من معدات، وحيث أنّ الجيوش تسلحت لقرون بأسلحة الالتحام، فإنها اتجهت –بعد قرون من تأصيل ذلك–إلى البعد عن هذا الأسلوب، بمحاولة اختزال المسافات والعامل الزمني، ورفع نسبة الإضرار بالخصم، وكل ذلك ضمن ما سيعرف بالثورة في الشؤون العسكرية ***Revolution** in military affairs - RMA*.

نشأ هذا المفهوم على نحو أكثر بروزا في خضم حالة التنافس إبان الحرب الباردة، وهي الحقبة التي كانت فيها الدول تتسابق، وتضغط بشدة على قطاع الابتكار والتصنيع العسكريين لأجل امتلاك أساسيات الردع، وتكوين ترسانة عسكرية ضامنة لذلك، ويلاحظ أنّ المفهوم جرى تطويره في مؤسسة الدفاع الأمريكي، وتعهده خاصة كل من أندرو مارشال *ANDREW MARSHALL* ووليام أوانس *WILLIAM-AOWANS* وهما من قادة الجيش الأمريكي خلال الحرب الباردة، ويعرّف مارشال الثورة في الشؤون العسكرية على انها: **تغيّر عميق في طبيعة الحرب، تمّ بفعل استنباط تطبيقات جديدة للتكنولوجيا الجديدة، والتي بربطها بالتغير العميق في العقيدة العسكرية والمفاهيم العملياتية والتنظيمية؛ تحدث أثرا عميقا في طبيعة وتسيير العمليات العسكرية.**[1]

يشير هذا التعريف إلى تحول في طبيعة الحرب، عماده الثورة المعلوماتية وتكنولوجيا التواصل، والجانب اللوجستيكي الفعّال، ونظم الإدارة والاتصالات، والتي من شأنها حسم الحرب، وتسريع الانتصار فيها، وحيث أنّ التاريخ يحتفظ بالأحداث المهمة والمعارك البارزة، فإنّه يوفر لنا معلومات مهمة حول التحولات التي حدثت في تاريخ الحروب، من خلال قدرة طرف على تفعيل خاصية الابتكار في جانب التصنيع الحربي، وزيادة كفاءة المعدات، وتوسيع أثرها التدميري.

ناقش لويس فريدمان *Louis Fridman* مفهوم الثورة في الشؤون العسكرية، وذلك من خلال أثر التطور التكنولوجي على إدارة الحروب والانخراط فيها، وكذا تحولات العقيدة العسكرية للدولة، وأخيرا هيكلة وتنظيم الجيش، للتوافق مع المفاهيم الجديدة في الحرب، واستيعاب مخرجات التطور التكنولوجي في ميدان التصنيع العسكري، ويقدم الأدميرال ويليام أوانس تعريفا للثورة في الشؤون العسكرية يتمثل في أنها "**تأثير التكنولوجيا الجديدة في تغير أسلوب الوحدات القتالية في خوض الحرب، وهي مسار تطور في الشؤون العسكرية وليس نتيجة نهائية في تحول الجيش**".[2]

يستند هذا التعريف إلى المساعي التي نشأت في وزارة الدفاع الأمريكية، بشأن ضرورة تمكين الجيش الأمريكي من الأنماط الحديثة للتكنولوجيا، والرفع من مدى استعمالها في مجال القيادة والسيطرة والاتصال.

([1])- محمد خوجة، **الانعكاسات العسكرية والسياسية للثورة الجديدة في الشؤون العسكرية**، اطروحة مقدمة للحصول على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم العلوم السياسية، 2005-2006، ص17.

([2])- المرجع نفسه، ص18.

ظهرت عبارة الثورة في الشؤون العسكرية لأول مرة في سياق الجدل التاريخي حول التغيرات الكبرى التي طرأت على الحروب خلال القرنين 16م و17م، ثم استخدمت فيما بعد ضمن الإشارة إلى تأثير الأسلحة النووية، غير أنّه يمكن الحديث عن ثورات متعاقبة في الشأن العسكري، تبدأ منذ ظهور الحروب البدائية؛ والتي كانت تستفيد من قدرة الإنسان على صهر المعادن، لاستخدامها كسيوف ودروع ورؤوس أسهم ورماح، وتعد دورة السيف أول تطور بشأن المعدات القتالية الفعّالة، وتعود هذه الدورة إلى حوالي 3500 قبل الميلاد، وجرى التعديل في أحجام وأطوال تلك السيوف خاصة لدى الاسكتلنديين والفايكنغ ومحاربي الساموراي باليابان، وكذا لدى العرب الذين اشتهر لديهم السيف الدمشقي، ويلاحظ درجة الاعتقاد بكفاءة السيف أنه استمر في استعماله الى غاية الحرب العالمية الأولى، وكان رمزا للهيبة وفعالية قتال الالتحام، لدرجة أن محاربي الساموراي كانوا يعتقدون أن أرواحهم تعيش داخل معادن متقن الصنع. [1]

حدثت الثورة الثانية في الجانب العسكري مع اكتشاف وتصنيع البارود، وهو مزيج سريع الاشتعال، يستعمل لدفع المقذوفات وصنع القنابل، وتعود أصول هذا الاكتشاف الى الصينيين ثم العرب، لكن نجح الأوربيين في استعماله اعتبارا من القرن 14م، ووظّفه العثمانيون في المدافع أثناء فتحهم للقسطنطينية، واستعملت خاصية التفجير والقصف بالمدافع خلال حرب الثلاثين سنة(1618-1648م)، حيث قامت جيوش ملك السويد مثلا بتحسين استخدام المدافع، وفق مبدأ تطبيق الحركة السريعة في إطلاق النار. [2]

إن استعمال البارود لم يتصل فقط باستعمال المدفعية، وإنما جرى توظيفه في أسلحة الإطلاق الفردي الخفيفة والمتوسطة، وتزايدت قوة هذه الأسلحة مع خيار الرمي الآلي، والأسلحة النارية التي جرى تركيبها على المعادن، والتي كانت تكفل القدرة على تحييد الأهداف المتحركة والثابتة وعن بعد، وجرى التنافس بين العلماء على زيادة القدرة التدميرية للأسلحة النارية، وتدقيق الإصابة من خلالها، خصوصا وأنّ مجال إنتاجها صار مصدرا للثروة، من خلال استغلال حاجة الجيوش لأدوات المواجهة العسكرية الفعالة.

([1])- بول أوكوباسا، **موسوعة الاختراعات والاكتشافات: الحرب**، (السعودية: الرياض العبيكان للنشر، 2016) ص ص 10-11.

([2])- هشام طالب، **فن الخداع السياسي في الحرية والديمقراطية والسيادة على الوطن والمواطن**، (لبنان: بيروت، دار النهضة العربية، ط01، 2015) ص ص 318-319.

مع تزايد حجم الحروب؛ واتساع نطاقها خاصة في القرن العشرين، استغلت المؤسسة العسكرية عددا من الاكتشافات في المجال المدني، لتطويرها بسرعة في المجال العسكري على غرار سلاح الطيران، والمدرعات والعربات، وقد ساهم ظهور الطيران الحربي في إحياء حرب الحركة من جديد، وصار بوسع الجيوش زيادة سرعة الاحتكاك في المعارك والاستفادة من الإسناد الجوي، وقد تشكلت أجهزة مستقلة لاستغلال قطاع الطيران الحربي خاصة في العمليات الهجومية، وطوّر الألمان والأمريكيون تقنيات القتال والقصف الجوي، كما ازدادت قدرة الطائرات ومداها عندما وضعت على حاملات الطائرات مما ألغى عائق مهبط الطيران[1]، في حين منحت تقنيات التزود بالوقود في الجو ساعات طيران إضافية، جرى الاستفادة منها في الأعمال القتالية على غرار ما حدث في حرب الخليج الثانية.

إنّ التطور في الأسلحة البرية لم يكن في معزل عن تطور أسلحة المواجهة البحرية، حيث جرى تطوير السفن والمعدات القتالية عليها، كما جرت الاستفادة من ثورة البارود والمحركات وعلم الميكانيكا، مما ساهم في تقليص الفترات الزمنية للإبحار، والقدرة على المناورة والهجوم، وجرى تحصين السفن في بناءها وحمايتها وتزويدها بالرادارات، وأجهزة الكشف والرصد، وعزّز اختراع الغواصات القدرة على إدارة الحروب، وممارسة أنشطة الحصار والهجوم، خصوصا مع نجاح تلك الغواصات في التخفي وسرعة الحركة، وإسناد عمل القوات البحرية، وظهر ذلك في معارك الحرب العالمية الأولى والثانية، والتي اضطرت معها الولايات المتحدة الأمريكية إلى الدخول في الحرب، كما ساهمت قوات الأسطول السادس الأمريكي في البحر الأبيض المتوسط في توجيه كثير من العمليات العسكرية خلال النصف الثاني من القرن العشرين، ومن ذلك التدخل في لبنان، وكذا منافسة النفوذ الروسي في سوريا خاصة.[2]

اتجهت الدول إلى التقليل من العنصر البشري العسكري سواء في التعداد العام للجيش، أو في قدرة المعدّات العسكرية على تعويض وجود الأفراد، وذلك ضمن نظرية الجيش الصغير، والتي تبنّتها خاصّة إسرائيل، حيث تنادي بجيش صغير وذكي، يعوض القوة التقليدية بنمط قتالي جديد، يقوم على

(1)- محمد أبو دبش، **معجم الطيران**، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2012) ص45.

(2)- منصور زغيب، **تجدد الصراع الامريكي الروسي في ضوء الأزمات المستجدة**، مجلة الدفاع اللبناني الوطني، العدد 90، أكتوبر 2014، ص ص 77-120.

الأسس الدفاعية الفعّالة وفق تسليح حديث، وإجادة للحرب الإلكترونية والجمع بين الخطط البرية والجوية والبحرية، والمراهنة على تدمير العدو قبل التفكير في احتلال الأرض. [1]

تشكّل قدرة الدول على الدخول إلى عالم التقنية النووية، المجال الأكثر تطوراً للثورة في الشؤون العسكرية، وذلك من منطلق ارتباط التقنية النووية بأسلحة الدمار الشامل، حيث حقّقت الولايات المتحدة الأسبقية في ذلك، لتتبعها مجموعة من الدول شكّلت النادي النووي، تليها دول العتبة النووية، واتّضح أن ما جرى تصنيعه من أسلحة، إنّما يتمتع بالقدرة التدميرية غير المسبوقة، والدمار واسع النطاق، بما يجبر الطرف المستهدف على الاستسلام، وبذلك حدث تحول إدارة الحرب؛ مرتبطاً بمفهوم الردع، فصار بإمكان طائرة واحدة، أو صاروخ واحد أن يتسبب في إنهاء مواجهة عسكرية، وانعكس ذلك على امكانية الصمود والدفاع لدى الجيوش، وهي التي كانت بمقدورها فعل ذلك لمدة طويلة قبل اختراع هذه الأسلحة، كما أثار التفكير في استعمالها قضايا توقيت الهجوم واحتمالات الرّد، ولقد بيّن برنارد برودي *Bernard Brodie* (1910–1978م) أنّه في السابق كانت مهمة الاداة العسكرية هي ربح الحرب، ولكنّها مع السلاح النووي هي منعها، لأن الأسلحة النووية أزاحت مفهوم حماية الإقليم الوطني.[2]

اعتبر المنظرون السوفيات تأثير الأسلحة النووية؛ ثورة في الشؤون العسكرية، كما أنّ المفكر الاستراتيجي ليدل هارت *LIDDEL HART*(1895–1970م) أشار إلى التغيير العميق في فهم الحرب بعد استعمال السلاح النووي في اليابان:

إن الجمع بين القنبلة الذرية والطيران والصواريخ القادرة على تجسير الفجوة بين منطقة القتال والمناطق الخلفية، يدل على أنّ الحرب في الواقع كانت في طور التحول من مجرّد قتال إلى عملية تدمير. [3]

ظلت فكرة التدمير لمقدرات العدو ملازمة لخطوط الهجوم والمواجهة العسكرية، وإن كانت الموجة الزراعية للحضارة الانسانية اتسمت بدورة السيف، فإن الموجة الصناعية لها؛ غلب عليها أسلوب التدمير في مستويات غير مسبوقة، غير أن الموجة الثالثة التي اطلقت عصر المعلومات والتكنولوجيا،

([1])- عدنان أبو عامر، **ثغرات في جدران الجيش الإسرائيلي**، (لبنان، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط01، 2009)، ص110.

([2])- برنارد برودي، **الحرب والسياسة: محاكمة أمريكية لحروب أمريكا في العالم**، (لبنان، بيروت، دار المروج للطباعة والنشر، ط01، 1985)،ص 97.

([3])- محمد خوجة، مرجع سابق، ص48.

بدأت تتجه إلى ترسيخ استراتيجية الاقتراب غير المباشر، بشكل يختلف عن تطبيق أسلوب الحرب الخاطفة، الذي ظلّ مستمراً في المواجهات العسكرية خاصة في حروب اسرائيل، وتبرز ضمن تكنولوجيات الحرب الحديثة حالة التحول من المفاهيم التقليدية للحرب، عبر التحول من عقيدة ترتكز على تدمير القدرة المادية للخصم، إلى مفهوم آخر ينظر إلى الخصم على أنه نظام معقّد، يمكن شلّ قدرته على المقاومة؛ من خلال استهداف وظائفه الحيوية وهدم بنيانه التنظيمي، ويؤسس ذلك بمفهوم الحرب غير القاتلة *NON LETHAL WAR*.

إن تطوير هذا المفهوم وتفعيله في الشأن العسكري، يقترن بالنجاح في تفاعل النظم التي تجمع المعلومات وتعالجها وتدمجها وتنقلها، والنظم التي تستخدم القوة العسكرية، ونتيجة لذلك يمكن توجيه القوة العسكرية بطريقة حاسمة ومدمرة، ضد عدو ما يزال منهمكا في عملية تعبئة الموارد ووضع الخطط، وتطرح هذه الرؤية تحقيق نصر سريع وكامل في الحرب بحد أدنى من المخاطر للقوات والسكان المدنيين. [1]

تجدر الإشارة إلى أنّ هذا التوصيف الذي قدمه لورانس فريدمان ينصب على إعلان قيمة المعلومة، وأهمية التحكم في التكنولوجيا، واستلام زمام المبادرة، وهو ما برعت فيه جيوش عدة دول، على غرار إسرائيل وروسيا، وقبل ذلك الولايات المتحدة الأمريكية التي طوّرت مفهوم الهيمنة السريعة، من خلال اعتمادها على استراتيجية الصدمة والرعب وتطوير القدرات التكنولوجية في انجاح استراتيجية الإرغام والاستغلال المثالي لعنصري المفاجأة والسرعة، وتطبيقات التمويه والتضليل، والإحاطة التامة بالذات والخصم والبيئة، والسرعة وبراعة التنفيذ والتحكم في بيئة العمليات، وكل ذلك بصيغة اندماجية؛ تؤدي إلى تحقيق تكامل تام بين القطاعات البحرية والجوية والفضائية والبرية.[2]

إن استعراض الثورة في الشؤون العسكرية يتصل بالحديث عن مفهوم أجيال الحروب، وذلك منذ نهاية العصور، وهي حروب يمكن في الغالب تصنيفها إلى أربع (04) أجيال:

يتعلق الجيل الأول بحروب الفترة الممتدة ما بين (1648-1860م)، حيث تم اتباع تكتيكات ما عرف بالصف والعمود Line and colonnes ، وفيه تم ترسيخ مجموعة من التقاليد العسكرية كالأزياء

([1])- لورانس فريدمان، **الثورة في الشؤون الاستراتيجية**، ترجمة ونشر مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، (الامارات العربية المتحدة: أبو ظبي، ط01، 2000) ، ص13

([2])- هارلان اولمان وجيمس ويد، **الهيمنة السريعة: ثورة حقيقية في الشؤون العسكرية**، ترجمة ونشر مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، (الامارات العربية المتحدة: أبو ظبي، ط01، 2000)، ص15.

الموحدة والتحية والترتيب القيادي[1]، تطورت الحروب بعد ذلك في شكل آخر، ودخلت عملياً مرحلة الجيل الثاني، واختلفت عن أساليب القتال الخطي وأساليب المواجهة المباشرة، وذلك باستخدام القوة النارية الشاملة، وأصبح الهدف هو استنزاف العدو، وتلخصت عقيدة الحرب في تكثيف القصف قبل التقدم على الأرض.[2]

نشأ الجيل الثالث للحرب متأثراً بالتكتيك القتالي للألمان عبر استراتيجية الحرب الخاطفة، وهي الاستراتيجية التي تشرّبت بها العسكرية الاسرائيلية من خلال التركز على دور سلاح الطيران، وسرعة الوصول إلى الأهداف واستغلال التطور التكنولوجي في كفاءة المعدات العسكرية. [3]

اتجهت الحروب مع بداية القرن 21م إلى نمط الحرب اللاتماثلية؛ ضمن الجيل الرابع للحروب، حيث المواجهة غير المتكافئة بين طرفين، أحدهما نظامي واخر غير نظامي، وتدخل في ذلك الاشكال الحديثة للحرب على الإرهاب، ومواجهه امتلاك الأسلحة الدمار الشامل من طرف اقطاب من غير الدول، وأشكال الفشل الدولاتي حين تفقد السلطة المركزية قدرتها على فرض القانون والأمن في إقليمها، وتصبح بؤرة لحاله عدم استقرار، وينظر الى حروب الجيل الرابع على انها استهداف ممنهج للدول، بغرض تدميرها دون خسارة مادية أو بشرية من الطرف المهاجم، وعلى هذا يتم توصيف الوضع في سوريا وليبيا واليمن والعراق على أنه الشكل الناجح من حروب الجيل الرابع [4]، حيث جرى تفتيت المؤسسات، وتدمير مفهوم الدولة وتعطيل اداء المصالح الخدمية، وتدمير البنى التحتية بشكل يصعب إصلاحه، وإعادة الإعمار، واستعادة النمط الطبيعي والاعتيادي لصورة الدولة .

([1])- أيمن حسين، **أجيال الحروب: المنطقة العربية قاسم مشترك فيها**، صحيفة الوطن، الأردن، بتاريخ 2016/12/24م.

([2])- المرجع السابق.

([3])-محمد خواجة، **استراتيجية الحرب الإسرائيلية: مسار وتطور**، (لبنان: بيروت، دار الفارابي، ط01، 2014)، ص ص17،18.

([4])- صلاح المختار، **متلازمة أمريكا: هل هو ربيع عربي أم سايكس بيكو الثاني**، (بريطانيا: لندن، إصدارات إي كتب-E KUUB.LTD، ط01، 2016)، ص94.

المطلب الثاني: خصخصة الحرب ودور الشركات الأمنية الخاصة.

ظلت الحرب في إعلانها وخوضها شأناً حصريا للدول، وذلك ضمن قدرتها على بناء الجيوش، وإدارة المعارك، وضمن ما هو متاح لها في تجنيد الأفراد والزج بهم في القتال، وقد اكتشف عدد من القادة عبر التاريخ الفائدة التي تُتاح لهم في تجنيد أفراد مأجورين والقتال بهم، وفك تلك الرابطة بعد ذلك، وعرف هذا الوضع بجيوش المرتزقة *Mercenaries*، حيث كوّن الفراعنة جيشا من الجنود المرتزقة في عهد الأسرة الخامسة أطلق عليها "جس بي" أي الجيش المنظم؛ بجوار الجيش الفرعوني، وقد جرى تكوين هذا الجيش للتعامل مع الانقلابات وكذا لتسيير الحملات الفرعونية، وضبط الأوضاع في الأقاليم. [1]

في بلاد فارس القديمة جرى تنظيم المرتزقة في فرق أطلق عليها الفرق الرديفة، حيث كانت تجنّد من جميع الأمم الخاضعة لسلطان الفرس، وكانت كل فرقة تتكلم بلغتها وتقاتل بأسلحتها، وتتبع أساليبها الحربية الخاصة [2]، وظهر دور المرتزقة الإغريق والأرمن، والبحارة الفينيقيين في حروب فارس الخارجية كما جرى الاعتماد على ملك الحيرة في تطعيم الجيش الفارسي بمرتزقة عرب شاركوا في حروب فارس، بما فيها حروب مواجهة الفتوحات الإسلامية.

ظهر في بلاد الرافدين نظام المرتزقة أيضا، وجرى تقنينه ضمن شريعة حمُورابي *Hammurabi* ، وكان عماد تلك القوات من يقعون في الأسر، وشهدت قرطاجة نظام المرتزقة الذين تمردوا على الامبراطورية القرطاجية بعد هزيمتها في الحرب البونيقية الأولى ما بين: 264 ق.م–241 ق.م، وعرفت حالة التمرد هذه بحرب المرتزقة *The Mercenary War* (240ق.م–238ق.م)، وهي الحرب التي ساهمت في إضعاف قرطاجة، وإثارة النقاش حول جدوى الاعتماد على المرتزقة. [3]

استعمل الرومان نظام المرتزقة، وساهم ذلك في عديد انتصاراتهم، إلاّ أن طغيان المكون العسكري في العصر الروماني، جعل الفرق العسكرية تتدخل في الشأن السياسي، وتكون لها القدرة على عزل الأباطرة أو تعيينهم، مستفيدين في ذلك بما كان يعرف بوضع الخوذة الحربية، والتي هي عبارة عن الراتب والنصيب من الغنائم والهبات، وفي المقابل نجد أنّ جنكيز خان *Gengis Khan* كان صارماً بشأن الترف في الحياة العسكرية، وبالرغم من كبر حجم قوات المرتزقة في هذا الجيش؛ المكونة من

(1)- سليم حسن، **موسوعة مصر القديمة**، ج02، (مصر، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط01، 2012)، ص362.
(2) - ديورانت وايريل، **قصة الحضارة**، مجلد 01، ج02، تر: زكي محمود، (بيروت، دار الجيل، ط01، 1988)، ص417.
(3)- شادي علاء الدين، **الجيوش القديمة وأنظمتها**، مجلة الجيش لبنان ، العدد 332، فيفري2013، ص ص 51- 53.

شعوب عديدة، إلاَّ أنها كانت تخضع لنظام صارم، لا يستثن في التجنيد الرجال ولا النساء، وكان يجري اختيار المرتزقة من أصحاب المهن والحرف والمقاتلين.[1]

في العصور الوسطى استخدمت الدول الإسلامية والمسيحية المرتزقة، وذلك لأجل بسط الأمن أو قمع التمرّد، أو الاستيلاء على السلطة، خصوصاً وأن الجيوش النظامية كانت رهينة الخلافات ونقص التمويل وفاقدة للاحترافية القتالية، وقد تمكّن عدد من هؤلاء المرتزقة من التحول من كونهم مستخدمين، إلى أصحاب السلطة ذاتها، ومن ذلك مثلا أن المرتزقة الذين تأطروا بالمسيحية على غرار فرسان الهيكل، نجحوا في التحول من جنود فقراء؛ إلى أحد أقوى التنظيمات العسكرية وأكثرها ثراءً ونفوذاً، وشابههم في ذلك تشكيلات أخرى كفرسان القدّيس يوحنّا وفرسان مالطا، والفرسان التيتون. [2]

خلال عصر النهضة حلّل ميكيافيللي ظاهرة المرتزقة، ورأى أنّ الدولة الحديثة هي دولة قوية بجيشها، الذي يجب أن يكون بحكم الولاء لها من المواطنين المتطوعين بدلاً من المرتزقة [3]، وعلى هذا الأساس؛ نصح ميكيافيللي بضرورة إلغاء نظام المرتزقة، لأنه نظام لا ثقة فيه أثناء الازمات وعند الحروب.

عند اندلاع الحروب الدينية في أوروبا(1618-1648م)؛ استخدمت كل القوى مقاتلين مأجورين لخوض المعارك، كما جرى الاعتماد على المرتزقة في حركة الاستعمار للعالم الجديد، حيث نشط كثير من المغامرين والباحثين عن الذهب، كما ضمت الجيوش الاستعمارية المتنافسة والمتصارعة، آلافا من المرتزقة الذين انتهى بهم الأمر، إلى المساهمة في فصل المستعمرات عن الدول الاستعمارية، فقد شارك نحو 17000 من المرتزقة الألمان في الحرب ضد الفرنسيين سنة 1763م، وكان للمرتزقة الفرنسيين خاصة دورا في حرب الاستقلال الأمريكية. [4]

استمرت بعض الأنظمة السياسية بأوروبا في استخدام المرتزقة، بالرغم من بروز الجيوش الوطنية النظامية، ومن ذلك أنّ الجيش السويسري في القرن 19م، كان يعتمد بشكل أساسي على المرتزقة، كما أنّ الدول الاوروبية استعانت بالمرتزقة في النشاط الاستعماري، وضد حركات المقاومة وتصفية

---

(1)- Jacques Alexandroúpolis-(), **Les monnaies de l'Afrique antique :400 av.J.-C-40.J.C**,(France :Paris,Presses Universitaire du Mirail,2000),P65.

(2)- سامي عبد الله المغلوث، مرجع سابق، ص210.

(3)- عبد الصمد سعدون الشمري، **النظرية السياسية الحديثة: مدخل إل النظريات الأساسية في نشأة الدولة وتطورها**، (الأردن، عمان، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، ط01، 2012)، ص178.

(4)- عادل سعيد بشتاوي، **تاريخ الظلم الأمريكي وبداية زمن الأفول الامبراطوري المديد**، (لبنان: بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط01، 2007)، ص 197.

الاستعمار، واشتهر من ذلك الفيلق الأجنبي الذي كان مقره في مدينة سيدي بلعباس الجزائرية منذ أن أنشئ سنة 1831م، موجها خصوصاً للأجانب الذين يرغبون في أن يخدموا بالقوات المسلحة الفرنسية، واشتهرت تلك القوات بعدم الانضباط والوحشية في أعمالها، خصوصا ما عرف بسرية السفاحين السوّد، وهي سرية تخصَّصت في الاغتيالات وأعمال التصفية.[1]

لقد جرى استخدام المرتزقة في روديسا (زمبابوي حاليا)، حين كان نظام الفصل العنصري، وجرى استخدامها أيضا لصالح حركات التمرد في افريقيا، حيث بلغت حالة اشتراك المرتزقة 94 مشاركة في نزاعات داخلية افريقية، ما بين سنة 1950-1998م، كما شارك أكثر من 10000 مرتزق في الحرب اليمنية الاهلية(1962–1970)، ولقد كانت ردات الفعل اتجاه تشغيل هؤلاء في النزاعات هي البحث عن آلية قانونية لذلك، وقد نال الموضوع قدرًا من المناقشة في المؤتمر الديبلوماسي للأعوان 1974–1977م. [2]

تحوّل النقاش في الفترة التي أعقبت نهاية الحرب الباردة من الحديث عن المرتزقة بصفتهم التاريخية، نحو التركيز على ازدياد خصخصة العنف للحصول على القوة السياسية والحفاظ عليها، وبالتالي أصبحت شركات الأمن الخاصة التجسيد الحديث لقوات المرتزقة، التي تقوم بحماية الحكومات وأعمال الشركات متعددة الجنسيات، وتكفل الأمن في ظل انتشار الأسلحة واستغلال الموارد بشكل غير شرعي، والفساد المالي والقدرة على ابتزاز السياسيين والتأثير فيهم. [3]

لقد بات صعود الشركات الأمنية والعسكرية الخاصة *Private Military and Security Companies* كفاعل دولي من غير الدول؛ حاضر بقوة في العلاقات الدولية، ومؤسس لفكرة خصخصة الحرب، حيث بدأ تأسيس تلك الشركات من محاربين قدامى في الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، وقد أنشأ العقيد الاسكتلندي "ديفيد ستيرلينغ" David stirling (1915–1990م) شركة *Watch Gurd International* التي قدمت خدماتها الأمنية لدول الخليج لعقود[4]،

---

(1)- ديسلاف ميناتشكو ، **حديث ليلي**، تر: رامي البيروتي، (سوريا دمشق، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، ط01، 2016)، ص79.

(2)-محمد عبد الكريم، حسن عزيز، **مسؤولية المقاتل على انتهاك القانون الدولي الانساني**،(مصر: القاهرة، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، ط01، 2018)، 78.

(3)-ألان جيرسون ج.كوليتا، **خصخصة السلام: من النزاع إلى الأمن**، تر: أسعد حليم، (مصر: القاهرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ط01، 2004)، ص ص122،123.

(4)- أحمد علو، **الشركات العسكرية والأمنية الخاصة: أذرع طويلة لمهمات مختلفة**، مجلة الجيش، لبنان، العدد 369، مارس 2016م، ص ص 67-72.

وقد تزايد الطلب على خدمات الشركات الأمنية والعسكرية الخاصة، للدرجة التي صارت فيها قطاعاً اقتصادياً مربحاً.

انضمّت الشركات العسكرية الخاصة وأدمجت عدد منها بحسب متطلبات سوق العمل، ففي سنة 1990م نجح العسكري البريطاني طوني باكنغهام *Tony Buckingham* في الحصول على امتياز نفطي في أنغولا خلال الحرب الأهلية بها، وتمكّن من أن يدير أعماله في تجارة الماس في الدولة المجاورة (الكونغو) الزائير سابقاً، وأن يمتد نشاط عمله إلى كينيا وغينيا ، وكانت له القدرة على كبح التمرد والمعارضة هناك، وهذا الوضع يؤسس لحقيقة تمكن قوات غير حكومية؛ من أن تضع جيشا حديثاً وخبرة قتالية موضع التنفيذ، بشكل يتفوق على عدد من الجيوش النظامية[1]، التي غالبا ما تبيّن أنها ليست بالقوة التي تمكّنها من بسط سيطرتها على إقليم الدولة.

إنّ الحديث المتزايد عن خصخصة الحرب؛ يتطلب التمييز بين الشركات العسكرية الخاصة وشركات الامن الخاصة، حيث يمكن تعريف الشركات العسكرية الخاصة بانها كيانات تعاضدية تضم رجال أعمال عسكريين ومخابراتيين، تشمل أعمالهم تنظيم المرتزقة في جيوش مؤقتة، للقيام بعمليات قتالية في منازعات خارجية، بالنيابة عن أحد الأطراف في ذلك النزاع، والحصول على المواد الحربية وتنفيذ اللوجستيك، وتوفير التدريب العسكري والمشورة، والقيام بدور مساندة القوات، والعمل نيابة عن الدولة أو الجهة المتعامل معها، وحماية المنشآت وتوفير المرافقين للشخصيات المهمة، وتدفع لأعضائها مرتباتهم بشكل مباشر، أمّا الشركات الأمنية الخاصة فهي توفر جميع الخدمات السابقة، باستثناء المشاركة في القتال المباشر.[2]

تنتشر في العالم عشرات الشركات العسكرية والأمنية الكبرى الخاصة، وتتبعها شركات ملحقة ومساعدة، وأهم تلك الشركات الخاصة شركة بلاووتر *Black Water* والتي تعرف أيضاً بـ *XE SERVICES*، وتقدم خدمات أمنية وعسكرية، وقد تأسست سنة 1997م وفق القوانين الامريكية؛ وبرز دورها في حرب العراق بعد 2003م، خصوصا أنها كانت متواجدة في المنطقة الخضراء لحماية شخصيات النظام العراقي الجديد، بمتوسط دخل للعاملين فيها يتراوح بين 300و600 دولار يومياً.[3]

---

(1)- آلان دينو، **خصخصة الحروب؟ الشركات المتعددة الجنسية والمحاربون المرتزقة**، في برتران بادي ودومينيك فيدال(محرران)، **أوضاع العالم 2015م: الحروب الجديدة**، تر: نصير مروى، (لبنان: بيروت، مؤسسة الفكر العربي، ط01، 2015)، ص ص 133،134.

(2)- آلان جيرسون، مرجع سابق، ص124.

(3)- أحمد علو، مرجع سابق، ص ص 67،72.

لقد بدأ الاهتمام بأعمال شركة بلاك ووتر عقب حرب الفلوجة سنة 2004م، حين تمكن مقاتلون عراقيون من قتل أفراد من الشركة، بما استجلب تدخل الجيش الأمريكي، والملاحظ أنّ تلك الشركة لم تكن تعمل لوحدها في العراق، وإنما ساندتها أيضا شركات أمنية عراقية وكردية، كانت ملكية أغلبها تعود إلى مسؤولين بارزين في الاحزاب والحكومة، خاصة المسؤولين في الاحزاب الكردية، وقد أتيح لتلك الشركات الأجنبية والمحلية؛ العمل بحرية كاملة في الأعمال القتالية، دون مبالاة بالخسائر في صفوف المدينيين، أو خضوع للمحاسبة أو القوانين العراقية. [1]

تعد شركة جي فور أس(G4S) *GROUP 4 SECUCOR* أكبر جيش خاص في العالم، وهي شركة للخدمات الأمنية، مقرها في بريطانيا وتأسست في 2004م، وتمارس أنشطتها بصفتها ثالث أكبر شركة قطاع خاص في العالم، بتعداد موظفين يقدر بـ 657 ألف موظف[2]، وبأخذ هذا العدد ومقارنته بالتعداد العام لأفراد جيوش عربية نجد أنها تتفوق على دول كبرى مثل الجزائر والسعودية، خصوصا إذا علمنا أنّ نطاق عمل هذه الشركة، يشمل أكثر من 100 دولة، وبدخل سنوي بلغ سنة 2014م قرابة 07 مليار جنيه استرليني.[3]

تبرز أيضاً شركة داينكورب *Dyncorp* وهي واحدة من أكبر الشركات الأمنية الخاصة في العالم، حيث توظف 17000 شخص، وهي جزء من الرابطة الدولية لعمليات السلام، التي تمثل مصالح الأطراف الرئيسية في صناعة السلام والاستقرار في مناطق النزاع بالعالم. [4]

تمثل حرب أفغانستان 2001 والعراق 2003م، ومحاربة تنظيم الدولة منذ 2014 ترسيخاً لمفهوم خصخصة الحرب، حيث أنّ الولايات المتحدة التي اتجهت إلى تقليص ميزانية الدفاع بأكثر من 40% سنة 1993م، وتعداد الجيش من 2.2 مليون فرد إلى 1.4 مليون فرد، جعل قوام القوات العسكرية

([1])- جرجيس كوليزادة، **آفة العالم الجديد: خصخصة الحروب** ، مقال منشور في الانترنيت بتاريخ:2017/08/14م على موقع صحيفة إيلاف الإلكتروني، اطلع عليه بتاريخ 2018/06/03م، متوفر على الرابط الالكتروني:

http://elaph.com/Web/Opinion/2017/8/1162590.html

([2])- Jennifer Wood, Benoit Dupont, **Democracy, Society and Governance of Security**,(UK : London, Cambridge University, 20060, p37.

([3])-أحمد علو، مرجع سابق، ص ص 67،72.

([4])-عبد المجيد سباطة، **ماذا تعرف عن إمبراطوريات الشركات الأمنية الخاصة حول العالم**، مقال منشور بتاريخ 2015/11/03م، اطلع عليه بتاريخ: 2018/06/03، متوفر على الرابط الالكتروني:

http://www.sasapost.com/private-security-war/

المتقلص؛ مع ما يصحبه من توسع في مهام عمليات الحفاظ على الاستقرار، أمام فراغ أمني كبير، كان القطاع العسكري الخاص على استعداد لملئه. [1]

يشار في الأخير إلى أنّ النقاش بشأن خصخصة الحرب، بدأ يتوجه أكثر نحو البحث في الجوانب الأخلاقية، وتسليط اهتمام الإعلام والصحافة على الخروقات التي تمارسها تلك الشركات وأعمال الفساد التي يتورط فيها سياسيون، ضمن التغطية على الانتهاكات أو الأعمال والامتيازات غير المشروعة لتلك الشركات.

المبحث الثالث: الانتصار في الحروب بين معوّقات الطبيعة وضغط المبادئ الأخلاقية

يحدث الانتصار في الحرب ضمن تناسق وتكامل مجموعة عوامل بشرية ومادية وتقنية، إضافة إلى عنصر التخطيط، واستغلال عامل المفاجأة والتوقيت، والقدرة على التحرك واستيعاب الخسائر، غير أنّ اجتماع تلك العوامل قد لا يؤدي بالضرورة إلى تحقيق النصر، في ظل ظروف غير ملائمة متصلة بالطبيعة والتضاريس وأحوال الطقس؛ التي قد تبلغ درجة من القساوة، بما يصب في مصلحة الطرف المدافع، ويجعل تكلفة الهجوم أو الاحتلال عالية، قد تؤدي إلى القضاء على قوات الخصم.

تقدّم عديد التجارب التاريخية اثباتا؛ بشأن تدخل عوامل الطقس والتضاريس في حسابات الكسب أو الخسارة عند تخطيط المعارك وإدارتها، وكيف أنّ إهمال تلك الحسابات هو سبب وجيه لفهم الهزيمة العسكرية في الحرب ، والواقع أنّ القوة العسكرية مهما بلغ تفوقها، قد تقف عاجزة أمام الأوضاع المناخية المتطرفة، وتفقد الجيوش بسبب ذلك جزءّ من تعدادها، مع تراجع كفاءة معداتها، ومستوى الروح القتالية، وعلى هذا الأساس جرى إدراج المناخ و التضاريس كأحد المعوقات، الأكثر تأثيرا وتسببا في الهزيمة، ورغم التقدم العلمي والقدرة التدميرية للأسلحة، فإن مناطقا بعينها مازالت تحتفظ بخصوصيتها المناخية، والطبيعية القاسية التي تحول دون مهاجمتها، ممّا يجعل الاقدام على الحرب ضدها، خيارا مكلفا يقتضي اللجوء الى أوراق ضغط اخرى، من قبيل الاقتصاد والاحتياجات المالية.

(1)- شون ماكفيت، **المرتزقة الجدد: الجيوش الخاصة وما تعنيه للنظام الدولي**، تر: إبراهيم البيلي محروس وأحمد مكي زيدان، (لبنان: بيروت، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، ط01، 2016)، ص ص 92،93.

المطلب الأول: الطقس والتضاريس وتحدي كسب الحرب

حاول الانسان عبر التاريخ اثبات تفوقه على قوى الطبيعة، ورغم أنّه نجح لمستوى معيّن في فعل ذلك، إلا أنّ طاقاته ظلت دون أن تقهر تلك القوى بشكل كامل، وانسحب هذا الوضع على الحروب، منذ العصر البدائي وصولا إلى العصر الحديث، وعلى هذا الأساس فإنّه يمكن الوقوف على عدد من المعارك والحروب التي تدخّل فيها الطقس وطبيعة التضاريس لصالح طرف دون آخر، وهي التي انعكست في قساوتها على قدرة التحمل في المعركة وطرق الامداد، وكذا ضمان الكفاية من الطعام والمياه في ظروف الحصار.

استثمر القادة في الجيوش القديمة المناخ في تهيئة ظروف حملاتهم العسكرية، واختيار طرق مسيرهم، وقد استطاع القائد القرطاجي حنبعل إدارة الحرب ضد روما بتجاوز الحاجز الجغرافي، وعبور البحر الأبيض المتوسط بجيش كبير يضمّ حتى الفيلة، ونظرا للاعتقاد الراسخ آنذاك باستحالة عبور جبال البرانس بإسبانيا وجبال الألب المطلة على ايطاليا، فإنّ حنبعل استغل هذا الوضع واعتقاد الرومان بالتحصين الطبيعي لحدود روما، لكي يقدم على هذا العبور الجريء ويحتل معظم ايطاليا.[1]

بتحليل حالة العبور القرطاجي؛ يمكن أن نجد تمسك القائد حنبعل بالأثر الإيجابي، للقدرة على استغلال الظروف الطبيعية في خدمة العمل العسكري، وذلك اعتمادا على ما كان يقوله حنبعل:

" **دع الأرض تقاتل عنك**"[2]، وكان يقصد بذلك أنّ اختيار أرض المعركة أمر ضروري، ومهم لكسب الحرب، ورغم أسبقية التقدم لدى حنبعل في توظيف القدرة في التغلب على قساوة التضاريس، إلا أنّه لم يستكمل هجومه وآثر إراحة الجنود، وهنا انتقده مساعده قائلا:

لقد حبتك الآلهة بنعم كثيرة، وأنت تعرف كيف تحرز النصر، لكنك لا تعرف كيف تستخدمه وتستغله.[3]

واجه الرومان أيضا خلال توسعهم العسكري في أوربا الغربية وبريطانيا؛ قساوة الظروف الطبيعية، حيث اضطرهم ذلك الى التراجع في الأخير، ثم انكفائهم إلى أراضيهم، ومن ذلك دخول جيوشهم في غابات جرمانيا الكثيفة، والتي اسفرت عن أحد أسوأ الهزائم التي مُنيَ بها الرومان، وذلك في معركة

---

(1) عبد العزيز الدولاتي و آخرون، **تونس: أعلام و معالم**، (تونس، وزارة الثقافة، الوكالة القومية للتراث، ط01 ، 1997، ص 84.

(2) – معادي أسعد صوالحة، **هنيبعل... قائد قرطاجة الذي تحوّل إلى كابوس يؤرق روما**، جريدة المساء، المغرب، 2011/06/04م، متوفر على الرابط الالكتروني:

https://www.maghress.com/almassae/134364

(3) المكان نفسه.

غابة تيوتوبورغ *Battle Of The Teutoburg Forest* سنة 09 ميلادية، وفيها أبيدت ثلاث فيالق رومانية كاملة، بالإضافة إلى ستة كتائب للمشاة، وثلاث أجنحة فرسان اسناد، تشكّل كلها ثمن الجيش الروماني، وكان ذلك نتيجة تحصّن الجرمان بالمناطق الغابية، وايقاع الجيش الروماني بكمين، ومنعه من التراجع.[1]

استمرت الطبيعة أقوى من جهود البشر في مواجهتها أثناء الحروب، واضطرتهم الى أن يتحجّجوا بذلك كتبرير لعدم التوسع العسكري وخوض الحروب، ومن ذلك أنّ بني إسرائيل تحاشوا محاربة الكنعانيين، اعتمادا على مبرر قوة هؤلاء من جهة، ولظروف المنطقة التي سكنوها، والتي تقتضي مرورهم عبر صحراء سيناء، كما أنه في وقت الرسول **صلى الله عليه وسلم**؛ تحجّج عدد من الأعراب بالتخلف عن الجهاد تحت مبرر الحرارة، وفي ذلك يقول **الله عز وجلّ**:

"**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ(81)**" [2]

في الخلافة الراشدة لعلي بن طالب؛ خطب في الجند منتقدا ضعف الروح القتالية لهم قائلا:

" **قلت لكم أّغزوهم قبل ان يغزوكم، فوالله ما غُزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلّوا.... فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر، قلتم هذه حمّارة القيظ، أمهلنا يّسبخ عنّا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء، قلتم هذه صبّارة القرّ(البرد)، كل هذا فرار من الحرّ والقرّ، فإذا كنتم من الحرّ والقرّ تفرّون، فأنتم والله من السيف أفرّ**".[3]

بينت خبرة المسلمين في اختيار مكان المعارك على تقديرهم العالي لدور الجغرافيا في الحرب، ومن ذلك اختيار مكان المواجهة العسكرية، وتثبت معركة بدر هذه الحقيقة، حيث أنّ الرسول **صلى الله عليه وسلم** سار بجيش المسلمين قبل المعركة، حتى نزل أدنى ماء من بدر، فقال له الصحابي الحباب بن المنذر الأنصاري:

يا رسول الله أهذا منزل أنزلكه الله؛ ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر، أم هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال: **بل هو الرأي والحرب والمكيدة،** فقال: **يا رسول الله ليس لك هذا بمنزل، فانهض بالناس حتى**

---

(1)- للاطلاع على حيثيات هذه المعركة يمكن الرجوع الى كتاب:
Jasper Oorthuys, **The Varian Disaster: The Battle of the Teutoburg Forest**,(Netherland : marspoortstraat , Karwansaray Publishers,2009).

(2) - سورة التوبة، الآية 81.

(3) أنور أحمد، خطباء صنعوا التاريخ،(مصر: القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية) ط 01، 1969)، ص 38

تأتي أدنى ماء من القوم، فإني أعرف غزارة مائه وكثرته، فتنزله و نغوّر ما عاداه من الآبار، ثم نبني عليه حوضا، فنملأه ماءا، فنشرب و لا يشربون، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: **لقد أشرت بالرأي.**[1]

رافق اختيار مكان المعارك ومسار الوصول إليها؛ خطط الفاتحين المسلمين، ومن ذلك أنّ خالد بن الوليد حينما كان في فتوحات الشام والعراق، اجتاز صحراء السماوة بالعراق، في واحدة من أجرأ المغامرات العسكرية في التاريخ، وأعظمها خطرا، حيث قطع أكثر من ألف كيلو متر في 18 يوم، ليفاجئ الجيش البيزنطي الذي كان يتوقع قدومه من جهة أخرى، بسبب صعوبة المسار الصحراوي[2]، وفي مثال آخر؛ اختار صلاح الدين موقع معركة حطين بالقرب من بحيرة طبرية، وحيث تتوفر المياه والمراعي، وبالتالي حال دون وصول الفرنجة الى موارد المياه، ثم قام بحرق الأعشاب والأشواك حيث اتجاه الرياح لزيادة عطش أعدائه.[3]

ظلّ المناخ غير الملائم لسير المعارك العسكرية، بمثابة الفرصة المناسبة لأطراف في تحقيق النصر العسكري، بالاعتماد على الأثر السلبي لقساوة الظروف الطبيعية المناخية في الإضرار بقدرة الجيوش على الحركة و الصمود، ويبرز في هذا ما صار يوصف بالجنرال شتاء *General Winter*، وهو تعبير رمزي بشان ظروف الشتاء القاسية ودورها في تعطيل العمليات العسكرية، ويمكن في هذا الاطار أن نستحضر عددا من النماذج؛ من بينها حرب الامبراطور المغولي تيمورلنك *Tamerlane* على الصين سنة 1404م، حيث واجه جيشه شتاءً استثنائي البرودة، أدّى إلى مقتل جزء كثير من الجيش والخيول، ووفاة تيمور لنك نفسه في كفاحه ضد البرد[4]، وتُمثّل أجواء روسيا ومناخها البارد؛ عقدةً للجيوش عبر التاريخ ترتبط بمفهوم الجنرال شتاء، ففي سنة 1709م تعرض الملك السويدي شارل الثاني عشر *Charles XII* إلى هزيمة شديدة؛ خلال حرب الشمال العظمى (1700-1721م) *The Great Northern War*، التي كان لها تأثير نفسي في أوروبا، جعلت ملوكها يفهمون مقصد قيصر روسيا بطرس الأكبر *Peter the Great* عندما قال:

---

(1) محمد الخضري بك، **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم**، (لبنان: بيروت دار المكتبة العلمية، ط01، 2017م)، ص 77.

(2) فهد خليل زايد، **عبقرية الانتصار في المعارك وفتح الامصار**، (الأردن: عمان، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط01، 2013م)، ص 134

(3) نجاة سليم محاسيس، مرجع سابق، ص 1196.

(4) كالي شيزبانسكي، **تيمور لنك رجل المتناقضات الصارم**، تر: مي اسماعيل، جريدة الصباح، العراق بتاريخ 2017/08/29م، متوفر على الرابط الاكتروني:

http://www.alsabaah.iq/ArticleShow.aspx?ID=143485

" إنّ لدى الروس قوة لا يستهان بها هي المناخ". [1]

بعد مرور قرن من الزمن من هذه الهزيمة، وقع نابليون بونابارت في الخطأ ذاته، فرغم أنّ الجيش الفرنسي احتل موسكو، إلا أن انخفاض الحرارة إلى أقل من 40 درجة مئوية، أدى إلى وفاة خمسين ألف(50000) من الخيول في ليلة واحدة، وعلى مدار أيام هلك ثلاثة أرباع الجيش الفرنسي؛ قبل أن يغادروا الأراضي الروسية، أي أنّ الحديث هنا عن أكثر من 450 ألف ضحية [2]، ماتوا دون أن يحاربوا.

عاد الحديث مجددا عن الجنرال شتاء؛ حين تورطت الجيوش الألمانية في حرب الاتحاد السوفياتي في الفترة ما بين: 1941-1944م، حيث تسببت قساوة الطقس في تدمير جزء كبير من الجيش الألماني، وكانت سببا رئيسا في هزيمة ستاليغراد، وأدت في النهاية إلى دمار الرايخ الألماني، وبعد الحرب العالمية الثانية برز مجددا أثر المناخ في عرقلة العمل العسكري، فبعد أن توغلت قوات الجنرال الأمريكي دوغلاس ماك آرثر *Douglas MacArthur* سنة 1950م في الأراضي الكورية الشمالية، استغلّ خصومه موجة البرد والثلوج؛ في شن هجوم معاكس أدى إلى طرد القوات الأميركية وحلفائها، بشكل سريع نحو خط العرض 38 مجددا.[3]

يمكن الإشارة إلى أنّ روسيا لا تتمتع فقط بالأمن، بفضل الحصانة المناخية، وإنّما أيضا بالامتداد الجغرافي؛ الذي كان يجعل الروس يمارسون خطة الدفاع في العمق، واستيعاب المهاجمين وعدم الاشتباك معهم في البداية، وكان يجري نقل الأفراد والمنشآت الصناعية إلى الشرق، سواء في حملة نابليون أو في حملة هتلر، كما أن جزءً من الشعب الروسي كان من السيبيريين(نسبة لسيبيريا) المتعودين على البرودة الشديدة، لدرجة أنهم وصفوا بانهم يأكلون الجليد، ويستحمون في برك المياه المتجمدة، وكل ذلك أهّلهم لإنجاح الهجوم المعاكس سواء في حالة نابليون أو هتلر.[4]

إنّه وتبعا لحقيقة تأثير المناخ في الأعمال العسكرية، فإنّ القادة المؤهّلين يجدر بهم قبل أي تحرك، مراعاة التأثيرات السلبية والايجابية للمناخ، حيث تساعد المعلومات المناخية الأطقم الصحية العسكرية في إعداد الترتيبات المناسبة للرعاية الصحية، كما أنّ هذه المعلومات تعمل على تنظيم استغلال

---

[1]-أحمد عمارة، **كيف أثر المناخ في حركة التاريخ والثورات والحروب؟**، منشور بتاريخ 2018/08/07، اطلع عليه بتاريخ:2018/06/11، متوفر على الرابط الالكتروني:
https://www.sasapost.com/how-weather-changed-the-history/

[2] – المكان نفسه.

[3] مادة **الجنرال شتاء، الموسوعة العسكرية**، ج 01، مرجع سابق ص ص 514-455.

[4] فهد عامر الأحمدي، **الجنرال الروسي شتاء**، جريدة الرياض ، العدد 14163، بتاريخ 2007/04/04.

الموارد الإعاشية، وتنظيم العطل للعسكريين، والاحتياط لحالات العدوى في المعسكرات، وكذا الاستغلال الأمثل للوقود والتدفئة، ومختلف الجوانب اللوجستيكية، وبالتالي فإنه لابد من الاستفادة من حالة الجو، وتقليل أضراره، واستغلال حالة التحسن في إدارة العمل العسكري.

يجب التنبيه إلى أنّ الطقس كلما كان قاسيا، فإنه لا ينف امكانية المغامرة والتحرك لتحقيق عنصر المفاجأة، ويعتبر انزال الحلفاء على ساحل النورماندي الفرنسي *La Normandie* في الحرب العالمية الثانية مثالا واقعيا على ذلك، حيث تم الانزال في الوقت الذي لم تتوقعه القيادة الألمانية بسبب رداءة أحوال الطقس.[1]

إن هناك عددا من عوامل الطقس المؤثرة على العمليات العسكرية، يمكن عرضها على النحو التالي:

01-الرؤية المدنية والمقترنة بالضباب خاصة والغبار، حيث أنّ تدني مدى الرؤية، يمكن أن يخفي مركز الثقل والمناورة للقوات التي تقوم بالهجوم، أو توفّر حماية للمناطق المستهدفة، ففي أوت 1945م تسببت الغيوم الكثيفة مع مدينة كوكورا *Kokura* في تحويل القصف بالقنبلة النووية إلى ناغازاكي *Nagasaki* التي لم تكن مدرجة للقصف، فيما كانت سماء هيروشيما*Hiroshima* صافية وخالية من السحب، مما سهل عملية القصف. [2]

02-الرياح السطحية والتي تتصل بالقوة؛ التي تقلل من فعاليات القرارات المتحركة أو المهاجمة، ففي معركة الأرمادة *Armada* تسببت الرياح القوية في خسارة الإسبان حين اشتعلت السفن الإسبانية بشدة، وسميت تلك الرياح بالرياح البروتستانتية*Protestant winds* [3]، كما تسبّبت الرياح في تدمير الأسطول المغولي المتجه لغزو اليابان سنة 1281م، وذلك حين كانت الحملة متصادفة مع موسم الأعاصير، ممّا أدى إلى دمار السفن المغولية وغرق راكبيها.[4]

03- التساقط والمقترن بهطول الأمطار التي تؤثر على صلاحية التربة للسير، وقد تعطل حركة المعدات، مع التأثير على مدى الرؤية، ونشوء المستنقعات والتقليل من فعالية الرادارات، وزيادة منسوب الممرات المائية.[5]

---

(1) - ساسي شهاب أحمد، مرجع سابق، ص 49

(2) -أحمد عمارة، مرجع سابق على الانترنت.

(3)-Vladimir Jankovi , **Reading the Skies :A Cultural History of English Weather :1650-1820 ?**,(UK: Manchester, Manchester university press, 2000), p 56.

(4)- الأمجد سلامة، **عالم جديد: الرياح الالهية**، جريدة الأخبار، لبنان، العدد 3268، ص 10.

(5) سامي شهاب أحمد، مرجع سابق، ص ص 52-53

04- الحرارة و الرطوبة؛ حيث أنّ ارتفاع درجة الحرارة ونسبة الرطوبة، لهما أثر سلبي على أداء الأفراد، وكفاءة المعدات[1]، ويبرز نموذج حرب الخليج الانعكاسات السلبية للحرارة المرتفعة على تكلفة الحرب، وهو ما جعل كثيرا من العمليات العسكرية تتم في ظروف جوية اكثر اعتدالا، قبل حلول موسم الصيف. إن هناك ضرورة لتحديد المعاينات الإرصادية المشتركة وتعريفها، وهذا استجابة لمن الملاحة البحرية العسكرية، فالإعصار الذي دمر جزء من اسطول الحلفاء أمام مرفأ سيفاستوبول *Sevastopol* إبان حرب القرم *The Crimean War*، أسهم في الحث على تعاون محطات إرصاد أوروبية عدة، وتولى التنسيق بينها مرقب باريس.[2]

تدرس الجغرافيا الحربية أو الجغرافيا العسكرية الدور الحيوي، الذي تؤديه العوامل المكانية والجغرافية والمناخية في الحرب، بحيث أن هناك صلة بين التضاريس من جهة وعوامل الطقس من جهة ثانية، وحالة الانتصار في الحرب من جهة ثالثة، وذلك إدراكا بأنّ العلم العسكري، مهما تطوّر فإنّه يظل بحاجة إلى مراعاة ما يوصف بقساوة المناخ، وصعوبة التضاريس، وأنّه يجب تدريب العسكريين على التأقلم مع كافة الأوضاع القتالية، وفي كل الظروف الطبيعية والمناخية، وعلى القادة العسكريين التضلّع في ذلك لتفادي الهزائم الحربية.

المطلب الثاني: الطروحات الأخلاقية في إدارة الحروب

رافقت الحروب الوجود الانساني عبر التاريخ، وكان ينظر البها كوسيلة مطلوبة لحسم الخلافات وتحصيل الامتيازات، والوصول عبر الأسلوب الاكراهي الى حالة الاخضاع للآخرين، وفرض السلطة عليهم، وعلى هذا الأساس فإنّ جاذبية الهدف كانت تطغى على أي حسابات أخرى؛ بما فيها الحسابات الأخلاقية، التي تضفي على الحرب قيودا بشأن استعمال القوة، وحدود وحجم هذا الاستعمال، ومراعاة الجانب الانساني أو خصوصية التوقيت أو المكان أو الأعراف، ومن منطلق أن الحرب حالة عنف مبرر مصلحيا، فقد اختلف توصيف النصر فيها بين الأطراف، فهي حالة وسلوك همجي في جانب، وهي مثال للبطولة والاقدام من جانب آخر.

إنّ البدايات الأولى للحروب تزامنت مع الطابع الوحشي والمتخلف للمجتمعات الانسانية، وبذلك فإنّها كانت متجردة من القيم والضوابط والمعايير الأخلاقية، ولم يتم النظر اليها على أنّها تخرج من دائرة

---

[1] المرجع نفسه، ص 55

[2] غيّوم ديفان، **عالم أوحد: تطور التعاون الدولي**، تر: نصير مروة، (لبنان: بيروت، مؤسسة الفكر العربي، ط01، 2016)، ص 26.

الضروري والمبرر، دون حساب للتكاليف والتبعات الأخلاقية، ويمكن ربط الأخلاق والحرب بمفهوم راسخ في تاريخ الحروب وهو مفهوم الحرب العادلة *Just war* التي تمثّل الإطار الذي يتضمن مجموعة من المعايير المحددة لما هو عادل، وما هو غير عادل بالنسبة للحرب، سواء على مستوى شنها، أو على مستوى ادارة عملياتها بعد اندلاعها فعلا. [1]

جعل رسوخ مفهوم الحرب العادلة سياقات اندلاعها، وتبريرها ضمن ما يوصف بالحرب الأخلاقية، وهو ما دأبت عليه الكتابات الفلسفية والدينية؛ وصولا الى الفكر السياسي الحديث، على أساس وجود حدين منطقين؛ هما حد الحرب وحد العدالة[2]، وبالتالي هناك محاولة لتكييف فعل شنيع وعنيف مع جملة من أخلاقيات المساعدة والإحسان، ودفع الخطر والعدوان.

ظلّت الأخلاق بمثابة حالة مراجعة قبلية للقادة بشأن خوض الحروب، إلا أنّها نادرا ما كانت عقلية عقبة أمام شنها، ولم يتحول الكابح الأخلاقي إلى مانع للحرب إلا نادرا، ففي عهد اليونان يقدم لنا ثوسيديدس *Thucydides* جزءًمن نقاش ذا مضمون أخلاقي حدث خلال الحرب البيلوبونيزية *The Peloponnesian War* (431-404 ق.م) بين إسبرطة *Sparta* وأثينا*Athens*، حيث طالب الأثينيون أن يقوم أهل مدينة ميلوس Milos بتسليم مدينتهم، وأن يدفعوا الجزية، أو أن يواجهوا الحرب والتدمير، ورغم أن أهل ميلوس طالبوا بالحق في البقاء على الحياد، وقدموا التبرير الأخلاقي أملا في الرحمة؛ كونهم مسالمين وضعفاء، وأنّهم لم يسببوا الأذى لغيرهم، غير أنّ الأثينيين لم يبالوا بالحجة الأخلاقية، وأكّدوا أنّ معيار العدل يعتمد على التساوي في قوة الاكراه، وأنّ الأقوياء يفلعون في الواقع ما عليهم فعله، وأنّ الضعفاء يقبلون ما عليهم قبوله، وعلى أساس هذا التبرير اقتحم الأثينيون مدينة ميلوس، وأعدموا البالغين من الرجال، وباعوا النساء والأطفال.[3]

أكسبت المعتقدات الدينية الحروب السمة الروحية، والمبرر لخوضها خصوصا حينما احتدم النقاش حول توصيف أطراف الحرب بين الكفر والايمان، والحق والباطل؛ وجرى تغليف غايات الحروب بفكرة انتصار الخير على الشر، وعلى هذا الأساس تصرف اليهود بحسب شريعتهم المحرّفة، على أنّهم شعب الله المختار، وهي مقولة أساسية في النسق الديني اليهودي، حيث ورد في سِفْرْ التثنية (14/2)

---

(1)- نصار محمد عبد الله، **مدخل الى نظرية الحرب العادلة**، (مصر: القاهرة، عين للدراسات والبحوث، ط01، 1993)، ص 05.
(2)- جميل حمداوي، **هل هناك حرب عادلة؟** (المغرب: الناظور، سلسلة كتاب الاصلاح، دون ذكر دار النشر، 2014)، ص14.
(3) -غراهام ايفانز، مرجع سابق، ص 438.

"**لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض.**"[1]

لقد نجم عن هذا التصور تبرير أعمال القتل والتدمير التي تستهدف غير اليهود، خصوصا وأنّ أحد شعارات الحرب المقتبسة من التوراة المحرّفة، نصها "**ملعون من يمنع سيفه عن الدم**"[2]

إن استعراض هذه الأقوال، تبين كيف أنّ اليهودية كمعتقد محرّف؛ بررت الحروب دون مبالاة بوحشيتها، أو الظلم الذي يقع فيها، أو الخيانة واخلاف العهود، التي لطالما تميّز بها اليهود عبر التاريخ.

حاولت المسيحية أن تظهر كدين للتسامح، وتغليب المعيار الأخلاقي، إلاّ أنّه وبهيمنة الكنيسة عليها، والتفسيرات المختلفة للنصوص التي احتكرها رجال الدين، أبان المسيحيون عن وحشية شديدة في التعامل مع غيرهم، بدعوى كونهم كفارا أو وثنيين، ورتبوا لفكرة الحرب المشروعة والأخلاقية على غرار ما قدمه القديس أوغستين*Saint Augustine* في ثنائية الخير والشر، أما القديس توما الأكويني *Saint Thomas Aquinas* فتحدث عن عدالة القصد في الحرب، وشنها من سلطة شرعية، والمضي فيها بعزم.[3]

أما بالنسبة للبيئة العربية والإسلامية؛ فقد اتصلت الحروب في الجاهلية بمعاني الشهامة والفروسية والنصرة للمظلومين، والتأهب الدائم للحرب، حيث كان العرب يعيشون في بيئة بسيطة، يمارسون الغزو والردع فيما بينهم، وهو ما وصفه الشاعر زهير بن أبي سلمى:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يُظلم.[4]

في حين أنّ البعض الآخر كان يبتغي السلم ويحترم جيرانه ومواثيقه، ولكنّه يرد على العدوان على أساس عدم قبول الخضوع والدنيّة، وكانوا يفتخرون بهذا الأمر، ومن ذلك قول هدبة بن الخشرم:

وما أبتغ الشر والشر تاركي ولكن متى أحمل على الشر أركب. [5]

---

(1) -عمر مصالحة، **التلمود: المرجعية اليهودية التشريعات الدينية والاجتماعية**، (الأردن: عمّان، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط01، 2006)، ص97.

(2)- ياسر طالب الخزاعلة ورجائي جميل حرب، **تشكيل العقل الصهيوني: السعي نحو يهودية الدولة**، (الأردن: عمّان، دار الخليج للصحافة والنشر، ط01، 2017)، ص 324.

(3) – جميل حمداوي، مرجع سابق، ص48.

(4)-جميل حمداوي، مرجع سابق، ص48.

(5)-أحمد الهاشمي، **جواهر الأدب في أدبيات وانشاء لغة العرب**، لبنان، (لبنان: بيروت، دار المعرفة، ط04، 2015) ص470.

يمكّن أن نسجّل في هذا الإطار؛ أنّه وبالرغم من طبائع الجاهلية، فإنّ الحرب اقترنت بقيم المواجهة المباشرة دون الغدر، وإعلاء قيم الشرف والفضيلة ووحدة رأي القبيلة، وجاء الاسلام فعمّق القيّم الأخلاقية على نحو غير مسبوق في الحرب واحترام العهود، وأخلاقيات المعارك، ووضع الأسرى وغير المحاربين، وقد تمثّل المسلمين بوصايا رسول الله **صلى الله عليه وسلم** التي كانت تسبق كل غزو وجهاد في سبيل الله، حيث نقل عنه في وصيته لأسامة بن زيد قوله:

" **يا أيها الناس قفوا أوصكم بعشر فأحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له...**"[1]

سار الخلفاء الراشدون على نهج الرسول **صلى الله عليه وسلم** في إضفاء أخلاق الإسلام على حروب الفتوحات، حيث أنّهم استنكروا الممارسات المنافية لطبع المسلمين، وشدّدوا على نقل أفضل الصور عن هذا الدين، واستمر هذا الوضع مع خلفاء لاحقين، حيث أنّ عملية فتح سمرقند، وبالرغم من أنّها أدخلت المدينة تحت الحكم الاسلامي، إلا أنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز استمع لشكوى أهلها، بأنّ قائد الجيش الاسلامي قتيبة بن مسلم، أخذ بلادهم غدرا وظلما، ودون سابق انذار بالحرب، فحكم القضاء لأهل البلاد، وأن يغادر الجيش المدينة، ويعود الى معسكراته خارجها، وهو ما جعل المعترضين؛ وأمام هذا الوضع، يقبلون بالانتماء الى الحكم الاسلامي.[2]

أضحى التصارع على السلطة قدرا واضحا ومتأصلا في التاريخ الاسلامي، فقد عمل العباسيون مثلا على افناء خصومهم الأمويين، على غرار ما فعل هؤلاء أيضا مع الهاشميين والخوارج، وقد حفّز الشعراء عملية القتل الجماعي لخصومهم، وضرورة استئصال كل من يهدد الحكم، وفي ذلك ما قاله الشاعر سديف بن اسماعيل بن ميمون محرضا العباسيين على إفناء خصومهم قائلا:

لا يغرنّك ما ترى من خضوع إن تحت الضلوع داءً دوياً
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويًا[3]

---

[1]-محمود عبدالهادي دسوقي علي، **الجوانب السياسية في خطب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم**، (مصر: القاهرة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، 2011)،ص179.

[2] - محمود مصطفى حلاوي، **معالم الحضارة في صدر الاسلام**، (لبنان: بيروت، دار الارقم ابن أبي الارقم للنشر والتوزيع، ط1، 2007)، ص101.

[3]-محمد عبد الستار البدوي، **مقتطفات عربية**، جريدة الشرق الأوسط، بريطانيا : لندن، 2016/06/11.

زاد البعد عن الفضيلة والخلق في حروب العصور الوسطى؛ سواءً من جانب المسلمين أو المسيحيين، ولم يعد هناك احترام للمواثيق والعهود والأماكن المقدسة، بل إنّ دخول المغول على خط المواجهة والغزو أدخل مفاهيم الابادة الجماعية، والتمثيل بالقتلى وإعدام الأسرى، وجرائم الحرب الأخرى من حرق الممتلكات وإفناء المجموعات البشرية، كما أنهم لم يراعوا حرمة الموتى ولا حرمة النساء ولا الصغار، حيث قام جنكيز خان مثلا بقتل ابن السلطان الخوارزمي وهو صاحب سبع سنوات قهرا لوالده، وتم تقطيع جسم الملك الكامل الأيوبي سنة 1260م، وكانوا يبتكرون أساليب بشعة بشأن تصفية الأسرى أو من جرى تأمينهم، ناهيك عن نهب الممتلكات وتدمير البنيان، وكل ذلك في اطار الحرب النفسية، وفي جانب آخر تم استخدام فكرة الدروع البشرية وأعمال السخرة، وكان يجري قتل كل من أصبح عاجزا.[1]

حقّق ميكيافيللي ***Machiavelli*** في عصر النهضة حالة الانفصال ما بين الأخلاق والسياسة، وبالتالي عادت النظرة مجددا بشأن اعتبار الأخلاق بمثابة عائق أمام كسب الحرب، وقد رأى ميكيافيللي بشأن توحيد الإمارات الإيطالية؛ أنّ الوسيلة الوحيدة لذلك، هي أن يّخضع الأمير الأكبر قوة باقي الامارات بالقصر والحرب، وبجميع الوسائل؛ غير متقيد بقواعد الحرب والأخلاق، إذ الحق للقوة دائما.[2]

ترسّخ النفور من الكابح الأخلاقي في فترة الكشوف الجغرافية، والاستعمار الأوروبي للعالم الجديد ثم لإفريقيا وآسيا، وذلك على أساس الاحتجاج بمنظور رسالة الرجل الأبيض، وأمانة الحضارة الأوروبية كنسخة منقّحة من رسالة الخلاص الروحي، وأمانة الإصلاح والتطهير، وبالتالي فإن هذه الحجة أعطت للأوروبيين ما ادّعوه من حق الفتح والسيادة[3]، ولم تبال في ذلك بحياة الملايين من البشر، الذين اعتبروا أقل إنسانية، وتمّ استسهال القضاء عليهم وتهجيرهم من أوطانهم.

إنّ التخوف من الاسراف في البعد عن الجانب الأخلاقي في الحروب، دفع بعدد من المفكرين في بداية العصر الحديث، إلى محاولة إضفاء الجانب القانوني على الأعمال الحربية، وهنا بدأ الحديث على ما سيوصف فيما بعد بالقانون الدولي الإنساني، والذي كان الغرض منه ومازا، الحد من المعاناة

---

(1)- يوسف ابراهيم الزاملي، **معاملة المغول للأسرى المسلمين**، مجلة الجامعة الاسلامية للبحوث الانسانية، جامعة الأقصى غزة، المجلد الثاني والعشرون، العدد الأول، يناير 2014، ص ص 321-342.

(2) - رشدي أبو شبانة علي رشيدي، **التضامن الدولي في النظام الاسلامي والنظم الوضعية: دراسة مقارنة**، (مصر: المنصورة، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط01، 2008) ص19.

(3) – عباس محمود العقاد، **لا شيوعية ولا استعمار**، (مصر: القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط01، 2013)، ص55.

الناجمة عن الحرب، من خلال توفير أكبر قدر من الحماية والمساعدة للضحايا، في حين أنّ قانون الحرب ظلّ يسعى إلى تقييد اللجوء إلى القوة. [1]

أدّى ترسّخ ممارسات الدول، والأعراف التي وضعتها خلال الحروب، إلى إرساء جملة من التوافقات في الحروب ذات المضمون الأخلاقي، ومن ذلك استهجان استهداف غير المقاتلين، وكذا التدمير غير المبرر للممتلكات، واستنكار حروب العدوان، والتحالف ضدّها، وإفراد الأسرى بوضع خاص، كما أنّ حماية التراث صارت من صميم الاستثناءات في الاعمال الحربية، حيث تم تحييد كثير من المؤسسات الدينية والتاريخية عن المعارك والمواجهات العسكرية، ولهذا تم النظر إلى استهداف دير القديس" بيندكتي" Saint Bonedict في معركة مونت كاسينو Monte Cassino سنة 1944م؛ على أنه عمل عسكري مناف لأخلاقيات الحرب.[2]

عرفت الحرب العالمية الثانية إثارة موضوع الأخلاق كحالة اعتراض شاملة على الحرب، بدءً من سياسة رفض الاسترضاء *Appeasement* التي جاءت كتوصيف لحالة التساهل التي تضمنتّها تسويات معاهدة ميونيخ Treaty of Munich سنة 1938م، حيث جرى التضحية بالمبادئ وسيادة واستقلال الدول من أجل النفعية والملاءمة، على حساب المعايير الأخلاقية في استرضاء دكتاتور لأجل كسب الوقت[3]، وكذلك تم استحضار بشاعة عمليات القتل الجماعي، ومعسكرات الاعتقال لملايين الأفراد، والقصف الشامل الذي طال المناطق الآهلة بالسكان، على غرار قصف مدينة درسدن *Dresden* الألمانية في فيفري سنة 1945م، والذي لم يكن مبررًا عسكرياً، باعتبار أنّ المدينة لم تكن هدفاً عسكرياً، كما أنّه لم تكن هناك قوات ألمانية بها، وقد أدى هذا القصف إلى مقتل 150 ألف مدني وتخريب 60% من المدينة، وبعد أشهر قام الأمريكيون بقصف مدنيتين يابانيتين بالسلاح النووي؛ في عملية إبادة شاملة دون حاجة عسكرية لذلك.[4]

استمر السجال بشأن تقييد الأخلاق للأنشطة العسكرية وحروب الدول، وذلك في خضم حروب التحرير في افريقيا وآسيا، وفي انتقاد العمليات العسكرية الولايات المتحدة الأمريكية خاصة في فيتنام، كما أنّ اسرائيل لم تبال في حروبها بالقيود الأخلاقية ولا بالأعراف الدولية، واستمرت في تهجير أصحاب

---

(1) – للتوسع في هذا السياق؛ يمكن العودة إلى نعمان عطاء الله الهيتي، **قانون الحرب أو القانون الدولي الإنساني،ج01**، (سوريا: دمشق، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر، ط01، 2008).

([2])- أحمد زكريء، **الجندي مقاتل وليس قاتلا**، مجلة الجيش، لبنان، العدد 379، جانفي 2017، ص ص 63، 67.

([3]) - جيفري تونيهام، مرجع سابق، ص38.

([4])- محمود أنس العلي، **السياسة الامريكية في الشرق الاوسط**، (الأردن، عمان، دار الجنارية للنشر والتوزيع، ط01، ص51.

الأرض من السكان العرب، وشن حروبها الاستباقية وأعمال القصف المكثف ضدّ التجمعات المدنية، مستخدمة الأسلحة المحرمة دوليا، والحرمان الاقتصادي والحصار، والاغتيالات، وذلك في سبيل القضاء على كل أشكال الثورة والانتفاضة ضدها، وبالنظر إلى هجمات اسرائيل على القطاع غزة خاصة منذ 2008م، يمكن القول أنه لم يجر احترام مبدأ التناسب في الأعمال الحربية، والذي يقتضي أن تلائم أعمال القصف والتدمير والتخريب للممتلكات من قبل الاحتلال؛ لغاية الضرورة العسكرية، مع متطلبات واحتياجات سكان الاقليم المدنيين، أي أنّ يتناسب حجم الرد مع حجم التهديد.[1]

إنّ لوسائل الاعلام دور مسؤول ومطلوب في كشف الانتهاكات وجرائم الحرب والجرائم ضد الانسانية، مهما كان حجم الانتصار في الحرب، وأنّ على قادة الجيوش أن يستذكروا محاكمات "نورنبرغ" *The Nuremberg trials* سنة 1946م بالرغم من انتقائيتها، وصولاً إلى المطالبة بمتابعة الانتهاكات المرتبطة بالحروب الأهلية، والحرب على الإرهاب والحرب على الإرهاب، والأوضاع المهتزة في دول النزاع، على غرار ما يحدث في سوريا منذ 2011م، حيث يجري الحسم العسكري على حساب المعايير الأخلاقية وحقوق الانسان، وينظر إلى الدعوات المناهضة للحرب على أنها إعاقة للمجهود الحربي.

المبحث الرابع: إدارة الحرب في العصر النووي

ظلّ أسلوب الصدام بين القوى المتحاربة، أساس الانتصار في الحروب والمعارك، واقتضى ذلك أن يقوم كل طرف بتطوير ما لديه من قدرات، يهدف من خلالها الى إلحاق أكبر قدر من التدمير والأذى بالخصم، ولقد تطور نطاق هذا الأذى والتدمير؛ من استهداف أفراد ومجموعات، إلى إمكانية الإفناء الشامل لمساحات جغرافية كاملة، بما عليها من أفراد ومعدّات ومنشآت، وظهر هذا الوضع ضمن استعمالات ما أصبح يوصف بأسلحة الدمار الشامل، التي جعلت الحروب مسألة أخطر من أن تُوكَلَ وتترك للعسكريين لوحدهم[2]، وذلك نظرا لعدم إمكانية تعويض الضرر، أو القدرة على التراجع ضمن سياقات التصعيد التي تنتهي باستعمال السلاح النووي، على سبيل الرّدع في أدنى المستويات، أو التدمير الكلي للخصم في المستويات الأقصى.

([1])-عبد الرحمان محمد علي، **الجرائم الاسرائلية خلال العدوان على قطاع غزة: دراسة قانونية**، (بيروت: لبنان، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط09، 2011، ص34.

([2]) -جمال سلامة علي، مرجع سابق، ص 147.

يقترن مجال الحرب في العصر النووي؛ بتتبع مسار توظيف التقنية النووية في الشأن العسكري، والمخاطر المترتبة عن الانتشار النووي، وحالة التوسع في عضوية النادي النووي على نحو قد يخرج الوضع عن السيطرة، من خلال تحفيزه للدول غير المالكة للسلاح النووي نحو السعي لامتلاكه.

إن هذا العرض لا ينبغ أن يغفل حالة التنظير المصاحبة للأفكار والرؤى؛ المتعلقة بجدوى استعمال السلاح النووي.

المطلب الاول: الأطر الاستراتيجية لكسب الحرب النووية

شكّل امتلاك السلاح النووي تحولا جذريا في حسابات القوة، وفي توقع الحروب وخوضها، نظرا للمآلات السلبية لاستعمال هذا السلاح من طرف دولة ضد أخرى؛ على نحو يتجاوز فكرة الرّدع، التي ظلّت حاضرة في كل أوجه الصدام بين الدول عبر التاريخ، ولمناقشة الأطر الاستراتيجية لكسب الحرب، لابد من الإشارة إلى ضرورة الربط ما بين القوة النووية كمعطى عسكري وفكرة الرّدع كضمانة وكإطار للتهديد، لأجل تحقيق مصالح أو ممارسة الإكراه الناجح على أطراف أخرى، والواقع أن هناك أربعة طرق رئيسية للرّدع، يمكن أن يحضر فيها توظيف السلاح النووي، وأن يؤدي إلى نتائج مرجوّة من الدول، وهذه الطرق تتمثل في الآتي:

أ–الردع عن طريق العقاب: والذي يتصل بتهديد الخصم بعقاب واسع إذا أقدم على اتخاذ إجراءات غير مقبولة من الدولة؛

ب–الرّدع بالحرمان من استعمال القوة: وذلك بأن تنجح الدولة في إقناع الخصم بكونها محصنة تماما، لدرجة تجعل مهاجمتها مكلّفة وغير مجدية؛

ج– الرّدع بالتطمين: وهو أسلوب أخف عدائية يتضمن إقناع الطرف الآخر بالنوايا السلمية، ويسعى لتخفيف خطر الاستفزاز، ويمكن في هذا الإطار الإشارة إلى مبادرات ضبط التسلّح النووي بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية؛

د–الرّدع بالمكافأة: ويتضمن كاستراتيجية المصالحة مع الخصم، ومكافأته على الإحجام عن اتخاذ إجراءات غير مرغوب فيها [1]، على غرار نموذج كوريا الشمالية.

بدّل ظهور الأسلحة النووية بشكل متتال لدى الدول؛ الغرض التقليدي للقوة، ومع أنّ احتمال اللجوء الى الحرب النووية ظلّ قائما، بدليل أن استراتيجيات الدول الكبرى تجعله كاحتمال، وتعدّ خططها

(1)-ديفيد جارنم، **مستلزمات الردع: مفاتيح التحكم بسلوك الخصم**، ترجمة ونشر مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، (الامارات العربية المتحدة، أبو ظبي، ط1، 1995)، ص ص08،09.

الهجومية والدفاعية على أساسه، إلاّ أن السعي لإبراز مفهوم الرّدع يظل مقترنا بمفهوم البديل الأكثر كفاءة في العصر النووي.

إن قوام نظرية الرّدع النووي هو تضييق الخيارات أمام الخصم، ويمر ذلك عبر ثلاث استراتيجيات:

01- إستراتيجية الرّدع المتبادل *Mutual Deterrence* :

تقوم هذه الإستراتيجية على توازن الرّدع ، حيث تعترف بقدرة الطرف الثاني على الرّدع مثلما هو حال الطرف الأول، وبالتالي فإنّ قدرة الدول على مقاربة قدراتها من أسلحة التدمير الشامل؛ بمستوى يؤهلها لإلحاق الدمار ببعضها، سوف يدخل معيار التفاوض، وترجيح الخيارات السليمة، وقد اعتقدت الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية بإمكانية تحقيق الأمن عن طريق الرّدع النووي؛ اعتمادا على كونها القوة النووية، إلاّ أنّ ذلك لم يصمد بسبب توسع النادي النووي[1]، ويمكن الإشارة أنّه –وفي إطار التنافس الأيديولوجي إبان الحرب الباردة– حاولت الولايات المتحدة أن تمتلك الأسبقية والتقدم على الاتحاد السوفياتي لدعم ما عرف باستراتيجية الاحتواء، والتي استمرت لسنوات في مجابهة المد الشيوعي والسعي للدفاع عن المصالح الأمريكية، وعزّز ذلك تكوين حلف شمال الأطلسي، كإطار للتحالف الاستراتيجي بين دول غربية بدأت تملك تباعا السلاح النووي.

02- إستراتيجية الرّدع التدميري *Destructive Deterrence* :

هي استراتيجية بدأت تنحو بالدول الكبرى نحو امتلاك أكبر قدر ممكن من الأسلحة غير التقليدية، وذلك انطلاقا من حقيقة أن امتلاك الدولة لتلك الأسلحة يتيح لها صفة رادعة ضد الآخرين، ويجعل بإمكانها التصعيد لأقصى مستوياته[2]، وعلى هذا الأساس برزت لدى الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجية الرّد الشامل، والتي كان مضمونها الصرامة في اختيار الرّد على أي هجوم قد تتعرض له المصالح الأمريكية، بشكل يحرم الخصم فرصة فرض شروط القتال من حيث المكان والزمان والأسلوب التعبوي أو الاستراتيجي، وذلك عبر استعمال كل ما توافر من السلاح النووي[3] .

---

(1) -جمال سلامة علي، مرجع سابق، ص 198.

(2)- المرجع نفسه، ص 200.

(3) -سوسن العساف، **استراتيجية الرّدع: العقيدة العسكرية الأمريكية الجديدة والاستقرار الدولي**، (لبنان: بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط01 ،2007)، ص79 .

إنّ تطور القدرات الإستراتيجية السوفياتية وتمتعها بمصداقية وكفاءة لم تكن متوافرة لها من قبل، أفقد نظرية الرّد الشامل الأمريكية قدرتها لأن تكون أساسا حقيقيا لسياسات الكتلة الغربية، وجعل تطبيقها غير ممكن عمليا في ظل التوازن الاستراتيجي والقدرات النووية؛ التي ظلّت تتطور باستمرار، ومع وجود أنماط جديدة لأسلحة الدمار الشامل.

03- إستراتيجية الرّدع المتدرج *Graduated Deterrence* :

لقد اتّضح أنّ استخدام الأسلحة النووية ضمن منظور الرّد الشامل لا يخل من التعقيدات، فهو إن جرى العمل به فإنّه يستدعي كافة الأسلحة النووية، وهذا من شأنه تحويل أي صراع ثانوي إلى صراع مركزي يشمل جميع أراضي الدولتين المتحاربتين، ويستدعي دخول الحلفاء، ممّا يوسّع نطاق المواجهة [1]، ومع أنّ إغراء توجيه الضربة الأولى يظل حاضرا، إلاّ أنّ منظور التصعيد التدريجي ظلّ الأكثر اقناعا.

يتصل الرّدع التدريجي بتوجه الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها نحو تبني استراتيجية بديلة عن الرّد الشامل، تم تسميتها بالرّد المرن، والتي انطوت ضمنيا على استبعاد فكرة اللّجوء الى الحرب النووية الشاملة؛ كاحتمال ممكن في سياق التعامل بين الدولتين العظمتين، والاستعاضة عن ذلك بسلسلة من ردود الفعل المتدرجة، والمحكومة بضوابط وروادع من الصعب على كلا المعسكرين تجاوزها. [2]

إن ظروف الحرب الباردة وأجواء المساءلة والتنافس الانتخابي في الولايات المتحدة خاصة، والصورة المأساوية لاستعمال السلاح النووي في اليابان، والمخاوف من أن يفقد الملايين حياتهم بسبب أزمات الحرب الباردة أدّى إلى رواج جملة من المصطلحات التي تميل أكثر نحو مفاهيم الحرب التكتيكية والحرب المحدودة والردع المتدرج، ولقد ابتكر الاستراتيجي هيرمان خان (*Hermann khan*) في كتابه عن الحرب النووية الحرارية *ON Thermonuclear War* مصطلح آلة يوم القيامة *Doomsday Machine*، والتي افترض فيها التوصّل إلى قدرات تقنية؛ يكون بوسعها تدمير كل الحياة البشرية إذا ما جرى استهداف

---

(1) -مادة انتقام شامل، **الموسوعة العسكرية**، ج01، مرجع سابق، ص125.

(2)-قاسم محمد جعفر، **الاستراتجية النووية الأمريكية الجديدة: التحول من الرّدع المستند على "الدمار المؤكد المتبادل" إلى التفكير في خوض الحرب النووية والفوز فيها**، في محمود عزمي (محرر)، **الفكر الاستراتيجي الغربي**، (لبنان: بيروت، معهد الإنماء العربي، العدد الثاني، أكتوبر 1981)، ص48.

الولايات المتحدة الامريكية، وبالتالي فإنّ التهديد الرّادع يعبّر عن أقصى المستويات المتوقّعة، حيث يكون الوضع متصلا بحقيقة أنّ الجهة التي تهدّد تردع نفسها جرّاء فداحة التهديد.[1]

في الجهة المقابلة راهن السوفيات على الجانب الدّعائي في مضامين الرّدع النووي، حيث رأى المارشال السوفياتي "فاسيلي سوكولوفسكي" *Vassili Sokolovski* (1897م-1968م) في كتابه الاستراتيجية العسكرية السوفياتية؛ بشأن ضرورة امتلاك القدرة لا على منع الحرب النووية فحسب، بل وعلى خوضها والانتصار فيها[2]، ورغم أنّه جرى الترويج لهذا المنظور في المطالبة بالعودة إلى استراتيجية الرّد الشامل، خصوصا مع التورط الأمريكي في فيتنام، إلاّ أنّ ضغوط المجمع العسكري الصناعي من جهة حول إبقاء الاهتمام بالأسلحة التقليدية المطلوبة في مناطق النزاع، وضغوط وسائل الإعلام وحركات الاحتجاج، كلّها أسباب جعلت فكرة الكفاية الدفاعية والرعب النووي المتبادل تدفعان نحو المرونة والدبلوماسية أكثر.

أدّى غزو السوفيات لأفغانستان سنة 1975م، وتغيّر القيادة الأمريكية بوصول إدارة "ريغان" إلى السلطة على أن تتجه الولايات المتحدة الأمريكية نحو إعادة إحياء الفترات الصعبة من الحرب الباردة، حيث أنّه تمّ افتراض أنّ وضع الولايات المتحدة الأمريكية يجب أن يكفل لها الصدارة النووية والتفوق العسكري، وهذا بجعل الاتحاد السوفياتي ينخرط في سباق تسلح جديد، يستهلك النسبة الأكبر من ناتجه القومي، وكان لاستراتيجية مبادرة الدفاع الاستراتيجي *Strategic Defense Initiative*، والتي عرفت بحرب النجوم دور كبير في تحقيق هذا الهدف، حيث تقوم على أساس الحماية من الهجوم بدلا من التهديد بالإبادة، وأن يكون نطاق المواجهة في الفضاء، بشكل يحرم السوفيات من القدرة على استهداف الأراضي والمصالح الأمريكية. [3]

لم تتوقف الولايات المتحدة الأمريكية عن تصور حرب نووية؛ بالرغم من انتهاء الحرب الباردة، حيث انخرطت في تطوير ما عرف بنظام الدرع المضاد للصواريخ، والذي جرى معه تصور تعدد مصادر التهديد للولايات المتحدة الأمريكية، والبحث في سبل مواجهتها، وذلك عبر تطوير نظام يتم فيه بناء شبكات حماية؛ مكوّنة من أنظمة صواريخ عبر نقاط ارتكاز جغرافية متعددة، وبالنظر إلى القدرات

(1) - جيفري تواينهام، مرجع سابق، ص 187.
(2) - قاسم محمد جعفر، مرجع سابق، ص48.
(3)- سوسن العساف، مرجع سابق، ص ص 96 – 99.

النوويـة التـي تحوزهـا الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، فـإنّ هـذا المشـروع هـو تجسـيد واقعـي للمبـادئ الجيوبوليتيكية المتصلة بفكرة السيطرة على الفضاء كسبيل لتحقيق الهيمنة. [1]

إنّ مخـاطر المواجهـة النوويـة مازالـت تستحضـر التبعـات اللاإنسـانية لاسـتعمال السـلاح النـووي ضـد اليابان سنة 1945م، كما أنّ فكرة المبادرة باستخدام هذا السلاح بشكل استباقي لا يضمن في جميع الحالات توصيف العمل بالعدوان الذي يقتضي استخدام كل الإمكانيات ضمن الضربة الثانية، وهو مصير لا يناسب سعي العالم لتحقيق سلام راسخ ومستمر.

المطلب الثاني: توسع النادي النووي ومخاطر المواجهة

ظلّ موضوع امتلاك أسلحة الدمار الشامل خاصة النووية منها في صميم النقاش بشأن العلاقات بين الدول عقب الحرب العالمية الثاني، وعلى وجه التحديد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، لذا كان من الطبيعي أن تثار قضايا التسلح النووي ضمن كل المباحثات الدولية، وأن يتم التحسب للمالكين لها فعليا أو الساعيين لامتلاكها، على أساس نظرة مفادها أنه كل ما زاد هؤلاء فإن مجال الخوف يتسع، والقدرة على ضبط الأجندة الأمنية للدول تتراجع لصالح مجموعة من الاجراءات تعزّز معضلة الأمن، وتنقل الاهتمام من تركيز صرف على القدرات النووية إلى الاستثمار في الأسلحة التقليدية، وكذا تطوير الأشكال الأخرى من أسلحة الدمار الشامل.

إنّ تراجع مخاطر اندلاع حرب نووية شاملة بعد انتهاء الحرب الباردة لم يجعل من العالم أكثر أمنا واستقرارا، حيث توسّعت عضوية النادي النووي [2]، وتم اكتشاف حالة من التنافس في الوصول إلى العتبة النووية وتجاوزها، ضمن القدرة على تصنيع أسلحة نووية، وفي إطار آخر أبانت صعوبة التفرقة بين حدود الاستعمال السلمي للطاقة النووية وتوجيه هذه الأخيرة إلى الغرض العسكري عن شكوك ومخاوف مبررة بضعف ضمانات الحماية من العدوان عند امتلاك هذه الأسلحة.

إنّ هذه المخاوف تتصل بمفهوم الانتشار النووي، والذي يرتبط بتفسير واسع لسعي الدول في أن تصبح دولا نووية، وحيث أنّ هذا الانتشار يأخذ طبيعتين هما الانتشار العمودي والانتشار الأفقي، ففيما يشير الشكل الأول إلى حالة تطور في مستوى القدرة التدميرية للأسلحة النووية لدى الدول المالكة لها قبل 1968م، وكذا طرق إطلاق هذه الأسلحة والتكنولوجيات المتطورة في تصنيعها

(1)-عادل بديوي، **الإدراك الإستراتيجي للولايات المتحدة: دراسة في المبادئ الجيوبوليتيكية**، (الأردن: عمان، دار الجنان للنشر والتوزيع، ط01، 2015)، ص244

(1) –نزار عبد القادر، **إنتشار أسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط**، مجلة الدفاع الوطني اللبناني ، العدد 43، جانفي 2003، ص ص 5-64.

وحفظها ونقلها وتجهيزها، وبالتالي فإن النقاش هنا يستوعب البعد الرأسي في الانتشار، من الانتقال من مستوى أدنى إلى مستوى أعلى بتنويع اشكال وتكنولوجيات تلك الأسلحة لدول تمتلكها أصلا، أما الشكل الأفقي وهو المفهوم المرتبط بالدول غير المالكة للأسلحة النووية، والتي تسعى أو تمكنت بالفعل من حيازة قدرات نووية تستطيع من خلالها صنع السلاح النووي. [1]

لقد حققت الولايات المتحدة الأمريكية الأسبقية في امتلاك السلاح النووي سنة 1945م، ونجح مسعى الاتحاد السوفياتي في استعادة توازن الرّدع بعد أربع سنوات، فيما حاولت بريطانيا تجاوز فكرة المظلّة الأمنية النووية الأمريكية، ونجحت في أن تحوز السلاح النووي سنة 1952م، واستغرق دخول فرنسا إلى النادي النووي ثماني سنوات أخرى، أما الصين فإن رئيسها "ماوتسي تونغ" كان منذ البداية ضد احتكار السلاح النووي في نطاق الكتلتين، معتبرا أن ذلك يبقي تسلّطهما في السياسة الدولية[2]، وقد نجحت الصين بالفعل في أن تصير العضو الخامس في النادي النووي، وهؤلاء هم الأعضاء الدائمون في مجلس الأمن الذين لم يتوقفوا عن العمل على تطوير ترسانتهم وزيادة قدرتها التدميرية.

يوضّح الجدول01 التوزع المعلن للترسانة النووية في العالم:

الدولة	رؤوس حربية استراتيجية	رؤوس حربية غير استراتيجية	احتياطي مزمع تفكيكه	مجموع الرؤوس الحربية
روسيا	2787	2050	8150	12987
الولايات المتحدة	2202	500	6700	9402
فرنسا	300	-	-	300
الصين	180	مجهول	60	240
بريطانيا	160	-	25	185
إسرائيل	80	-	-	80
باكستان	60	-	30-10	ما بين 70 إلى 90
الهند	60	-	-	ما بين 60 إلى 80
كوريا الشمالية	مجهول(*)	-	-	مجهول
المجموع	5829	2550	14965	23364

(*) على الرغم من اختبارين نوويين أجرتهما كوريا الشمالية، لم يتوفر بعد دليل معلن على أنّ كوريا الشمالية فعّلت قدرتها النووية.

جدول 01: الترسانات النووية في العالم

المصدر: جابر بقشان، **روسيا وأمريكا تملكان 90% من الرؤوس النووية في العالم**، جريدة الخليج الجديد، 2018/01/18.

---

[1]- أحمد علّو، **بين الإنتشار النووي والردع الصاروخي: العالم على رأس صاروخ**، مجلة الدفاع الوطني البناني، العدد 71، جانفي 2010م، ص ص 79-122.

[2]- صبري اسماعيل مقلد، **الإستراتيجة والسياسة الدولية: المفاهيم والحقائق الأساسية**، (لبنان: بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ط 01، 1979م)، ص ص 197-209.

ضمن طرح واقعي وتفاهمات براغماتية بين هؤلاء الأعضاء ظهر توجه لإغلاق هذا النادي وحصر عضويته على تلك الدول فقط تحت ادعاء الجوانب السلبية للانتشار النووي، لذا فقد تم تصميم معاهدة حول عدم انتشار الأسلحة النووية، غرضها أن تكون أداة معلنة للسلامة الجماعية للدول، وركيزة ضمن النظام الأمني العالمي، وقد جرى توقيع هذه المعاهدة في 1968/07/01م، ودخلت حيز التنفيذ بتاريخ 1970/03/05م، والواقع أن هذه المعاهدة تميز بين الدول الحائزة للأسلحة النووية، وهي الدول التي قامت بتجريب الأسلحة النووية قبل 1967/01/01م والمشار إليها سابقا، ودول غير حائزة على تلك الأسلحة وهو ما ينطبق على باقي دول العالم الأخرى[1].

إن السعي لنزع أسلحة الدمار الشامل ومنع الدول الغير الحائزة من امتلاكها يستحضر أجواء الأزمات التي شهدتها الحرب الباردة حين كان التلويح بالحرب النووية واردا جدا، على غرار ما حدث في أزمة الصواريخ بكوبا سنة 1962م، وأجواء التصعيد في أزمات لاحقة، ولقد أدت نهاية الحرب الباردة على إحداث تعديل بشأن مكانة السلاح النووي في الاستراتيجية العالمية، والمفارقة أنّ انتهاء الحرب الباردة لم ينه الخطر النووي بل إن طبيعة هذا الخطر ومصادره التي باتت متنوعة ومجهولة هي التي تغيرت، وقد حذّر وزير الخارجية الأسبق جيمس بيكر *JAMES BAKER*، غداة انهيار الاتحاد السوفياتي قائلا:

إنّنا أمام خطر ووضع شبيه بما يحصل في يوغسلافيا، ولكن مع أسلحة نووية هذه المرة فمن يستطيع السيطرة على 27 ألف رأس تكتيكي موزعة بين مخازن روسيا وأوكرانيا وكزاخستان وروسيا البيضاء ؟[2]

إن مسعى بعض الدول لاستخدام الطاقة النووية في المجال السلمي وحده تواجهه جملة عراقيل، معظمها تقني، وترتبط أولاها بالكيفية التي تتوزع بها القدرات النووية على المستوى الدولي، مما يؤدي إلى تشتيت جهود الحضر والتقييد، وبالتالي الانتقاص من فاعلية الرقابة الدولية على الأنشطة النووية التي تجري داخل حدود الدول، وتتحّدد الصعوبة الثانية في التجهيزات المستخدمة في

(1)- جمال مهدي، النظام القانوني الدولي لحماية البيئة من الأضرار الناجمة عن الأسلحة النووية،(مصر: القاهرة، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، ط 01، 2015م) ص 71.

(2)- غسان العزي، **السلاح النووي بعد الحرب الباردة : نحو المزيد من الإنتشار والعولمة**، مجلة الجيش العدد 26، أكتوبر 1998م، ص ص 129-164.

إنتاج الوقود النووي، حيث أن تقنية الفصل الكيميائي تسهل من احتمال إنتاج البلوتونيوم للأغراض العسكرية، وهو ما يزيد من احتمال ارتفاع عدد الدول الحائزة للأسلحة النووية[1].

اتجهت مخاوف القوى الكبرى بعد تراجع حدّة الحرب الباردة ثم نهايتها نحو الدول التي حصلت على التقنية النووية ثم استطاعت أن تحصل على سلاح نووي، ومن ذلك الهند وإسرائيل وباكستان وكوريا الشمالية، وبالتالي فإنّنا أمام مناطق جغرافية متعدّدة، وخروق واضحة لمعاهدة عدم الانتشار النووي، وفي إطار مسألة المفاوضة في التحرك لمنع توسع النادي النووي أكثر، فإن الولايات المتحدة اتّجهت إلى تجريد الدول التي لديها مشاريع نووية على غرار ما حدث مع العراق وليبيا، وممارسة الضغوط والإغراءات في التعامل مع دول حققت القدرة على تصنيع السلاح النووي؛ على غرار باكستان، وفي جانب آخر حشد الدّعم الدولي لمحاصرة كوريا الشمالية التي صارت منذ 1993م دولة نووية، وفي مثال آخر تمارس الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها سياسة عزل لإيران بحجة برنامجها النووي، كما تهدد بفتح كل الخيارات ضد إيران بما فيها القوة العسكرية[2].

يلاحظ أن هناك دولتين بالرغم من حصولهما على السلاح النووي بعد 1968م، مع ضبابية الوضع بالنسبة لإسرائيل التي تحيط ترسانتها النووية بسرية كبيرة، حيث لدينا كل من الهند وإسرائيل في بيئة جغرافيا معادية، حيث ترتفع الدعوات في الشرق الأوسط إلى معالجة موضوع الانتشار النووي بإدراج إسرائيل في هذا النقاش وإخضاع منشآتها النووية للرقابة الدولية، وتفكيك برنامجها النووي [3]، وبالنسبة للهند فإنها في تنافس وسباق تسلح دائم تجاه الصين وباكستان.

عملت أحداث عدم الاستقرار في أروبا الوسطى خاصة في البلقان، والتي كانت تكريسا لحالة التراجع الروسي، والتي اقتضت أن تستغل الولايات المتحدة الأمريكية الوضع في التنصّل من التزامات سابقة في المجال النووي، ومن ذلك رفض مجلس الشيوخ الأمريكي التصديق على معاهدة منع

---

(3)- رانيا طاهر، **سياسات الإنتشار النووي: دراسة المحددات السياسية والأطر القانونية**، منشور بتاريخ 2015/07/06م، أطلع عليه بتاريخ 2018/06/13م، متوفر على الرابط الإلكتروني .http://machahid24.co/études/78412.html

(1) - أحمد علّو ، مرجع سابق، ص ص 79-122.

(2) - أن هناك فرقا بين تفكيك الأسلحة النووية وخروجها من الخدمة، حيث أن الاتفاقيات الحالية الخاصة بالأسلحة النووية لا تركز بصورة أساسية على تفكيك حقيقي لها، وخروج السلاح النووي من الخدمة لا يعني تفكيكه بالضرورة وإنما دخوله ضمن مخزن الأسلحة النووية، فالولايات المتحدة الامريكية لديها 2800 رأس نووي تم إخراجها من الخدمة بإزالتها من وسائل الإطلاق سواء كانت طائرات أو صواريخ أو غواصات، أنظر:

Terrell Jermaine Starr, **How To Dismantle A Nuclear Weapon,** published, 22/05/2017, see : 13/06/2018, the_electronice link:

https:/ foxtr talpha. Jalopnik.com/how –to-dismantle-a-nuclear-weapon-1795347850

التجارب النووية بشكل كامل في 1999/10/13م، وكان من شأن ذلك أن يجري تأويله بأنه سماح بمعاودة التجارب النووية على نحو آلي، ومن قبل كل الدول التي تملك هذه الأسلحة، وتصاعد الأمر حين ألغت الولايات المتحدة من جانب واحد في نهاية 2001م معاهدة عام 1972م التي تحد من انتشار الصواريخ المضادة للصواريخ، وذلك تحت مبرر الحماية من تقدم بعض الدول وهي باكستان وإيران وكوريا الشمالية في هذا المجال. [1]

يتمحور الاهتمام العالمي خلال العقد الأخير بمسألة الانتشار النووي حول كل من كوريا الشمالية وإيران، وحيث أن كوريا الشمالية بخصوصية علاقتها مع الصين وبدرجة أقل مع روسيا، فإن التركيز عليها ينصب في إطار سياسة الإغراء والإكراه، وتعريضها لجملة من العقوبات الدولية مع استمرار المفاوضات السداسية (الولايات المتحدة، كوريا الشمالية، كوريا الجنوبية، الصين، اليابان، روسيا) [2]، وانتهى الأمر بعد سلسلة ضغوط إلى توافق أولي في 2018/06/12م بشأن الابتعاد عن التصعيد، ووضع برنامج لنزع الأسلحة النووية لكوريا الشمالية.

تواجه إيران وضعا مختلفا من خلال كونها فاعلا إقليميا مؤثرا في منطقة الشرق الأوسط، وأنها تسعى إلى مماثلة القوة الإسرائيلية حماية لوجود الجمهورية الإسلامية ونظامها السياسي وخدمة لمشروعها للهيمنة ضمن المنطقة، ونظرا لحالة العداء مع الولايات المتحدة خاصة فإن التفسير المنطقي لتوجه إيران نحو التقنية النووي حتى وإن جرى الادعاء بالطابع السلمي للبرنامج النووي الإيراني، حيث يرى معارضوه أنّه برنامج يرمي إلى إنتاج أسلحة نووية أكثر، ما يهدف لتلبية أغراض البحوث العلمية أو توليد الطاقة الكهربائية، كما أن الاهتمام المكثّف من الإيرانيين يزيد كثيرا على ما تقتضيه الاستخدامات السلمية[3].

استفادت إيران من خصوصية الوضع بعد الحرب الباردة، والاهتمام الدولي بالعراق إلى غاية 2003م، وأيضا انشغال الولايات المتحدة بما عرف بالحرب على الإرهاب، وحاجة روسيا لموارد حالية للتقدّم في مشروعها عن طريق صفقات و شراكة روسية إيرانية في المجال النووي، كما أنّ دخول الصين على

---

(1)- إينياسيو رامونيه، **حروب القرن الواحد والعشرين: مخاوف ومخاطر جديدة**، تر : انطوان أبوزيد، (لبنان : بيروت ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01، 2007م) ، ص ص 192، 193.

(2)- سعد حقي توفيق، **الإستراتيجية النووية بعد إنتهاء الحرب الباردة**، (الأردن: عمان، دار زهران للنشر والتوزيع، ط 01، 2008م)، ص 99.

(1)- جمال مظلوم وممدوح حامد عطية، **أزمة البرنامج النووي الإيراني وأمن الخليج**، (مصر: القاهرة، المكتبة الأكاديمية للنشر، ط 01، 2011م)، ص 158.

خط توريد الأسلحة لإيران منح هذه الأخيرة القدرة على استثمار ذلك في تطوير المعدّات القتالية وتقليص فجوة التسلح، كما أن تورط الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق جعل إيران قادرة على الإضرار بالمصالح الأمريكية هناك بدعم حركة التمرد، وجعل الوضع مكلفا للولايات المتحدة الأمريكية، ومع مجيء إدارة باراك أوباما *Barack Obama* تمّ النظر إلى الملف على أنّ هناك تقصيرا سابقا بشأنه، وأنّ إيران قد تكون تخطت العتبة النووية، وأنّه لا بد من منعها من إتمام برنامجها النووي. [1]

إنّ ربط الانتشار النووي بمخاطر الحروب المستقبلية ينبع من إعادة إحياء معضلة الأمن بشكل جديد، وعلى نحو أكثر خطورة، عبر عنه رئيس الوزراء الفرنسي الاسبق ليونيل جوسبان *LIONEL JOSPIN* بقوله :

لمّا كنا أخذنا في اعتبارنا الأسلحة الصاروخية وآليات الدّمار الشامل التي باتت في حوزة بعض القوى، فقد صار من الطبيعي أن نعد أنفسنا لتحديث مخزون فرنسا النووي، وتحويله بغية العمل على مواجهة أي تهديد لمصالحها الحيوية أيا يكن مصدرها–حتى ولو كان بعيدا–أو طبيعتها أو شكلها.[2]

إنّ نظرة موضوعية تجاه هذا التصريح وغيره تشير أنه لا يقصد دولة كإسرائيل وإنّما دولا لا تنتمي للحضارة الغربية اليهودية والمسيحية، وأنّ الأمر له مرجعية الصراع الحضاري، وأنّ هناك ازدواجية في المعايير ستقع على أساسها حالات الاصطفاف وحروب المستقبل.

(2)- سعد شاكر شلبي ، **الإستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط خلال إدارة الرئيس أوباما** ،(الأردن : عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع ط 01، 2013م) ، ص 161.

(3)- إينياسيو رامونيه، مرجع سابق، ص 193.

خـــاتمـــة

خـــاتـمـة

خاتمة

يطرح موضـــوع النصـــر في الحرب حالة علائقية بين تجميع الإمكانيات وإجادة التخطيط، والتقدير الحسن للأهداف وسبل تحقيقها، ولقد اقتضى ذلك عبر التاريخ أن يتم فهم الحرب في أجوائها العدائية، وأن يجري تقبل الوحشية المتصلة بها، وأنها تتطلّب من التضحيات والتكاليف ما قد تعجز عنه أمم، وأنّ النصر المقترن بالقادة إنما هو محصّلة اجتماع ظروف التخطيط والتنفيذ، وقتال آلاف من الجنود في سبيل ذلك.

إنّ الخلفية التاريخية للحروب تتصل بأشكال هذه الأخيرة ومدتها، والنطاق الجغرافي الذي تخاض عليه، والنتائج التي تسفر عنها، وحيث أنّ الحرب تجمع بين عناصر التخطيط والإقدام والمتابعة، فإنّ النظر إليها كفن وعلم هو حاجة أساسية؛ يجب أن تدرّس وتلقّن في الكليات العسكرية، وأن يتم تثبيتها في صميم العقائد القتالية، ويحتفظ تاريخنا الإسلامي بنماذج فذّة لعبقريات عسكرية صقلها الإيمان وروح التضحية في سبيل إعلاء كلمة الله، وقدّمت للتاريخ العسكري أساليبا متميزة في القتال، واستغلال ظروف المعركة والتفكير الإبداعي الخلاّق، الذي حول الهزائم إلى انتصارات، كما أنّ هناك مخططين عسكريين في الصين وزمن الإغريق والرومان وفي العصور الوسطى والعصور الحديثة، أبانوا عن كفاءة عالية في إدارة الحروب والتخطيط لها، على غرار ما فعل الجنرال كلاوزفيتز وجياب وغيرهما.

إنّ الحروب قد تأخذ صـــفة الصـــدام بين أطراف متماثلة، على غرار الحروب النظامية التي تكون مواجهة بين جيوش الدول، وتتجه إلى التطاول لسنوات أو لعقود لفشل الحسم فيها، أو أنها تجري سريعة وخاطفة؛ نتيجة انتهاز طرف لظروف مناسبة تعجل بسرعة التحرك، وفاعلية النصر تبعا لذلك، وهو خيار على قدر كبير في الجاذبية، ابتكره الألمان وتمارسه الآن ومنذ النصف الثاني في القرن العشرين إسرائيل، مستفيدة من تفوّقها العسكري خاصة في الجو.

لقد انطلقت الحروب في بداية التاريخ كمواجهات برية محدودة، إلا أنّ مقتضيات العمل العسكري وسّعتها لأن تشمل البحر والجو، على توقع أن يكون الفضاء مجالها في المستقبل، وهذا التوسع استدعى أن يكون لكل نمط من الحرب وسائله القتالية، وخططه في الدفاع والهجوم، وأن يجري تنسيق ذلك لخدمة هدف واحد هو النصر، عبر تكامل الحرب البرية والبحرية والجوية، وإجادة نظم الاستطلاع وجمع المعلومات، والقدرة على المبادأة والمفاجأة والصمود.

خـــاتـمـة

إن الزيادة السـكانية وتوسـع المدن والمناطق العمرانية، قد جعل النصـر في المعارك محفوفا بمخاطر وتعقيدات، أسـاسـها تكاليف إخضـاع الكتلة البشـرية المسـتهدفة، والتأقلم مع مخاطر الكمائن وقطع خطوط الإمداد وأوضاع الحصار والتطويق، إضافة إلى العامل الإنساني، واحتمالات الوقوع في أعمال الإبادة والقتل الجماعي خدمة للهدف العسكري، وهي الجوانب المرفوضة أخلاقيا والمتابعة قانونيا.

دفع تغيير أطراف المواجهة في حالات عدة إلى توصيف الحروب التي لا يكون أحد أطرافها من الدول أو كليهما، بالحروب اللّاتماثلية، والتي تندرج تحتها جهود المجموعات الثائرة والمتمردة، واسـتراتيجيات حرب العصابات كمفهوم محوري في سد فجوة التفوق العسكري، وتعويضها بسرعة الحركة والقدرة على الإضـرار والتسبب في الخسـائر، ولأنّ الدول لا تبق سـاكنة إزاء تحدي الحرب اللّاتماثلية، فإنّها تعكف دوما على تطوير اسـتراتيجيات مضـادة كفيلة بجلب النصـر، على غرار اسـتراتيجية مكافحة التمرد والأسـاليب التي أثبتت كفاءتها في مواجهة ما يعرف بالإرهاب، وهي كلها جهود ترتبط بالوفرة المالية والقدرة على التجنيد وجلب الدعم، والنجاح فيما يعرف بحرب القلوب والعقول، حيث يكون لوسـائل الإعلام والاتصال دور كبير في إنجاح ذلك.

عرف التاريخ الحربي أنماطا عدة للحروب؛ وهي على تكررها وتعددها، بقيت بين صـفحات الكتب، لا تأخذ أكثر من مجرد ذكرها وتوصـيفها، إلا أنّ هذا التاريخ نفسـه يحتفظ بمعارك حاسـمة كان لها أبلغ الأثر في تغيير العالم، وتحويل مجتمعات بأكملها من شـكل إلى آخر، أو من دين إلى آخر، وكثيرة هي المعارك التي شـكّل الانتصـار فيها فخرا وأمجادا للشـعوب، وقوة معنوية للحكومات والأفراد، فالألمان ما زالوا يستذكرون انتصار آبائهم الأوائل على الرومان سنة 09 ميلادية في معركة تيوتوبرغ، كما أنّ المسلمين لم ينسوا مآثر النصر في بدر والقادسية واليرموك وفتح الفتوح وفتح الأندلس والزلاقة والآرك وحطين، وفتح القسـطنطينية، وهي المعارك التي وسـعت نطاق الخلافة الإسـلامية، وحمت الوجود الإسـلامي لقرون، كما أنّ المسـيحيين في أوروبا يسـتذكرون كيف أن معركة "بواتيه" (بلاط الشهداء) أدى النصر فيها إلى حماية أوروبا من الفتح الإسلامي، مثلها مثل فشل المسلمين العثمانيين في معركة حصـار فيينا؛ ومن ورائها أمن أوروبا الغربية بالكامل، وخلال الحرب العالمية الثانية كانت هناك جملة من المعارك الحاسـمة؛ كان النصـر فيها سـبيلا لتغيير الحرب والقضـاء على النازية وحلفائها، ومن ذلك معركة العلمين وسـتالينغراد وبرلين، وخلال فترة الخمسـينات كانت حروب التحرير

خـــاتـمـة

مجالا لإنهاء الوجود الاســتعماري، على غرار ما فعلته معركة ديان بيان فو التي صــنعت أســطورة الصمود الفيتنامي.

تخوض الدول الحروب مدفوعة بحملة من الأهداف، يتقدمها تغيير وضـــع الدولة، وزيادة مكاســبها وتحقيق بناء إمبراطوري خدمة لذلك، وهو وضــع يســتلزم كفاءة قتالية عالية للجيوش، وقدرة على التخطيط وإدارة المعارك بشكل ناجح، ووجود تصور مستقبلي بشأن ما يتبع النصر؛ وما يحافظ عليه، وتقدم الحروب الأمريكية على تعددها إثباتا لفاعلية مقولة التوقيت المناســب للحرب والاســتعداد الجيد لها، وخوضها بكل إصرار وعزم، بغرض تحصيل عوائد متطاولة يتقدمها مشروع القرن الأمريكي الجديد، والزعامة المنفردة.

لا تخلُ الحروب من الشـحن الديني الذي يضـفي قداسـة عليها من ناحية التحريض، والاعتقاد بالصـواب والحق وتبرير التضـحية، والمجد المقترن بمن يخوضـها، فهي لدى المسـلمين جهاد مجازى عليه؛ وجنّة من ورائها، وهي لدى المسـيحيين نصـرة للصـليب، وخدمة لرسـالة المسـيح، وحالة من الخلاص والتطهير، تبرّر القتال والقتل، والاستعلاء على المهزومين، كما أنها لدى اليهود مبررة لشعب يعد نفســه شــعب الله المختار، وأنّ الآخرين لا قيمة لحياتهم، وأنهم وجدوا لخدمة اليهود فقط، لذا يجب إخضاعهم دون وازع أخلاقي ولا شفقة إنسانية، وفي جانب آخر تبيح ديانات وضعية الحرب وتمجدها، وترى الانتصار فيها ذا قيمة رمزية عالية، وإثباتا لتلك المعتقدات.

ما زالت الدول تخوض الحروب ضد من تعتبرهم أعداءًا لها، أو لضرورات اقتصادية في السيطرة على الموارد أو ضـمان الوصـول إليها، وهي تغيّر تحالفاتها تبعا لتقدير المصـلحة، كما أنّها لا تغفل حقيقة ارتباط النصر العسكري بالتحولات الواقعة على الحرب خصوصا في جهة استخدام التقنية العسكرية، وأجيال الحروب المتعاقبة، ودور المعطى الاستثماري في إثارة الحروب وإطالتها كنشاط مربح، أصبح يقتضي أكثر الاتجاه نحو خصخصتها مع حضور قوي لشركات التصنيع الحربي، والمجمع الصناعي العسكري المتواجد خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي له دور كبير في حروبها.

إن النصر في الحرب لا يجب أن يغفل تفاصيلا متعلقة بالطقس والتضاريس، والتي قد تكون سببا في الهزيمة مها أعدت الجهة المهاجمة أو المدافعة من إمكانيات، ويقدّم ما يعرف بنموذج الجنرال شـــتاء تبريرا أوفى حول عواقب الاســتهانة بالظروف المناخية أثناء الإعداد للمعارك، وفي توقيتات الهجوم أو الحركة، كما أن الحروب –على عنفها ووحشــيتها– تظل واقعا أبعد عن الإفراط في الجانب الأخلاقي؛

خـــاتـمـة

حتى وإن كان ما للأخلاق من تقدير أثناءها، فالتاريخ يحفظ لنا نماذجا عدّة عن التساهل الأخلاقي في الحرب، وكيف انتهى إلى هزائم منكرة، ومن ذلك مثلا إحجام هتلر عن ملاحقة قرابة نصـــف مليون جندي على شواطئ دنكيرك وتركهم ينسحبون بمبرر أخلاقي؛ فحواه حفظ ماء وجه بريطانيا وتقديم ذلك كبادرة حسن نية، ليتحول المنسحبون فيما بعد إلى أداة قتالية صلبة؛ انتهت بهزيمة ألمانيا.

يشـكّل التحول في أنماط التسـلح الحديثة حافزا نحو إعادة فهم مضـمون النصـر في الحرب، حيث أنّ العصـــر النووي ارتبط بحقيقة الدمار الشـــامل في حال المواجهة النووية، وبذلك كان لا بد من تطوير مجموعة من النظريات الاسـتراتيجية لكسـب الحرب النووية إذا وقعت، وأن يجري تعديلها بشـكل يتلاءم مع حجم القوة المتوافرة، وأنظمـة الدفاع المقابلـة، وكلها حقائق في صـــميم توازن الرعب، وذلك منذ 1949م تاريخ تفجير الاتحاد الســـوفياتي للقنبلة النووية بعد أربع ســـنوات من قيام الولايات المتحدة الأمريكية بذلك، ويزداد التحفظ بشـــأن المواجهة، واحتمالات حدوثها مع توســـع النادي النووي، وفشـــل المجتمع الدولي في كبح الطموحات النووية للدول، وبقاء الحرب خيارا واردا لدى قيادات ســـياســـية دكتاتورية، قد تسـتغل القوة التي تمتلكها في ابتزاز الآخرين، ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكية تظهر نفسها على أنها حامية السلام والاستقرار الدولي، إلا أنّها تتصرف بشكل مخالف أساسه خوض الحرب كلما اسـتدعت المصـلحة الأمريكية ذلك، بصـرف النظر عن الاعتراضـات الأخلاقية والقانونية على ذلك، وتصـورها للنصـر هو الفكرة الأكثر رواجا ضـمن الأفكار الاسـتراتيجية الحديثة، وذلك بالسـيطرة على الجو، وإتباع أسلوب الصدمة والرعب، وتطوير أنظمة الحماية الالكترونية والدفاعية.

قائمة المراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا-القرآن الكريم

ثانيا-القواميس والموسوعات والمعاجم

أ-القواميس

01-جيفري تونيهام، غراهام إيفانز، **قاموس بن غوين للعلاقات الدولية**، تر: مركز الخليج للأبحاث (الإمارات العربية: دبي، ط1، 2004).

ب- المعاجم

01- ابن فارس (أبو الحسين) ، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، (لبنان: بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط01، 2001).
02- أبو دبش(محمد)، **معجم الطيران**، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط01، 2012).
03- المحجوب(عبد المنعم)، **معجم تانيت**، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ليبيا: طرابلس، تانيت للنشر والدراسات، ط01، 2013).
04- محاسيس(نجاة سليم)، **معجم المعارك التاريخية** (الأردن: عمان، دار الزهران للنشر والتوزيع، ط 01، 2011).

ج-الموسوعات

01- الأيوبي(الهيثم) وآخرون، **الموسوعة العسكرية**، ج01، (لبنان: بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط01، 1977).
02- ـــــــــــــ، **الموسوعة العسكرية**، ج04، (لبنان: بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط01، 1977).
03- أشتيه(محمد)، **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الفلسطينية**، (الأردن: عمّن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط01، 2011).
04- البيطار (فراس)، **الموسوعة السياسية والعسكرية**، ج03، (الأردن: عمّان، دار أسامة للنشر، ط01، 2003).
05- ـــــــــــــ، **الموسوعة السياسية والعسكرية**، ج01، الأردن: عمان، أسامة للنشر والتوزيع، 2003)
06- ـــــــــــــ، ، **الموسوعة السياسية والعسكرية**، ج06، (الأردن: عمّان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط01، 2003).
07- أوكوباسا(بول)، **موسوعة الاختراعات والاكتشافات: الحرب**، (السعودية: الرياض العبيكان للنشر، 2016).
08- عبد الناصر(ميرفت)، **موسوعة حضارات العالم القديم**، ج01، (مصر: القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ط1، 2007).
09- هلال(هيثم)، **موسوعة الحروب**، (مصر: القاهرة، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط1، 2006).

-Encyclopedias

-Encyclopaedia Britannica,volume10,(United Kingdom: London, Encyclopaedia Britannica Foundation,1973).

ثالثا- الكتب

أ- الكتب باللغة العربية

01- أبو السعود(محمد فوزي)، **الموارد واقتصاداتها**، (مصر: الاسكندرية الدار الجامعية، ط01، 2002)،
02- أبو جابر(فايز صالح)، **التاريخ السياسي الحديث والعلاقات الدولية المعاصرة**، (الأردن: عمان، دار البشير للنشر والتوزيع، ط1، 1989).
03- أبو خزام(ابراهيم)، **أزمات الدول: المفاهيم قواعد الإدارة والتفاوض**، (مصر: القاهرة، المكتب العربي للمعارف، ط01، 2015).
04- أبو عامر(عدنان)، **ثغرات في جدران الجيش الإسرائيلي**، (لبنان، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط01، 2009).
05- أبو علم(عبد الله محمد)، **قالوا ...**، ج3، (الأردن، عمان، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ط1، 07، 2016).
06- أحمد (بشرى جعفر)، **قبيلة تغلب ودورها في تاريخ العرب قبل الإسلام وصدر الاسلام**، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط01، 2016).
07- أحمد (سامي شهاب)، **الجغرافيا العسكرية**، (الأردن: عمان، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، ط01، 2012).
08- أحمد (كمال مظهر)، **كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى**، (لبنان: بيروت، دار الفارابي، ط03، 2013).
09- أحمد سمير عارف، **العلاقة في التقدم التكنولوجي و التفكير الاستراتيجي الامريكي**، (مصر: القاهرة، المكتب العربي للمعارف، ط 01 ، 2015).
10- أحمد(أنور)، **خطباء صنعوا التاريخ**، (مصر: القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 01، 1969).
11- أسامة زيد وهبة الصيادي، **أهم الاختراعات والاكتشافات في تاريخ الانسانية**، (لبنان: بيروت، دار الساقي، ط1، 2017).
12- إسماعيل (أشرف محمد)، **تجربة اليسار الفلسطيني المسلح**، (مصر: القاهرة، دار العربي للنشر والتوزيع، ط01، 2007).
13- إسماعيل (محمد صادق)، **أمن الخليج العربي: الواقع وآفاق المستقبل**، (مصر: القاهرة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، ط01، 2014).
14- إسماعيل(محمد صادق)، **التجربة الألمانية: دراسة في عوامل النجاح السياسي والاقتصادي**، (مصر: القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ط01، 2017).
15- آلان ستيفانس ونيكولا بيكر، **فهم الحرب: استراتيجية القرن الحادي والعشرين**، تر: أدهم وهيب مطر، (سوريا: دمشق، الشركة الجزائرية السورية للنشر والتوزيع، ط1، 2013).
16- البرّ(محمد موسى)، **الاعلام الإسلامي: دراسة تأصيلية**، (مصر: القاهرة، دار النشر للجامعات، ط01، 2009).
17- البرصان(أحمد سليم)، **علم السياسة : المفاهيم والأسس**، (الأردن: عمّان، دار زهران للنشر، ط01،
18- البطوش(معاد ياسين)، **تداعيات الاحتلال الامريكي البريطاني على العراق وأثره على الأمن القومي العربي**، (الأردن: عمان، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، ط01، 2012م).

19- التريكي(فتحي)، **الفلاسفة والحرب**، تر: زهير المدنيني، (لبنان: بيروت، دار الروافد الثقافية ناشرون، ط1، 2015).
20- الجبوري(مصلح خضر)، **جذور الاستبداد والربيع العربي**، (الاردن، عمان، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، 2014) .
21- الحديثي(عباس)، **نظريات السيطرة الاستراتيجية وصراع الحضارات**، (الأردن: عمان، دار رسالة للنشر والتوزيع، ط01، 2004).
22- الخزاعلة (ياسر طالب) ، حرب(رجائي جميل)، **تشكيل العقل الصهيوني: السعي نحو يهودية الدولة**، (الأردن: عمّان، دار الخليج للصحافة والنشر، ط01، 2017)
23- الدليمي(خالد)، **ثيودور روزفلت وسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية: (1901-1909م)**، (الاردن: عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط01، 2013م).
24- الزين(حسن)، **وثائق الربيع العربي والصحوة الاسلامية**، (لبنان، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ط01، 2014).
25- السامرائي(إبراهيم عبد الطالب)، **فصائل المقاومة المسلحة في العراق وأفغانستان**، (الأردن: عمّان، دار المعتز، ط01، 2015).
26- السرجاني(راغب)، **قصة الاندلس: من الفتح الى السقوط**، ج01، (مصر: القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، ط01، 2011).
27- السعدي(عيسى إبراهيم)، **زهير بن أبي سلمى: شاعر الحوليات** ، (الأردن: عمّان، دار المعتز للنشر والتوزيع، ط01، 201).
28- السليم(نايف حطاب)، **أنسنة الاستعمار: حروب صليبية وإرهاب امبريالي**، (الأردن: عمان، دار المعتز، ط1، 2014).
29- السيد(فؤاد صالح)، **أعظم الأحداث المعاصرة: 1990-2014**، (لبنان: بيروت، مكتبة حسن العصرية، ط1، 2015).
30- السيّد(فؤاد صلاح)، **أشهر الأحداث العالمية :01م-1989م**، (لبنان: بيروت، مكتبة حسن العصرية، ط01، 2015).
31- الشعراني(الهرثمي)، **مختصر سياسة الحروب**، تحقيق عبد الرؤوف عون، (مصر: القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ط01، 1964).
32- الصلابي (علي محمد)، **الشورى فريضة اسلامية**، (لبنان: بيروت، دار المعرفة، ط03، 2012).
33- العبوسي(علوان حسّون)، **القدرات والأدوار الاستراتيجية لسلاح الجو العراقي في الفترة 1931، 2003م**، (الأردن: عمان، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، 2014) .
34- العسّاف(سوسن)، **استراتيجية الرّدع: العقيدة العسكرية الأمريكية الجديدة والاستقرار الدولي**، (لبنان: بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط01 ،2007).
35- العقاد (عباس محمود) ، **لا شيوعية ولا استعمار**، (مصر: القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط01، 2013).
36- العلي (علي زياد)، **القوة الامريكية في النظام الدولي: تداعياتها وآفاقها المستقبلية**، مصر: الكتب العربي للمعارف، ط01، 2015).
37- العلي(عبد السلام ذنون)، **المغول واحتلال بغداد 1258م: دراسة ف التاريخ العسكري**، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط01، 2017).

38- العلي(محمود أنس)، **السياسة الامريكية في الشرق الاوسط**، (الأردن، عمان، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، ط01، 2016).
39- العمري(أحمد سويلم)، **أصول العلاقات السياسية الدولية**، (مصر: القاهرة، مكتبة الانجلو مصرية، ط1، 1957).
40- القاسمي(خالد ابن محمد مبارك)، **العلاقات الخارجية في العصر الإسلامي**، (مصر: القاهرة، الدار الثقافية للنشر ،2008).
41- المختار(صلاح)، **متلازمة أمريكا: هل هو ربيع عربي أم سايكس بيكو الثاني**، (بريطانيا: لندن، إصدارات إي كتبE-KUUB.LTD ، ط01، 2016).
42- الموني(محمد)، **الجغرافيا السياسية والجيوبوليتكا في القرن 21م**، (الاردن: إربد، دار الكتاب الثقافي للنشر والتوزيع، ط01، 2005).
43- النعيمي (أحمد نوري)، **السياسة الخارجية**، (الأردن: عمّان، دار زهران للنشر والتوزيع، ط01، 2011).
44- النعيمي(أحمد نوري)، **عملية صنع القرار في السياسة الخارجية**، (الأردن، عمان، دار زهران، ط1، 2011) .
45- الهاشمي(أحمد)، **جواهر الأدب في أدبيات وانشاء لغة العرب**، لبنان، (لبنان: بيروت، دار المعرفة، ط04، 2015).
46- الهيتي(نعمان عطاء الله)، **قانون الحرب أو القانون الدولي الإنساني،ج01**، (سوريا: دمشق، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر، ط01، 2008).
47- أليكسفيتش(سفيتلان)، **ليس للحرب وجه انثوي**، تر: نزار عيون السود، (سوريا: دمشق، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، ط1، 2016).
48- آميدور(يعقوب)، **الانتصار في حرب مكافحة التمرد: التجربة الاسرائيلية**، تر: محمد عباس، (لبنان: بيروت، مركز باحث للدراسات الفلسطينية، ط01، 2009)، ص ص 65-89.
49- أولمان(هارلان) ، ويد(جيمس)، **الهيمنة السريعة: ثورة حقيقية في الشؤون العسكرية**، ترجمة ونشر مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، (الامارات العربية المتحدة: أبو ظبي، ط01، 2000).
50- إيفينيو(باتريك)، **حرب الجزائر: ملفات وشهادات**، ج02، تر: بن داود سلامنية، (الجزائر، دار الوعي للطباعة والنشر، ط01، 2013).
51- باسيل ليدل هارت، **الاستراتيجية وتاريخها في العالم**، تر: الهيثم الأيوبي، (لبنان: بيروت، دار الطليعة، ط04، 2000).
52- بديوي(عادل)، **الإدراك الإستراتيجي للولايات المتحدة: دراسة في المبادئ الجيوبوليتيكية**، (الأردن: عمان، دار الجنان للنشر والتوزيع، ط01، 2015).
53- برودي(برنارد)، **الحرب والسياسة: محاكمة أمريكية لحروب أمريكا في العالم**، (لبنان، بيروت، دار المروج للطباعة والنشر، ط01، 1985).
54- بشتاوي(عادل سعيد)، **تاريخ الظلم الأمريكي وبداية زمن الأفول الامبراطوري المديد**، (لبنان: بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط01، 2007).
55- بك(محمد الخضري)، **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم**، (لبنان: بيروت دار المكتبة العلمية، ط01، 2017م).

56- بن حثلين(نايف)، **صراع الحلفاء: السعودية والولايات المتحدة الأمريكية منذ 1962م**، (لبنان: بيروت، دار الساقي، ط01، 2014.
57- بوتول(غاستون) وآخرون، **الحروب والحضارات**، تر: أحمد عبد الكريم، (سوريا: دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط01، 1984).
58- بوتول(غاستون)، **ظاهرة الحرب**، تر: إيلي نصار (لبنان: بيروت، دار الفرابي، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2007).
59- تأجيل(كولن) وآخرون، **نهاية عصر البترول: التدابير الضرورية لمواجهة المستقبل**، تر: عدنان عباس (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ط01، 2004م).
60- تزو(صان)، **فن الحرب**، إعداد الحسيني معدي، (مصر: القاهرة، دار كنوز للنشر والتوزيع، ط2، 2012).
61- توفيق(سعد حقي)، **الإستراتيجية النووية بعد إنتهاء الحرب الباردة**، (الأردن: عمان، دار زهران للنشر والتوزيع، ط 01، 2008م)
62- جارنم(ديفيد)، **مستلزمات الردع: مفاتيح التحكم بسلوك الخصم**، ترجمة ونشر مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، (الامارات العربية المتحدة، أبو ظبي، ط1، 1995)، ص ص08،09.
63- جعفر(قاسم محمد)، **الاستراتيجية النووية الأمريكية الجديدة: التحول من الرّدع المستند على "الدمار المؤكد المتبادل" إلى التفكير في خوض الحرب النووية والفوز فيها**، في محمود عزمي (محرر)، **الفكر الاستراتيجي الغربي**، (لبنان: بيروت، معهد الإنماء العربي، العدد الثاني، أكتوبر 1981).
64- جلال(أحمد)، **صراع القوى المدنية العسكرية وأثره على السياسة الخارجية التركية**، (مصر: القاهرة، المكتب الغربي للمعارف، ط05، 2015).
65- جلال(يحي)، **السياسية الفرنسية في الجزائر منذ 1830 – 1959** (القاهرة: مصر، دار المعرفة، ط01، 1959).
66- جميل حمداوي، **هل هناك حرب عادلة؟** (المغرب: الناظور، سلسلة كتاب الاصلاح، دون ذكر دار النشر، 2014).
67- حتّي(ناصيف يوسف)، **النظرية في العلاقات الدولية**، (لبنان: بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1985).
68- حسن عبد الرزاق منصور، **ثقافة العنف ومصادرها**، (الأردن: عمّان، أمواج للنشر والتوزيع، ط01، 2013).
69- حسن(حمود شمال)، **سيكولوجية خطاب الفضائيات: جاذبية الصورة والثقافة الوافدة**، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط01، 2013).
70- حسن(سليم)، **موسوعة مصر القديمة**، ج02، (مصر، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط01، 2012).
71- حسين(محمد حمزة)، الرفاعي(لبنى)، **تاريخ العالم المعاصر**، (الأردن: عمان، دار غيداء، ط01، 2015).
72- حلاوي(محمود مصطفى)، **معالم الحضارة في صدر الاسلام**، (لبنان: بيروت، دار الارقم ابن أبي الارقم للنشر والتوزيع، ط1، 2007).
73- حمدان(جمال)، **استراتيجية الاستعمار والتحرير**، (القاهرة، دار الشروق، ط1، 1983).

74- حمزة(محمد) ، حسين(عبد المجيد)، **تاريخ أوروبا**، (العراق: الموصل، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، ط01، 2013).
75- حمودة (عبد الحميد حسين)، **تاريخ الدولة العربية الإسلامية**، (مصر: القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ط01، 2005).
76- خدشي (جلال عبده)، **عجائب الدنيا السبع**، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط01، 2011).
77- خزعل الماجدي، **تاريخ القدس القديم من عصور ما قبل التاريخ حتى الاحتلال الروماني**، (لبنان: بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط01، 2005).
78- خليل(فهد)، **الحروب والتسويات بين الماضي والحاضر**، (الأردن: عمّان، دار يافا العلمية للنشر، ط01، 2010).
79- خمّاش(نبيل)، **إمبراطورية الأكاذيب: مصطلحات الخداع الأمريكي بعد أحداث 11 أيلول**، (لبنان: بيروت، المؤسسة العربية للنشر، ط01، 2004م).
80- خواجة (محمد)، **استراتيجية الحرب الاستراتيجية**، (لبنان: بيروت، دار الفارابي، ط1، 2014).
81- خواجة(محمد)، **استراتيجية الحرب الإسرائيلية: مسار وتطور**، (لبنان: بيروت، دار الفارابي، ط01، 2014).
82- دافيدسن(لورانس)، **الإبادة الثقافية**، تر: منار إبراهيم الشهابي، (السعودية: الرياض، دار العبيكان للنشر، ط01، 2015).
83- دورتي (جمس) بالتسغراف(روبرت)، **النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية**، تر: وليد عبد الحي (الكويت: مكتبة شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع والمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط01، 1985).
84- ديب(كمال)، **موجز تاريخ العراق**، (لبنان: بيروت، دار الفارابي، ط01، 2013).
85 - ديفان(غيّوم)، **عالم أوحد: تطور التعاون الدولي**، تر: نصير مروة، (لبنان: بيروت، مؤسسة الفكر العربي، ط01، 2016).
86- دينو(آلان)، **خصخصة الحروب؟ الشركات المتعددة الجنسية والمحاربون المرتزقة**، في برتران بادي ودومينيك فيدال(محرران)، **أوضاع العالم 2015م: الحروب الجديدة**، تر: نصير مروى، (لبنان: بيروت، مؤسسة الفكر العربي، ط01، 2015).
87- ديورانت(ويل وايريل) ، **قصة الحضارة**، مجلد 01، ج02، تر: زكي محمود، (بيروت، دار الجيل، ط01، 1988).
88- ذبيان(ندى)، **الدراسات السكانية: مناهج – فلسفات – متناقضات**، (سوريا: دمشق، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، 2010).
89- رامونيه (إينياسيو)، **حروب القرن الواحد والعشرين: مخاوف ومخاطر جديدة**، تر: انطوان أبوزيد، (لبنان: بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01، 2007م).
90- رشيدي (رشدي أبو شبانة علي)، **التضامن الدولي في النظام الاسلامي والنظم الوضعية: دراسة مقارنة**، (مصر: المنصورة، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط01، 2008) ص19.
91- رمضان (عبد العظيم)، **حرب الاستنزاف في محكمة التاريخ**، (مصر: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1998).
92- روبنسن (كيت)، **تغيير وجه العالم: التاريخ السياسي العالمي منذ الحرب العالمية الثانية**، (القاهرة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، ط1، 2017) ص.81

93- زايد(فهد خليل)، **الحروب والتسويات بين الماضي والحاضر**، (الأردن: عمان، دار يافا العلمية للنشر، ط1، 2010).
94- زايد(فهد خليل)، **عبقرية الانتصار في المعارك وفتح الامصار**، (الأردن: عمان، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط01، 2013م).
95- سالم(أمينة)، **دور الجيش في النظام السياسي الاسرائيلي**، (مصر: القاهرة، المكتب الغربي للمعارف، ط01، 2015).
96- سامي خشبة، **مفكرون من عصرنا**، (مصر: القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط 1 ، 2001).
97- سعيدوني (ناصر الدين)، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1984).
98- سليمان(عبد العزيز)، **التاريخ المعاصر: أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية**، (لبنان: بيروت، دار النهضة العربية، ط01، 2014).
99- سيفتون(جون)، **العنف في كل مكان حولنا**، تر : داود سليمان القرنة وتيسير نظمي، (السعودية: الرياض، مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع، ط01، 2017).
100- شلبي (سعد شاكر)، **الإستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط خلال إدارة الرئيس أوباما**، (الأردن: عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع ط 01، 2013م)
101- شوا(إيمي)، **عصر الامبراطورية: كيف تتربع القوى المطلقة على عرش العالم وأسباب سقوطها**، تر: منذر محمود صالح محمد، (السعودية: الرياض، دار العبيكان للنشر، ط01، 2011م).
102- صالح(أحمد فايز)، **دور المحافظين الجدد في السياسة الخارجية الأمريكية**، (لبنان: بيروت، دار باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، ط01، 2011).
103- صالح(محسن محمد)، **الطريق إلى القدس: دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصر الأنبياء حتى أواخر القرن العشرين**، (لبنان: بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط05، 2014).
104- صلاح(علي محمد)، **كفاح الشعب الجزائري: سيرة الأمير عبد القادر**، (لبنان، بيروت، دار المعرفة، ط1، 2017).
105- طالب(هشام)، **فن الخداع السياسي في الحرية والديمقراطية والسيادة على الوطن والمواطن**، (لبنان: بيروت، دار النهضة العربية، ط01، 2015).
106- عبد الحميد حسين حمدة، **تاريخ الدولة العربية الاسلامية**، (لبنان: بيروت، الدار الثقافية للنشر، ط01، 2005).
107- عبد الصمد سعدون الشمري، **النظرية السياسية الحديثة: مدخل إل النظريات الأساسية في نشأة الدولة وتطورها**، (الأردن، عمان، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، ط01، 2012).
108- عبد العال(محمد عبد المجيد)، **داعش في المملكة العربية السعودية**، (مصر: القاهرة، المكتب الغربي للمعارف، ط1، 2016).
109- عبد العزيز الدولاتي وآخرون، **تونس: أعلام ومعالم**، (تونس، وزارة الثقافة، الوكالة القومية للتراث، ط01، 1997).
110- عبد الفتاح (عصام)، **أطلس الحربين العالميتين**، (مصر: القاهرة، شركة الشريف ماس للنشر والتوزيع، ط01، 2015).

111- عبد الفتاح(بشير)، **أزمة الهيمنة الأمريكية**، (القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، 2010).
112- عبد الفتّاح(عصام)، **أطلس الحربين العالميتين: الأرض والحرب والسلام**، (مصر: القاهرة، شركة الشريف ماس للنشر والتوزيع، ط01، 2015).
113- عبد الفتاح(علي)، **الاعلام الحربي والعسكري**، (الاردن: عمان، دار اليازوري للنشر، ط01، 2016) .
114- عبد القوي(سامح)، **صور التدخلات السلبية وانعكاساتها على الساحة الدولية**، (مصر: القاهرة، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2015).
115- عبد الكريم(محمد)، عزيز(حسن)، **مسؤولية المقاتل على انتهاك القانون الدولي الانساني**، (مصر: القاهرة، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، ط01، 2018).
116- عبد الله (نصار محمد)، **مدخل الى نظرية الحرب العادلة**، (مصر: القاهرة، عين للدراسات والبحوث، ط01، 1993).
117- عبد الوهاب النجّار، **الخلفاء الراشدون**، (مصر: القاهرة، مكتبة دار التراث، ط01 د.ت)، ص 202.
118- علوان حسون العبوسي، **القدرات وأدوار الاستراتيجية لسلاح الجو العراقي في الفترة (1931-2003م)**، (الاردن: عمان، الاكاديمية للنشر والتوزيع، ط01، 2014).
119- علي (عبد الرحمان محمد)، **الجرائم الإسرائيلية خلال العدوان على قطاع غزة: دراسة قانونية**، (بيروت: لبنان، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط09، 2011.
120- علي سعيد علي حجازي، **العدالة العمرية**، (لبنان: بيروت، دار مكتب العلمية، ط01، 2009) .
121- علي(جمال سلامة)، **تحليل العلاقات الدولية: دراسة في إدارة الصراع الدولي**، (مصر: القاهرة، دار النهضة العربية، ط01، 2013)، ص151.
122- علي(محمود عبد الهادي دسوقي)، **الجوانب السياسية في خطب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم**، (مصر: القاهرة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، 2011).
123- عماش (صالح مهدي)، **المضمون العسكري لمعارك تحرير العراق: القرن الأول للهجري: من ذي قار إلى القادسية**، (العراق: بغداد، مديرية الثقافة العامة في وزارة الإعلام، ط01، 1973) ص 49.
124- عودة(جهاد)، **العلاقات الاستراتيجية والعسكرية، ج3: الحرب والعلاقات الدولية**، القاهرة، دار الكتاب الحديث، ط2، 2015.
125-ـــــــــــ، **مقدمة في الدراسات الاستراتيجية الشرق أوسطية**، (مصر: القاهرة، المكتب العربي للمعارف، ط01، 2013).
126- عياش(سعود يوسف)، **تكنولوجيا الطاقة البديلة**، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ط1، 1981).
127- غرين(روبرت)، **33 استراتيجية للحرب**، تر: سامر أبو هواش، (السعودية: الرياض، منشورات مكتبة العبيكان، ط 01 ، 2009).
128- فرج(محمد)، **الاستراتيجية العسكرية الاسلامية: النظرية والتطبيق**، (مصر: القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، سلسلة البحوث الاسلامية، العدد 79، مارس 1975).
129- فرجسون(نيل)، **الصنم: صعود وسقوط الإمبراطورية الأمريكية**، تر: معين محمد الإمام، (السعودية: الرياض، مكتبة العبيكان للنشر، ط01، 2006).

130- فريدمان(لورانس)، **الثورة في الشؤون الاستراتيجية**، ترجمة ونشر مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، (الامارات العربية المتحدة: أبو ظبي، ط01، 2000).
131- فهمي(عبد القادر محمد)، **الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية: دراسات في الأفكار والعقائد ووسائل البناء الامبراطوري**، (الأردن: عمان، دار الشرق للنشر والتوزيع ط01، 2009).
132- قاسم(قاسم عبده)، **الحروب الصليبية**، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط01، 1990).
133 - قنان(جمال)، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، (الجزائر، مشورات المتحف الوطني للمجاهد، ط01، 1994).
134- كاشمان(جرج)، **لماذا تنشب الحروب**، ج01، تر: أحمد حمدي محمود، (مصر: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط01، 1996).
135-ـــــــــ، **لماذا تنشب الحروب؟** ج02، (مصر: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1996) .
136- كلير(مايكل)، **دم ونفط: أمريكا واستراتيجيات الطاقة على اين؟** تر: أحمد رمو (لبنان: بيروت، دار الساقي، ط01، 2011).
137- كوليتا(ألان جيرسون ج.)، **خصخصة السلام: من النزاع إلى الأمن**، تر: أسعد حليم، (مصر: القاهرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ط01، 2004).
138- لورانس(هنري) وآخرون، **الإرهاب: التاريخ والقانون**، تر: نبيل أبو صعب (لبنان: بيروت، دار الفارابي، ط01، 2016).
139- ليبو(ريتشارد نيد)، **لماذا نتحارب الأمم؟ دوافع الحرب في الماضي والمستقبل**، تر: إيهاب عبد الرحيم علي، (الكويت: الصفاة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، 2013).
140- ليدل(ريتشارد)، **توازن القوى في العلاقات الدولية**، تر: جهاد عودة، (مصر: القاهرة، المكتب العربي للمعارف، ط01، 2015)، ص90.
141- ماكفيت(شون)، **المرتزقة الجدد: الجيوش الخاصة وما تعنيه للنظام الدولي**، تر: إبراهيم البيلي محروس وأحمد مكي زيدان، (لبنان: بيروت، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، ط01، 2016).
142- محمد مجدي، **قلوب مضادة للرصاص**، (مصر: القاهرة، دار دون للنشر والتوزي، ط1، 2017).
143- مخادمة (محمد علي)، **واجب التدخل الانساني**، (الأردن: عمان، دار المتني للنشر والتوزيع، ط01، 2011).
144- مصالحة(عمر)، **التلمود: المرجعية اليهودية التشريعات الدينية والاجتماعية**، (الأردن: عمّان، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط01، 2006).
145- مصالحة(نور الدين)، **سياسة الترانسفير الإسرائيلية في التطبيق 1949-1996: أرض أكثر وعرب أقل**، (الأردن: عمّان، مركز الدراسات الفلسطينية، ط01، 1997).
146- مصطفى أحمد، **الجيل الرابع للحروب: المؤامرة العالمية**، (مصر: القاهرة، شركة الشريف ماس للنشر والتوزيع، ط01، 2017).
147- مطر(فيصل حسن)، **أسس ومهارات الكتابة للصورة التقرير التلفازي**، (سوريا: دمشق، دار الفكر، ط01، 2010).
148- مظلوم (محمد جمال)، **الصراع النووي في قارة آسيا**، القاهرة، (مصر: القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط01، 2010).

149- مظلوم(جمال) ، عطية(ممدوح حامد)، **أزمة البرنامج النووي الإيراني وأمن الخليج**، (مصر: القاهرة، المكتبة الأكاديمية للنشر، ط 01، 2011م)
150- مقلد(اسماعيل صبري)، **العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات**، (مصر: القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط4، 2010).
151- ـــــــــــــ، **الإستراتيجة والسياسة الدولية: المفاهيم والحقائق الأساسية**، (لبنان: بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ط 01، 1979م).
152- مهدي(جمال)، **النظام القانوني الدولي لحماية البيئة من الأضرار الناجمة عن الأسلحة النووية**، (مصر: القاهرة، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع، ط 01، 2015م)
153- مهدي(قيس عبد العزيز)، **معركة نهاوند وآثارها في إنهاء الحكم الساساني**، (العراق: بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط01، 2003).
154- موسى آل طويرش، **القائد السياسي في التاريخ المعاصر: دراسة سياسية تاريخية في الزعامة وعوامل ظهورها**، (الأردن، عمّان، دار الصفحات للدراسات والنشر، ط01، 2011).
155- مونتغومري(برنارد)، **الحرب عبر التاريخ**، ج 01، تر: فتحي عبد الله النمر، (مصر: القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ط 01، 1971).
156- ـــــــــــــ، **الحرب عبر التاريخ**، ج02، تر: فتحي عبد الله النمر، (مصر: القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة، ط01، 1972).
157 - مويرز(كولين)، **الامبرياليون الجدد: ايديولوجيات الامبراطورية**، تر: معين الإمام، (السعودية: الرياض، مكتبة العبيكان، ط01، 2008).
158- ميناتشكو (ديسلاف)، **حديث ليلي**، تر: رامي البيروتي، (سوريا: دمشق، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، ط01، 2016).
159- نزال(سليم)، **الطريق إلى بغداد: مشاهد من مسرح الحرب**، (بريطانيا: لندن، منشورات E-kutub LTD، ط01، 2015)، ص11.
160- نصري ذياب، **تاريخ أوروبا الحديث**، (الاردن: عمان، الجنادرية للنشر والتوزيع، ط1، 2011).
161- نقلي(آسيا سليمان)، **دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية**، (السعودية: الرياض، مكتبة العبيكان، ط01، 2002).
162- نيل(حسيني عبد الحميد)، **السراج المنير في غزوات سيد المرسلين**، (لبنان: بيروت، دار القلم للنشر، ط01، 2016).
163- هادي محمد صالح، **عاصفة الحزم**، (السعودية، الرياض، الجنادرية للنشر والتوزيع، ط1، 2016).
164- هارت(باسيل ليدل)، **الاستراتيجية وتاريخها في العالم**، تر: الهيثم الأيوبي، (لبنان: بيروت، دار الطليعة، ط04، 2000).
165- ياسين(ناصيف)، **الإرهاب الأمريكي المعولم**، (لبنان، بيروت، دار الفارابي للنشر، ط01، 2013)، ص.45
166- يوسف العاصي الطويل، **سلسلة الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم**، ج03: **أمريكا تاريخ من الغزو والإرهاب**، (لبنان: بيروت، مكتبة الحسن العصرية، ط01، 2014م)، ص.25
167- يوسف نصر الله، **تداعي الأسطورة: مقاربات نقدية لمشهد الحرب السادسة**، (لبنان: بيروت، دار الفارابي، ط01، 2011م).

ب- الكتب باللغات الأجنبية

A-Books

-Vladimir Jankovi, **Reading the Skies :A Cultural History of English Weather :1650-1820 ?**,(UK: Manchester, Manchester university press, 2000).
-Jasper Oorthuys, **The Varian Disaster: The Battle of the Teutoburg Forest**,(Netherland : marspoortstraat , Karwansaray Publishers,2009).
- Jennifer Wood, Benoit Dupont, **Democracy, Society and Governance of Security**,(UK : London, Cambridge University, 2006.
-Jacques Alexandroúpolis، **Les monnaies de l'Afrique antique :400 av.J.-C-40.J.-C**,(France :Paris, Presses Universitaire du Mirail,2000).

-Stuart Creighton Miller, **Benevolent Assimilation: The American Conquest of the Philippines, 1899-1903,** (USA : New Haven ,Yale University Press, 1982).
-Blair Worden, **The Rump Parliament 1648-1649**, (UK : London,Cambridge University Press,first edition,1977).
-James S. Corum, **The Roots of Blitzkrieg : Hans Von Seeckt and German Military Reform,** University Press of Kansas ;1992 .
-Bernard Boene, Michel L. Martin, **Conscription et armée de étier : Séminaire armée et société**, (France : paris, Fondation pour les etudes de défense nationale, 1991).
- Jayantanuja Bandyopadhyaya, **A general of theory international relations**, (India :New Delhi, allied publishers, 1993) .
Robert Jackson *and* Georg Sørensen, Introduction to International Relations *:Théories and Approaches*, (UK : Oxford, Oxford University Press ,Sixth Edition,2015).
-Maurice Vaisse, **L'armée Francaise Dans La Guerre D'indochine (1946-1954) : Adaptation Ou Inadaptation ?** (Belgique : Bruxelles, Edition Complexe, 2000).
-Jean-Jacques Tur, **Ombres et lumières de l'Algérie française**, (France : Paris, L'Harmattan, 2012).

B-Livres

-Henry d'Humiéres, **L'Armée Française et la jeunesse musulmane : Algérie 1956-1961**, (France : Paris, édition Godefroy de Bouillon, 2001).
-*David GALULA*، **Contre-insurrection: théorie et pratique**, (France : Paris, édition Economica,2008).
-Noara Omouri, **Les Sections Administratives Spécialisées et les sciences sociales : études et actions sociales de terrain des officiers de SAS et des personnels des Affaires Algériennes,** dans , Jean-charles Jauffret et Maurice Vaïsse (eds) **Militaires et guérilla dans la guerre d'Algérie** ,(France : Paris, édition Complexe,2001).

رابعا- الدوريات
01- الحسن(جهاد)، **"في أسباب الحروب ودوافعها"** مجلة الجيش اللبناني، العدد 371، أيار 2016، ص ص 57 – 60.
02- الزاملي(يوسف ابراهيم)، **معاملة المغول للأسرى المسلمين**، مجلة الجامعة الاسلامية للبحوث الانسانية، جامعة الأقصى غزة، المجلد الثاني والعشرون، العدد الأول، يناير 2014، ص ص 321-.342
03- العزي(غسّان)، **السلاح النووي بعد الحرب الباردة: نحو المزيد من الانتشار والعولمة**، مجلة الجيش، لبنان، العدد 26، أكتوبر 1998م، ص ص 129-164.
04- بدوى(منير محمود)، **"مفهوم الصراع: دراسة فى الأصول النظرية للأسباب والأنواع"**، مجلة دراسات مستقبلية، مصر، مركز دراسات المستقبل، جامعة أسيوط، العدد الثالث (يوليو 1997م)، ص ص: 35-82.
05- حمو(سعيد)، **"إدارة الحرب"**، مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد 11، جوان 1982، ص ص24-41.
06- زغيب(منصور)، **تجدد الصراع الامريكي الروسي في ضوء الأزمات المستجدة**، مجلة الدفاع اللبناني الوطني، العدد 90، أكتوبر 2014، ص ص 77-120.
07 - زكريا(أحمد)، **الجندي مقاتل وليس قاتلا**، مجلة الجيش، لبنان، العدد 379، جانفي 2017، ص ص 63، 67.
08- زينب عباس حسين التميمي، **"ديان بيان فو .. والوقف الفرنسي من الوجود الأمريكي في فيتنام: 1954 – 1973"**، مجلة آداب البصرة، العدد 72، جامعة البضرة، العراق، 2015.
09- شبل(فؤاد محمد)، **"قصد الحرب الدائرة في فيتنام"**، المجلة، مصر، العدد 135، مارس، 1968.
10- عامر(عماد)، **"معارك تاريخية: معركة ديان بيان فو"**، مجلة الجيش، لبنان، العدد389، نوفمبر 2017.
11- علاء الدين(شادي)، **الجيوش القديمة وأنظمتها**، مجلة الجيش، لبنان، العدد 332، فيفري2013، ص ص 51- 53.
12- علوّ(أحمد)، **الشركات العسكرية والأمنية الخاصة: أذرع طويلة لمهمات مختلفة**، مجلة الجيش، لبنان، العدد 369، مارس 2016م، ص ص 67-72.
13- علّو(أحمد)، **بين الانتشار النووي والردع الصاروخي: العالم على رأس صاروخ**، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 71، جانفي 2010م، ص ص 79-122.
14- نزار عبد القادر، **إنتشار أسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط**، مجلة الدفاع الوطني اللبناني ، العدد 43، جانفي 2003، ص ص 5-64.
15- يلاي(جوناثن)، **ما مدى كفاءة نابليون العسكرية؟** تر: ليلى عادل زيتون، مجلة الثقافة العالمية، العدد 156، سبتمبر-أكتوبر، 2009، ص ص 166-175.

خامسا - رسائل الدكتوراه
01- بحري (دلال)، **أثر الندرة المائية على العلاقات الدولية: دراسة منطقة الشرق الأوسط**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم السياسية، تخصص علاقات دولية، الجزائر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007.

02- خوجة (محمد)، **الانعكاسات العسكرية والسياسية للثورة الجديدة في الشؤون العسكرية**، اطروحة مقدمة للحصول على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم العلوم السياسية، 2005-2006.

سادسا- الجرائد

01 - الأحمدي (فهد عامر)، **الجنرال الروسي شتاء**، جريدة الرياض، العدد 14163، بتاريخ 2007/04/04.

02 - البدوي (محمد عبد الستار)، **مقتطفات عربية**، جريدة الشرق الأوسط، بريطانيا: لندن، 2016/06/11.

03 - سلامة (الأمجد) ، **عالم جديد : الرياح الالهية**، جريدة الأخبار، لبنان، العدد 3268.

04- محسن(عامر)، **حرب المدن والحرب بالمدنيين**، جريدة الأخبار، لبنان العدد .3059

05- صالح(محمد علي)، **في غابة تيوتون تكمن القوة الألمانية**، جريدة الشرق الأوسط، العدد 12620، بتاريخ 2013/06/18.

سابعا- المقالات الالكترونية:

- طاهر(رانيا)، **سياسات الانتشار النووي: دراسة المحددات السياسية والأطر القانونية**، منشور بتاريخ 2015/07/06م، أطلع عليه بتاريخ 2018/06/13م، متوفر على الرابط الإلكتروني

https://machahid24.com/etudes/78412.html

- شيزبانسكي(كالي)، **تيمور لنك رجل المتناقضات الصارم**، تر: مي اسماعيل، جريدة الصباح، العراق بتاريخ 2017/08/29م، متوفر على الرابط الاكتروني:

http://www.alsabaah.iq/ArticleShow.aspx?ID=143485

- عمارة(أحمد)، **كيف أثر المناخ في حركة التاريخ والثورات والحروب؟**، منشور بتاريخ 2018/08/07، اطلع عليه بتاريخ:2018/06/11، متوفر على الرابط الالكتروني:

https://www.sasapost.com/how-weather-changed-the-history/

- معادي أسعد صوالحة، **هنيبعل... قائد قرطاجة الذي تحوّل إلى كابوس يؤرق روما**، جريدة المساء، المغرب، 2011/06/04م، متوفر على الرابط الالكتروني:

https://www.maghress.com/almassae/134364

-عبد المجيد سباطة، **ماذا تعرف عن إمبراطوريات الشركات الأمنية الخاصة حول العالم**، مقال منشور بتاريخ 2015/11/03م، اطلع عليه بتاريخ: 2018/06/03، متوفر على الرابط الالكتروني:

http://www.sasapost.com/private-security-war/

- جرجيس كوليزادة، **آفة العالم الجديد: خصخصة الحروب**، مقال منشور في الانترنيت بتاريخ:2017/08/14م على موقع صحيفة إيلاف الإلكتروني، اطلع عليه بتاريخ 2018/06/03م، متوفر على الرابط الالكتروني:

http://elaph.com/Web/Opinion/2017/8/1162590.html

-عمرو عاطف، **هل قال هتلر أعطيني جنديا مصريا وسلاحا المانيا لغزو العالم؟** منشور بتاريخ 30-03-2015، من موقع مصر العربية اطلع عليه بتاريخ 30-05-2018 متوفر على الرابط:

goo.gl/MfiPsq

- مازن حماد، **كي جي بي ... ذعر أحمر لفّ العالم**، جريدة الوطن، قطر بتاريخ 2017/07/20م متوفرة على الرابط الالكتروني:

http://www.al-watan.com/news-details/id/88111
- سمر عزريل، **ما هي عقيدة مكافحة التمرد؟** مقال منشور بتاريخ: 2013/06/16، اطلع عليه بتاريخ: 2018/05/23، متوفر على الرابط الالكتروني:
https://www.qudsn.ps/article/18106
قناة BBC العربية، برنامج ماذا حدث: أسرار الحرب العراقية الايرانية بلسان شهودها، حلقة بثت بتاريخ 2010/09/22، متوفرة على الرابط الالكتروني:
http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2010/09/100922_iraq_iran_war_film_tc2.shtm
- نيكول يونس، **دروس الجنرال جياب العسكرية**، مقال منشور بتاريخ 2013/10/16، اطلع عليه بتاريخ 2018/05/21، يتوفر الرابط الالكتروني:
http://www.alef-yaa.com/index.php?operation=read&type=article&idArticle=16670
- محمد السمّاك، **استراتيجية ممر العنزة**، جريدة المستقبل، لبنان، الاثنين 20 أكتوبر 2014، متوفر على الرابط الالكتروني:
http://almustaqbal.com/article/632729/-
- خالد العنانزة، **اليوم الدولي لمنع استخدام البيئة في الحروب والنزاعات المسلحة**، جريدة الرأي، الكويت، بتاريخ 2016/11/09، متوفرة على الرابط:
https://goo.gl/4huUok
- ياسر محجوب الحسني، **الصين وأمريكا: صراع الكبار في ملاعب الخرطوم وجوبا**، منشور بتاريخ 2012/05/17، اطلع عليه بتاريخ 2018/05/24، متوفر على الرابط الالكتروني:
https://goo.gl/X7OUOI

الفهرس

الفهرس

مقدمة.....07

الفصل الأول: تفكيك حالة النصر في الحروب: بحث في المفهوم والنظرية والتطبيقات.....15

المبحث الأول: الإطار المفهومي والنظري للحرب.....15

المطلب الأول: الإطار المفهومي للحرب.....15

المطلب الثاني: نظرية الحرب.....20

المطلب الثالث: فن الحرب والتخطيط العسكري كأساس للنصر الحربي.....27

المبحث الثاني: الانتصار في الحروب النظامية.....33

المطلب الأول: كسب الحرب المتطاولة والحرب الخاطفة.....34

المطلب الثاني: ثنائية البحر والجو كمجال للنصر الحربي.....43

المطلب الثالث: الانتصار في الحصار وحرب المدن.....49

المبحث الثالث: الانتصار في الحروب اللاتماثلية.....60

المطلب الأول: كسب الحرب عبر استراتيجية مكافحة التمرد.....60

المطلب الثاني: حروب العصابات وحروب التحرير.....67

الفصل الثاني: دافعية وتجسيد الانتصار في الحروب.....73

المبحث الأول: الشحن الديني كحافز للانتصار في الحروب.....73

المطلب الأول: الانتصارات في الفتوحات الاسلامية.....74

المطلب الثاني: مسار الانتصار والانهزام في الحروب الصليبية.....80

المبحث الثاني: حروب الاستعمار وحروب الموارد.....86

المطلب الأول: النصر في الحروب الاستعمارية.....87

المطلب الثاني: حروب السيطرة على الموارد.....93

المبحث الثالث: المعارك الحاسمة للانتصار في الحروب: نماذج تاريخية.....98

المطلب الأول: هزيمة نابليون من موسكو إلى واترلو.....99

المطلب الثاني: معركة ستالينغراد والانكسار النازي.....103

المطلب الثالث: معركة ديان بيان فو وكفاءة استراتيجية التطويق العسكري.....108

الفصل الثالث: النقاش الاستراتيجي بشأن كسب الحرب.....116

المبحث الأول: الكفاءة القتالية للجيوش وتصورات الانتصار 116

المطلب الأول: منظور الجيش الذي لا يقهر؛ تتبع تاريخي.....117

المطلب الثاني: الحروب الأمريكية وتصورات النصر العسكري.....122

المبحث الثاني: استخدامات التقنية في الشأن العسكري وتحولات الحرب.....129

المطلب الأول: الثورة في الشؤون العسكرية وأجيال الحروب.....129

المطلب الثاني: خصخصة الحرب والجيوش البديلة.....136

المبحث الثالث: الانتصار في الحروب بين معوّقات الطبيعة وضغط المبادئ الأخلاقية.....141

المطلب الأول: الطقس والتضاريس وتحدي كسب الحرب.....142

المطلب الثاني: الطروحات الأخلاقية في إدارة الحروب.....147

المبحث الرابع: إدارة الحرب في العصر النووي.....153

المطلب الأول: النظريات الاستراتيجية لكسب الحرب النووية.....154

المطلب الثاني: توسع النادي النووي ومخاطر المواجهة.....158

خاتمة.....165

قائمة المراجع.....169

الفهرس.....185

University of May 8, 1945 Guelma
Faculty of Law and Political Sciences
Department of Political Sciences

Registration number:
Serial Number:.....

VICTORY IN WARS : BASICS AND PERFORMANCE

Supplementary thesis for the Master's degree in Political Sciences

Specialty : **international relations and security studies**

Preparation of the student:

Bomaaza Adnen

Supervised by Professor:

D/ HAMIDANI Salim

Members of the discussion committee

Full name	Degree	University	Membership status
BEN SAADOUNE Liamine	**A P-A**	**University of May 8, 1945 Guelma**	President
HAMIDANI Salim	**MC-B**	**University of May 8, 1945 Guelma**	Supervisor
MANCEUR Djamel	**MC-A**	**University of May 8, 1945 Guelma**	Discussed member

University year 2017/2018